علم الاجتماع اللغوى

دكتور
السيد على شتا

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة



علم الاجتماع اللغوى

دكتور

السيد على شتا

١٩٩٦

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
ت ٤٨٣٩٤٧٢ - اسكندرية

﴿ فهرست بالمحتويات ﴾

الصفحة

مقدمـــة ———— ٧

الفصل الأول

التعريف بعلم الاجتماع اللغوى ١٢

تمهيـــد ———— ١٢

أولاً : العلم ومبادىء المنظور العلمى ———— ١٤

١ – تعريف العلم وخصائصه ———— ١٤

٢ – مبادىء المنظور العلمـــى ———— ٢٠

ثانيا : علم الاجتماع اللغوى كفرع من فروع علم الاجتماع ———— ٢٣

١ – مصطلح علم الاجتماع اللغوى وتعريفه ———— ٢٣

٢ – امتزاج موضوع علم الاجتماع اللغوى بموضوعات علـــوم اللغة ———— ٢٧

ثالثا : النطاق الواسع والمحدود لعلم الاجتماع اللغوى ———— ٣٢

١ –التصور السسيولوجى لتناول اللغة من منظور علم الاجتماع اللغوى ———— ٣٢

٢ – نطاق الوحدات الكبرى لعلم الاجتماع اللغوى ———— ٣٣

٣ – نطاق الوحدات الصغرى لعلم الاجتماع اللغوى ———— ٣٧

الفصل الثانى

اللغة من منظور علم الاجتماع اللغوى ٤٣

تمهيـــد ———— ٤٣

أولاً : اللغة ماهيتها ومعناها ———— ٤٤

ثانيا : اللغة كظاهرة اجتماعية ———— ٤٨

الصفحـــة

١ - الخصائص المميزة للظاهرة اللغوية كظاهرة اجتماعية ———— ٥٠
٢ - مدخل دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية ———— ٥٨
(أ) اللغة كنظام اجتماعى ———— ٦٠
(ب) العناصر البنائية للغة كنظام اجتماعى ———— ٦١
(جـ) الأداء الوظيفى للغة كنظام اجتماعى ———— ٦٤
(د) اللغة كعملية اجتماعية ———— ٦٦
ثالثا : أبعاد التحليل السسيولوجى للغة ———— ٦٧
١ - التحليل البنائى والوظيفى للغة ———— ٦٩
٢ - تحليل اللغة من منظور التفاعل الرمزى ———— ٦٩
رابعا : وصف الظاهرة اللغوية وتفسيرها من منظور علم الاجتماع اللغوى ٧٣
١ - أبعاد التحليل الوصفى للظاهرة اللغوية ———— ٧٣
(أ) نموذج « دل هيمز » الوصفى للظاهرة اللغوية ———— ٧٣
(ب) مرشد التحليل الوصفى « لجول شرز ورجنا دارنل » ———— ٧٦
(ج) التحليل الوصفى لتفاعل اللغات فى مواقف الاحتكاك اللغوى ٧٧
٢ - التحليل التفسيرى للظاهرة اللغوية ———— ٨٤

الفصل الثالث

الأطر المنهجية لعلم الاجتماع اللغوى ٨٦
تمهيـــد ———— ٨٦
أولا : روافد علم الاجتماع اللغوى ———— ٨٧
ثانيا : الأغراض العلمية لعلم الاجتماع اللغوى ———— ٩٢
١ - أغراض علم الاجتماع اللغوى ———— ٩٢
٢ - التساؤلات السسيولوجية لعلم الاجتماع اللغوى حول الظواهر

الصفحـــة

اللغوية ———— ٩٣
٣ – المهام الوظيفية للطريقة العلمية فى علم الاجتماع اللغوى ــ ٩٦
ثالثاً : الأسس العلمية لدراسة الظواهر اللغوية ———— ٩٧
رابعا : المداخل المنهجية لعلم الاجتماع اللغوى ———— ١٠٢
١ – المدخل الأنثروبولوجى وتطور التحليلات الوصفية للغة —— ١٠٣
٢ – المدخل التاريخى والدراسات االلغوية ———— ١٠٥
٣ – المدخل المقارن والدراسات اللغوية ———— ١١٠
٤ – المدخل التجريبى والدراسات اللغوية ———— ١١٥

الفصل الرابع

المنظورات النظرية للغة ١٢٤
تمهيـــــد ———— ١٢٥
أولا : المسار التاريخى للتفكير النظرى حول البناء اللغوى ———— ١٢٧
ثانيا : تطور الحوار النظرى حول نشأة لغة الكلام ———— ١٣٣
١ – المنظورات المتقابلة وحتمية التفسير لنشأة اللغة ———— ١٣٤
٢ – منظور العامل المتفوق فى نشأة اللغة ———— ١٣٩
ثالثا : النظريات المفسرة لتطور لغة الانسان ———— ١٤٠
١ – النظريات المفسرة للتطور الصوتى للغة ———— ١٤١
٢ – المنظورات النظرية للدلالة اللغوية ———— ١٤٣
(أ) تطور معانى المفردات اللغوية كمؤشر لتطور اللغة —— ١٤٤
(ب) تطور الأساليب اللغوية كمؤشر للتطور الدلالى للغة — ١٤٦
(أولا) تطور الصياغة اللغوية ———— ١٤٧
(ثانيا) تطور الدلالة اللغوية ———— ١٤٩

الصفحـــة

الفصل الخامس

اللغات وتفرع فصائلها ١٥٢

تمهيـــد ـــــــــــ ١٥٣

أولا : اللغة وتفرعها ـــــــــــ ١٥٤

١ - نشأت اللغة كظاهرة اجتماعية ـــــــــــ ١٥٤

٢ - فصائل اللغة ـــــــــــ ١٥٥

(أ) تصنيف اللغات حسب تطورها ورقيها ـــــــــــ ١٥٥

(ب) تصنيف اللغات على أساس صلة القرابة اللغوية ـــــــــــ ١٥٧

(أولا) : الفصيلة الهندية - الأوربية ـــــــــــ ١٥٨

(ثانيا) : الفصيلة اللغوية الحامية - السامية ـــــــــــ ١٦٤

(ثالثا) : فصيلة اللغات الطورانية ـــــــــــ ١٦٨

ثانيا : عوامل تفرع الفصائل اللغوية ـــــــــــ ١٧٢

الفصل السادس

اللهجات والتنوع اللغوى فى المجتمع ١٧٨

تمهيـــد ـــــــــــ ١٧٩

أولا : اللغة والمجتمع ـــــــــــ ١٧٩

ثانيا : وظائف اللغة ـــــــــــ ١٨٢

ثالثا : اللغة والطبقة الاجتماعية ـــــــــــ ١٨٤

رابعا : اللغة والجماعات العرقية ـــــــــــ ١٨٧

خامسا : الاختلافات اللغوية بين النساء والرجال ـــــــــــ ١٨٨

سادسا : اللغة والسياق الذى يعيش فيه الشخص ـــــــــــ ١٨٩

سابعا : اللغة والأمة ـــــــــــ ١٨٩

مقدمــة

تعرف اللغة اصطلاحياً بأنها مجموعة الرموز المنطوقة ، أو المكتوبة ، التى صكها الانسان ، ووضع لكل رمز منها دلالة ، ومعنا معينين ، يحكمان اختياره لها ، واستخدامها فى المواقف والمناسبات الاجتماعية المختلفة · واللغة بذلك نسق رمزى(١) ، نظم لها الانسان مجموعة القواعد اللغوية ، التى تحكم تركيب عباراتها، وتصريفها ، واشتقاق مفرداتها · ولما كان الانسان فى تفاعل واتصال مستمر بالآخرين عبر قواعد سلوكية مشتركة معهم، تحكمها المتواضعات الاجتماعية والثقافية لمجتمعه ، وتوجه اختياراته لنمط السلوك الملائم فى مواقف التفاعل والاتصال ، فان استخدامه للسلوك اللغوى تحكمه أيضاً متواضعات النظام الاجتماعى ، التى تحدد أيضاً الاختيارات اللغوية ، والاتجاه نحو اللغة ، والسلوك اللغوى ، ومستخدمى اللغة فى عملية التفاعل الاجتماعى · وبالتالى فان تلك المتواضعات الاجتماعية والثقافية تحدد معايير الاستخدام اللغوى ونماذجه الاجتماعية المقبولة ، والمتحققة من حيث السلوك والاستخدام اللغوى ، وتجعلها منتظمة فى شبكات التنظيم الاجتماعى للمجتمع وثقافته ·

وسواء كان المجتمع ذو لغة واحدة ، أو لغتين ، أو متعدد اللغات واللهجات ، فقد عنى علماء اللغة بدراسة لغة المجتمع ، ولهجاته ، وأساليبها ، ودلالاتها الصوتية ، والمعانى المرتبطة بها · ووضعوا لها القواعد التى تنظم الأسلوب ، وتحكم عمليات الصرف اللغوى واشتقاق المفردات · واهتموا بنمو مفرداتها ، وأصول الكلمات وتغير أساليبها بتغير فنونها ، سواء كانت محادثة أو خطابة أو كتابة أو شعرا أو نثر

---

(١) Fitzgerald, Jack D. & Cox, Steven M., Unraveling Social Science, Chicago, Rand Mc Nally College Publishing Company, 1975, pp . 12-13.

... الخ . كما أنهم اهتمو أيضا بدراسة اللهجات وتفاوت استخدامات اللغة فى نفس الوقت ، والتحول فى استخدام اللغات واللهجات فى مواقف التفاعل والاحتكاك اللغوى . ومع ذلك فلم تكشف علوم اللغة البحته عن العوامل الاجتماعية والثقافية والشخصية التى تحكم تلك العمليات اللغوية وتحدد مسارها وأدائها لوظيفتها. وذلك لأن تلك العلوم تحصر عملها فى النطاق اللغوى البحت اذ أن علم أصول الكلمات (الأيتيمولوجى) Etymology وهو الذى يعنى بدراسة الأصول التى انحدرت عنها الكلمات بالنسبة لأي من اللغات . وعلم الأساليب (الستيليستيك) Stylistic ويعنى بدراسة أساليب اللغة ، واختلافها وتطورها والقوانين التى تحكمها . وعلم التنظيم (السنتكس) Syntax وأقسامه (التاريخى ، المقارنة ، التعليمى) ، ويبحث فى أجزاء الجمل وترتيبها ، وتقسيم الكلمات الى اسم وفعل وحرف ، ووظيفة كل قسم فى الدلالة ، وعلاقة أجزاء الجملة ببعضها ، ووصل الجمل أو فصلها . وعلم المفردات (ليكسيكولوجى) Lexicology ويهتم بمعانى الكلمات واختلافها بين اللغات باختلاف المجتمعات والعصور ، واختفاء معانى بعض الكلمات وظهور معانى جديدة ، ومايترتب على ذلك من نتائج لغوية وعلم البنية (المورفولوجى) Morphology ، الذى يدرس قواعد اشتقاق الكلمات وتصريفها ، وتغير معناها بتغير ابنيتها . ويرتبط به ثلاثة أقسام (المقارن ، التاريخى ، والتعليمى) ، وعلم اللهجات (الديالكتولوجى) Dialectology ويختص بدراسة انقسام اللغة ، وظهور اللهجات ، ومايرتبط بها من ظواهر لغوية . وعلم الصوت (الفونيتيك) Phonetics ويدرس الأصوات اللغوية وأقسامها ومخارجها وخصائصا والخواص المميزة لكل منها واختلاف نطق الحروف باختلاف أعضاء النطق ، وتباين أصوات الكلمة فى أى لغة ، والنتائج اللغوية التى تترتب على اختلافات الأصوات المنطوقة . أما علم الدلالة (السيمنتيك) Semantics فيعالج اللغة باعتبارها أداة للتعبير ، ومن ثم يعنى بمعانى الكلمات ، والترادفات فى المعنى ، والتواصل ، والتباين فى التركيب

الدلالى للكلمات (١) ٠

ومن ثم يطلق مصطلح علم اللغة (لينجويستيك) Lenguistics على تلك المجالات البحثية السابقة ٠ وقد تدارك علماء اللغة أنفسهم أن العلوم اللغوية البحتة لاتكشف فاعلية العوامل النفسية والسلالية والثقافية والاجتماعية بالنسبة للغة وتغايراتها واختلاف استخداماتها فى نفس الموقف ، بالاضافة الى التحول اللغوى فى موقف معين وهو مالايمكن أن تكشف عنه الدراسات اللغوية البحته (٢) Pure Linguistic٠ ومن ثم اتجه اهتمامهم الى فروع معرفية أخرى تعنى باللغة من زوايا مختلفة ، متعلقة بالعوامل النفسية ، والثقافية ، الاجتماعية ، فأولوها اهتمامهم ، وأدرجوها ضمن نطاقات البحث فى علم اللغة Science of Language ، وهى الأثنولوجيا اللغوية ، والانثروبولوجيا اللغوية ، وعلم النفس اللغوى ، وعلم الاجتماع اللغوى ٠ ٠

وتهتم الأثنولوجيا اللغوية بدراسة اللغة لدى الجماعات البشرية من حيث نشأتها ، وتطورها ، ودلالتها ٠ ولما كان الوصف الأثنوجرافى البحت لا يكشف عن أثر العوامل الثقافية على اللغة لدى تلك الجماعات البشرية ، وخاصة الجماعات المتكلمة فقط ، والتى لاتكتب لغتها ، فقد عنو بالأنثروبولوجيا اللغوية ، وذلك لوضع اللغة فى سياقها الثقافى (٣) ، نظرا لأن الثقافة تحدد طابع القواعد التنظيمية التى تحكم السلوك اللغوى ، خاصة وأن علماء الأنثروبولوجيا قد تقدموا بالدراسات الأنثروبولوجية ، والأثنولوجية ، والثقافية ، والاجتماعية ، وعالجوا العديد من الظواهر

---

(١) Eastman, Carol M., Aspects of Language and Culture, San Francisco, Chandler & Charp Publishers, Inc., p . 120 .

(٢) جون لاينز ، علم الدلالة من كتاب مقدمة فى علم اللغة النظرى ، « ترجمة » ، البصرة ، جامعة البصرة ، ١٩٨٠م ٠

(٣) Keesing, Roger & Felix Keesing, New Perspectives in Cultural Antrhopology Holt, Rinehort & Winston, 1971, p. 81-85.

اللغوية لدى الجماعات البدائية المتكلمة ، والتى كانت لغتها منطوقة فقط ٠ وبتقدم الدراسة اللغوية فى مجال علم النفس ، واهتمام علماء النفس بانشاء فرع أسموه علم النفس اللغوى ، وتقدم مجالات دراسته للغة ، تأثر بعض علماء اللغة بدراساته اللغوية ، والنتائج التى توصل اليها ، بالنسبة للنمو اللغوى لدى الفرد ، وعلاقته بالادراك والقدرات والوجدان والنزوع ٠٠٠ الخ ٠ وعلاقة الظاهرة اللغوية بالظواهر النفسية مثل التذكر والخيال والايحاء والتأثير ٠٠٠ الخ ٠

وقد ترتب على اهتمام علماء الاجتماع باللغة كظاهرة اجتماعية ، ومحاولة دراستها فى علاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى ،وفحص التفاعل اللغوى فى المواقف الاجتماعية المختلفة ، ظهور فرع جديد أسموه علم الاجتماع اللغوى يسعى لدراسة الظاهرة اللغوية ، والوقوف على نشأتها ، وتطورها ، وانشعابها ، والعمليات المرتبطة بها ، ودلالات مفرداتها فى السياقات الاجتماعية المختلفة ٠ ونظراً لأهمية الدراسات اللغوية من منظور علم الاجتماع اللغوى فقد اهتم علماء اللغة بدراساته ، والنتائج التى توصل اليها حول اللغة ٠

واذا كانت الدراسة المعروفة بالثقافة واللغة تهتم بعلاقة كل من اللغة والثقافة بالادراك والمعانى ، فان علم الاجتماع اللغوى Sociolinguistics يسعى لفحص السياق الاجتماعى الذى تحدث فيه النشاطات التفاعلية للغة والثقافة ٠ ويهتم بالتفاعل اللغوى ، والعلاقة بين اللغة والتنظيم الاجتماعى ٠ وتحديد اعتبارات تغير التنظيم اللغوى ، والسلوك المتبع تجاه اللغة وعلاقة هذه التغيرات بتغير التنظيم الاجتماعى للمجتمع البشرى ٠ واذا كان وصف الظواهر اللغوية من منظور علم الاجتماع اللغوى يعنى بتحديد التنوعات اللغوية والخصائص المميزة للغة المجتمع ، سواء كان ذو لغة واحدة ، أو لغتين أو متعدد اللغات ، والوظائف التى تؤديها اللغة ، والسمات الصوتية ، ودلالاتها فى المواقف الاجتماعية المختلفة ، وذلك فى محاولة عالم الاجتماع اللغوى للاجابة عن سؤال ماذا حدث بالنسبة للظاهرة اللغوية ؟ ٠

فان علم الاجتماع اللغوى يسعى أيضاً بالتفسير للاجابة عن السؤال لماذا حدثت الظواهر اللغوية بهذه الكيفية ؟ ولماذا وكيف تغير التنظيم الاجتماعى للاستخدامات اللغوية والسلوك اللغوى ؟ ٠ ولماذا وكيف تختلف الجماعات البشرية فى تنظيمها اللغوى وسلوكها اللغوى ؟ ٠ ولماذا وكيف تتفاوت صور التمايز اللغوى ، والتحول اللغوى ، والتداخل اللغوى من مجتمع لآخر ؟ ٠

ومن ثم اعتبر علماء اللغة مجالات البحث تلك ضمن نطاقات علم اللغة ٠ واستفادوا من نتائجها فى وصف وتفسير الظواهر اللغوية ، ومواقف المحادثة ، واختبار موضوع التمايز اللغوى فى المجتمعات المختلفة ٠

وفى ضوء ذلك يعالج هذا الكتاب بفصوله الستة - والتى تشكل وحدة متكاملة - علم الاجتماع اللغوى بتعريفه كفرع من فروع علم الاجتماع ، ومعالم فهم اللغة من منظوره ، وتحديد نشأته ، وتطوره ، وموضوع دراساته ، وأغراضه ٠ بالاضافة الى تحديد علاقته بالعلوم الأخرى ، وحدود صياغة المفاهيم والمصطلحات من منظور علم الاجتماع اللغوى ، باعتباره فرعاً من فروع علم الاجتماع يشترك معها فى المصطلحات ، والمفاهيم التى تشكل اللغة المشتركة للاتصال ، والتفاهم بين علماء الاجتماع ، وبينهم وبين علماء اللغة ٠ اضافة لذلك يتناول نطاقات علم الاجتماع اللغوى ، ومنظوراته المختلفة لفهم اللغة وتحليل الظواهر اللغوية ، والأسس المنهجية التى يرتكز عليها فى عمليات تحليله للغة ، والتفسيرات المختلفة التى تخلعها منظوراته النظرية علي نشأة اللغة ، وتطور لغة الانسان وتطور معانى مفرداتها ودلالاتها الصياغية والأسلوبية ٠ اضافة الى معالجته للغات وتفرع فصائلها والعوامل التى تحكمت فى تشعب اللغة الى فصائل وفروع ، ثم يختتم هذا الكتاب بمعالجة اللهجات والتنوع اللغوى فى المجتمع على مستوى الجماعات المختلفة فى المجتمع ، وما تتصف به من لغة الأمة من تنوع ، والوظائف التى تؤديها على مستوى الفرد والثقافة فى المجتمع ٠

الفصل الأول
التعريف بعلم الاجتماع اللغوي

تمهيد :

يرجع الاهتمام بدراسة اللغة من قبل علماء الاجتماع لكونها وسيلة الاتصال ، والتفاعل الأساسية للانسان ، سواء كانت منطوقة أو مكتوبة ، ولكونها تشكل من حيث بنيتها ، ووظيفتها ، معالم ظاهرة اجتماعية عامة خضعت فى نشأتها ، وتطورها، وانتشارها ، وتفرعها وأدائها لوظائفها ، لقوانين عامة ، تنظم علاقاتها بما عداها من الظواهر الثقافية ، والاجتماعية ، والجغرافية ، والفكرية ، واللغوية ، والنفسية ، وتحكم التفاعل اللغوى فى مواقف الاحتكاك بين لغتين ، أو أكثر ، أو لهجات ومايرتبط به من تداخل وتحول لغوى فى نفس الموقف ، أو اختلاف فى استخدام نفس اللغة من قبل الشخص نفسه ·

وبذلك عالجوها على مستوى واسع النطاق من حيث كونها ظاهرة اجتماعية ، وتنظيم اجتماعى لغوى ، وعملية اجتماعية لغوية · كما تناولوها على مستوى النطاق المحدود باعتبارها فعل ، وحادثة فى موقف ، لفهم مايرتبط بها من طرق ، وعناصر ، وقواعد ، تنظم الاختيارات اللغوية ، ونماذج السلوك اللغوى المقبولة فى موقف التفاعل اللغوى ·

ومن ثم توافروا عليها بالدراسة والتحليل من حيث علاقتها بالفكر البشرى ، والخبرة البشرية ، فى نموها ، وتراكمها ، وتناقلها بين الأجيال (١) · وناقشوا مدى تأثرها فى علاقتها بالظواهر الأخرى ، وفى أدائها لوظائفها بالسياقات الاجتماعية ،

---

(١) · Hault, Thomas Ford, Dictionary of Modern Sociology, Totowa, New Jerrsey, Littlefield, Adams & Co. 1969, p. 182 .

والثقافية ، للمجتمعات ، والجماعات البشرية (١) ، (الاجتماعية ، الاقتصادية ، الاقليمية ، العرقية ، المهنية ، العمرية والنوعية ٠٠٠٠ الخ) ٠ ثم تناولوا اللغة بالدراسة والتحليل من حيث حوادث الكلام ، وأفعال الكلام وعناصره فى المواقف والمناسبات الاجتماعية ، والاتجاهات نحو استخدام الكلام ، واكتساب المعرفة الملائمة لخلق المقدرة على استخدام اللغة المكتسبة ، بصورة ملاءمة ٠ وتحليل صور الاستخدام المتبادل بالنسبة للأشخاص الناطقين بلغتين أو أكثر ، والاختلافات فى استخدام نفس اللغة فى أحوال وظروف مختلفة ، بالاضافة للاستخدام المتبادل للغتين أو أكثر فى نفس الموقف ٠ وذلك لفهم أبعاد عملية الاحتكاك اللغوى ، وتحديد العناصر الأجنبية فى كلام الشخص ، والتى حلت محل اللغات المحلية ٠ ومايصاحبها من تداخل لغوى ، وتحول موقفى فى نطاق الأسرة والعمل والتعليم٠٠٠٠الخ (٢) ٠ سواء كان هذا التحول نتيجة لاكتشاف المتكلمين بأنهم ينتمون لمجتمع غير مجتمعهم الحالى ، وان لهم لغة مشتركة ، أو نتيجة لتغير موضوعات الحديث فى المواقف الاجتماعية (٣) ٠

وعليه فقد سعى علماء الاجتماع لتعريف علم الاجتماع اللغوى الذى يهتم بمعالجة تلك الجوانب اللغوية ، باعتباره فرعاً من فروع علم الاجتماع ، يسعى لوصف وتفسير الظاهرة اللغوية ، وخصائصها ، وعملياتها ، ووظائفها ، وخصائص المتكلمين بها الاجتماعية والثقافية ، وذلك باتباع أسس منهجية ونظرية محددة ٠

---

(١) Pride, J.B., Sociolinguistic "Aspects of Language Learning and teaching, Oxford, University Press, 1979, pp. 10-11 .

(٢) Eastman, C., op. cit . p . 188 .

(٣) Blom, Jan Peter & J. Gumperz, Social Meaning in Linguistic Structure : Code Switching in Norway, in Gumperz, I.J. & Dell Hymes, Directions in Sociolinguistics, Holt, Rinehart and Winston, 1972, pp. 424-425 .

ومن ثم نتناول علم الاجتماع اللغوى بالتعريف ، باعتباره نظاماً علمياً ، يعالج اللغة كظاهرة اجتماعية من خلال الموضوعات التالية :

- العلم ومبادىء المنظور العلمى ٠
- علم الاجتماع اللغوى كفرع من فروع علم الاجتماع ٠
- النطاق الواسع والمحدود لعلم الاجتماع اللغوى ٠

أولاً : العلم ومبادىء المنظور العلمى

ان التمهيد بتعريف العلم ، وتحديد خصائصه ، وأهدافه ، ووظائفه ، والمبادىء التى توجه عمل العالم،والى يرجع إليهافى تحصيل المعرفة حول ظواهر الواقع ، مطلب ضرورى عند معالجة النظام العلمى لعلم الاجتماع اللغوى ، وخطوة أساسية ، لما لها من أهمية فى ايضاح الرؤية بطبيعة نسق التفكير العلمى ، والمبادىء التى توجه عمل العالم ، ويرجع اليها فى جميع مراحل تحصيل المعرفة العلمية حول الظاهرة التى يدرسها ٠ كما أنها تعطى جانباً أساسياً ، وحيوياً بالنسبة للنظام العلمى لعلم الاجتماع اللغوى ، باعتباره واحداً من فروع المعرفة التى تحصر اهتمامها ومجال عملها فى الظاهرة اللغوية ٠

(١) تعريف العلم وخصائصه :

يعرف العلم Science اصطلاحياً بأنه معرفة من نوع خاص حول ظواهر الواقع ، يتم تحصيلها ، وفحصها من خلال النشاط ، والجهد المتواصل ، الذى يتبع طرقاً منهجية محددة ٠ وبذلك يكون للعلم طابعه الديناميكى والاستاتيكى ، وذلك لأنه يتخذ من المعطيات المعرفية (نظريات ، وقضايا ، وقوانين) السابقة حول الظواهر التى يعالجها أساسه النظرى لتفسير الواقع وظواهره ، كما أنه يخضع اطاره النظرى لمعطيات النشاط ، والجهد المتواصل لبحث هذه الظواهر ، فيعدل منه أو يتم تطويره أو تنقيده فى ضوء المعطيات المعرفية للجهود المتواصلة ٠ وذلك مايضفى على العلم طابعة الدينامى. كما أن العلم فى كل ذلك يتبع طرقا منهجية محددة تكسب

هذا النشاط البحثى صفة العلمية ، وتميز طريقته العلمية عن غيرها من طرق تحصيل المعرفة حول ظواهر الواقع (١) . والعلم بذلك ، وباتباعه لمجموعة من المعايير فى عملية البحث يكون بمثابة مجموعة المعايير التى تتبع لتقييم الفكر ، والتى تعمل فى مجالات متخصصة ، ويتوفر لها ميكانزماتها ، ولغاتها الخاصة بكل مجال من مجالات عملها (٢) .

ومن ثم فان اصطلاح العلم يطلق على كل بحث تحكمه معايير العلم ، ويستند الى طرق منهجية معينة فى دراسة طائفة معينة من الظواهر ، لاكتشاف عناصرها وخواصها وهو بصدد الاجابة عن السؤال ماذا ؟ وتفسير الكيفية التى حدثت بها والعوامل التى تحكمت فى حدوثها ، وهو بصدد الاجابة عن السؤال لماذا؟ وتفسير عملية نشأتها وتطورها . والكيفية التى تؤدى بها وظائفها وتحديد العلاقات التى تربطها بغيرها من الظواهر وصولاً للقوانين التى تخضع لها تلك الظواهر فى نشأتها وتطورها وأدائها لوظيفتها (٣) . هذا فضلاً عن توفر لغة خاصة مميزة لكل مجال بحثى . وذلك لأن توفر عنصر اللغة شرط أساسى لوجود المعرفة ، وتطورها . وذلك ماجعل « دى روبرتى » يذهب الى حد القول بأنه لايمكن تصور وجود معرفة بدون لغة ، وهذا لأن التفاعل الاجتماعى مصدر للفكر أو المعرفة ، وهذا التفاعل الذى هو مصدر للمعرفة لاتقوم له قائمة بدون وجود لغة ، وعليه فان المعرفة لايمكن أن تظهر وتستمر دون أن توجد لغة تحملها .

ومن ثم رد « كاسيرر » نشأة العلم الى تطور الرموز الانسانية ، وتطور عمليات

---

(١) دكتور السيد على شتا ، البناء النظرى لعلم الاجتماع ، الخبر ، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤م ، ص ٢ .

(٢) Weinsteim, Deene & Weinstein, Michal, Choosing Sociology, N.Y., David Mc Kay Company, Inc., 1976, p. 61 .

(٣) دكتور على عبدالواحد وافى ، علم اللغة ، المرجع السابق ، ص ٢٤ .

التسمية والتصنيف من خلال نمو الرمزية اللغوية (١) • واذا كانت اللغة بهذه الأهمية بالنسبة لعملية التفاعل الاجتماعى ، والاتصال بالنسبة للفكر البشرى ، ونمو المعرفة بالنسبة لنشأة العلوم وتطورها ، فانها بذلك تكون مجالاً بحثياً حيوياً ، وهاما بالنسبة لمختلف العلوم التى تسعى لتحديد مفاهيمها ، ومصطلحاتها ، ورمزياتها اللغوية بصورة عامة ، وبالنسبة للعلوم الاجتماعية بصورة خاصة • وذلك ماجعل « الفارابى » يهتم فى القرن العاشر الميلادى بعلوم اللسان (علوم اللغة) ويضعها ضمن تصنيفه للعلوم لما لها من أهمية بالنسبة لسائر العلوم الأخرى • وقد بلغ اهتمام « كلود ليفى شتراوس » بعلم اللغة حدا جعله ينظر اليه باعتباره معادلا للعلوم الطبيعية •

وبالنسبة للعلوم فقد اهتم العلماء بتصنيفها على أساس درجة تعقيدها على نحو مافعل « اوجست كونت » من ناحية وعلى أساس موضوعها (أى مجموعة الظواهر التى يختص بدراستها كل منها) من ناحية أخرى ، وهنا نعرض لتصنيف « اوجست كونت » لمجرد الاشارة الى مدى تعقيد الظواهر اللغوية بحكم انتماء أحد علومها وهو علم الاجتماع اللغوى لعلم الاجتماع الذى يعتبر أشد العلوم تعقيداً فعندما اهتم«اوجست كونت» بصياغة الأساس النظرى والمنهجى لعلم الاجتماع ، وتحديد موضوع دراسته وكان ذلك فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر أى عام ١٨٣٥م اهتم « بتبرير » تأخر هذا العلم من حيث النشأة عن غيره من العلوم التى كانت قد قطعت شوطا كبيرا فى معالجة ظواهرها ، وارساء مقوماتها النظرية والمنهجية ، ونسب ذلك لبساطة تلك العلوم وتعقد البناء النظرى والمنهجى لعلم الاجتماع • ومن ثم حاول أن يقدم تصنيفا للعلوم على أساس بساطتها وتعقيد النسق الفكرى لكل منها • وعليه جاء تصنيفه للعلوم مرتباً على أساس نشأة كل منها على النحو التالى *:

(١) Cassirer, E., An Essay on Man, New york, Doubleday Anchor Books, 1953, p . 263 .

* يمثل رقم (١) أبسط العلوم وأولها ويمثل رقم (٦) أشد العلوم تعقيداً من حيث الموضوع والنشأة •

١ - الرياضيات ٠

٢ - الفلك ٠

٣ - الفيزياء ٠

٤ - الكيمياء ٠

٥ - البيولوجيا ٠

٦ - علم الاجتماع ٠

والشكل التالى يوضح نشأة العلوم واعتمادها على بعضها ودرجة تعقيد ظواهرها ٠

شكل رقم (١)

يوضح نشأة العلوم عند « اوجت كونت »

طبيعة الظواهر التى تدرسها	قوانين منطقية	دون العضوية	دون العضوية	عضوية + دون العضوية	عضوية	فوق العضوية
نشأت العلوم	الرياضيات	الفلك	الفيزيا	الكيمياء	البيولوجيا	علم الاجتماع
	1	2	3	4	5	6
اعتمادها على العلوم فى النشأة	مستقلة	تعتمد على ماقبلها	تعتمد على ماقبلها	تعتمد على ماقبلها	تعتمد على ماقبلها	تعتمد على ماقبلها

ويستند « كونت » فى ترتيبه لتلك العلوم على أساس أن العلوم البسيطة نشأت قبل العلوم المعقدة ، وأنها لاتعتمد فى دراستها لظواهرها الا على المعرفة المتحصلة عن طريق العلم نفسه ، واكتفائها بقدر محدود من معرفة العلوم الأخرى (١) ٠ وعليه اعتبر

(١) دكتورة فادية عمر الجولانى ، مبادىء علم الاجتماع ، المرجع السابق ، ص ٤٤ ٠

علم الاجتماع أشد هذه العلوم تعقيداً ٠ ولما كانت المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع عند « دوركايم » وتلاميذه وأتباعه تعتبر اللغة موضوعاً من ضمن موضوعات الدراسة فى علم الاجتماع ، فقد اهتم بانشاء فرع لها من فروع علم الاجتماع بعنوان « علم الاجتماع اللغوى » ٠ وبذلك تعتبر الظاهرة اللغوية من أشد الظواهر تعقيداً بالقياس لظواهر العلوم الأخرى ٠

أما من حيث تصنيف العلوم فقد نال اهتماماً كبيراً من المفكرين والعلماء ٠ فقدم الفارابى تصنيفه للعلوم فى القرن العاشر الميلادى ، وتلته بعد ذلك العديد من المحاولات من بين المحدثين والمعاصرين ، بالاضافة الى تلك الجهود المبذولة فى دوائر المعارف لتصنيف العلوم ، اضافة الى جهود كل من « دلتاى وماكس فيبر » فى هذا المجال ، والمحاولات المتكررة من قبل علماء الاجتماع ، وعلماء النفس ، وعلماء التربية، وعلماء اللغة ٠٠٠ الخ ٠ الذين يحاولون استجلاء العلاقة بين أى من فروع المعرفة تلك والعلوم الأخرى ٠

ومن هذه المحاولات العديدة تتكشف معالم تصنيف العلوم على أساس الظواهر التى تدرسها وذلك على النحو التالى :

أ - العلوم الرياضية : وهى العلوم التى تعنى بدراسة خواص الاعداد والقياس والكم مثل الحساب والهندسة والجبر ٠٠٠ الخ ٠

ب - العلوم الطبيعية : وهى العلوم التى تعنى بدراسة ظواهر العلوم العضوية وغير العضوية ومنها ، علوم الفلك والجيولوجيا والطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان وعلوم النبات وعلم الجغرافيا الطبيعية ٠٠٠ الخ ٠

ج - العلوم الانسانية وهى التى تتخذ من الانسان محوراً لها ، فتتناوله بالدراسة ومنها علم النفس والأثنوجرافيا ، والبيولوجيا ، والأنثروبولوجيا الفيزيقية ٠٠٠ الخ ٠

د - العلوم الاجتماعية : وهى تلك العلوم التى تدرس الانسان من حيث أنه عضو فى المجتمع ، ومايترتب على تفاعله وعلاقاته بالآخرين من نتاج اجتماعى وثقافى ٠

ومنها علم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا (الاجتماعية والثقافية) ، والتاريخ والجغرافيا والسياسة والاقتصاد والتربية والادارة والأخلاق وعلوم اللغة ٠٠ الخ ٠

والى شعبة العلوم الاجتماعية تنتمى علوم اللغة ، وعلم الاجتماع الذى يتفرع عنه علم الاجتماع اللغوى، والذى يتخذ من اللغة موضوعا لدراسته من وجهة نظر علم الاجتماع ٠ وتعتبر موضوعات الدراسة التى تعنى بها العلوم التى تشملها تلك الشعبة وثيقة الصلة ببعضها ، وذلك لأن النظم الاجتماعية والظواهر المرتبطة بها - والتى هى موضوعات لتلك العلوم - متداخلة مع بعضها ، .ومتكاملة بنائياً ، ومتساندة وظيفياً فى سياق المجتمع البشرى ٠ كما أن علم النفس اللغوى ينتمى لعلم النفس ، الذى يتدرج بدوره ضمن طائفة العلوم الانسانية ، وهى الطائفة التى رأى بعض العلماء أنها شاملة ، وتضم فئتى العلوم الفردية والعلوم الاجتماعية نظرا لأن موضوعها هو الانسان والمجتمع الانسانى (١) ٠

وقد كان لترابط النظم والظواهر الاجتماعية ، التى تُعنى بها العلوم الاجتماعية أثره الواضح على تأكيد « كونت » على انضواء تلك الظواهر جميعا ضمن موضوع علم الاجتماع ٠ كما أن التساند الوظيفى والتأثير المتبادل فيما بينها ، كان من ضمن العوامل التى حدت بعلماء الاجتماع عند تبويبهم لعلم الاجماع ، أن ينشئوا فروعاً لعلم الاجتماع ، يختص كل منها بجانب معين من جوانب الظواهر الاجتماعية ٠ وذلك على نحو ماذهب « ابن خلدون » ، « واميل دور كايم » حيث صنف الأخير فروع علم الاجتماع الى :

علم الاجتماع الدينى ، وعلم الاجتماع الاخلاقى ، وعلم الاجتماع القانونى ، وعلم الاجتماع الجمالى ٠ ثم واصل علماء الاجتماع من بعده جهودهم فى توسعة نطاق فروع علم الاجتماع بحيث أصبحت تضم بالاضافة لما حدده « دور كايم » ،

---

(١) دكتور على عبدالواحد وافى ، علم اللغة ، المرجع السابق ، ص ٢٦ ٠

علم الاجتماع المعرفى وعلم الاجتماع التربوى وعلم الاجتماع السياسى وعلم الاجتماع الأدبى وعلم الاجتماع التنظيمى وعلم الاجتماع النفسى وعلم الاجتماع الرياضى وعلم الاجتماع اللغوى (١) ٠

ورغم التمايز القائم بين فروع المعرفة بشعب العلوم المختلفة ، والذى تم على أساس طبيعة الموضوع الذى يعالجه كل فرع منها ، الا أنها كنظم علمية تشترك مع بعضها فى مجموعة من الخصائص العامة ، حددها كل من « جوزيف رويسك » J. Roucek ورولاند وارن R. Warren (٢) على النحو التالى :

- استخدام الطرق الموضوعية للملاحظة ٠
- الاهتمام بتعريف المصطلحات المستخدمة فى نطاق كل منها ٠
- تصنيف الظواهر الملاحظة ٠
- الاهتمام بوضع وصياغة الفرضيات ٠
- اختبار الفروض المقترحة ٠
- التعبير عن الاستنتاجات المنظمة بمصطلحات كمية قدر الامكان ٠
- تطوير النظريات المرتبطة بجوانب الواقع المختلفة ، فى ضوء المعطيات الجديدة حول الظواهر ، التى تفسرها تلك النظريات ٠
- النقد المستمر ، واعادة فحص التعميمات المنظمة فى ضوء النتائج الجديدة٠

(٢) مبادىء المنظور العلمى Scientific Perspective

يعرف المنظور بأنه مجموعة الرموز والمفاهيم المترابطة ، والتى تساعدنا على اختيار الجوانب القابلة للملاحظة ، وتنظيم مدركاتنا ، وترشيد أعمالنا فى ضوء

---

(١) دكتورة فادية عمر الجولانى ، مبادىء علم الاجتماع ، المرجع السابق ، ص ٦٥ - ١٠٧ ٠

(٢) Roucek, J.S. & Warren, R., Sociology, New Jersey, Littlefield, Adame & Co., 1968, p. 6 .

الطريقة العلمية ٠

والواقع أن كل علم من العلوم يسعى لتحقيق أهدافه العلمية المتمثلة فى الفهم Understanding ، والتنبوء prediction ، من خلال وظائفه الأساسية المتمثلة فى الوصف Description ، والتفسير Explanation للظواهر، لتحقيق الفهم الذى يستند اليه فى عقد تنبؤاته حولها ٠ تلك الوظائف التى يقوم بكل منها فى ضوء المبادىء الأساسية التى ينهض عليها المنظور العلمى Scientific Perspectiv ، والتى حددها كل من « جاك فيتز جرالد » J. Fitz Gerald ، « وستفن كوكس » S.M. Cox (١) على النحو التالى :

- مبدأ التجريبية Empiricism

ويتطلب هذا المبدأ من العالم أن يختبر نظرياته ، وفروضه ، ويطورها ، بالاعتماد قدر الامكان على ملاحظة الحوادث الفعلية التى يدرسها ٠

- مبدأ الموضوعية Objectivity

ويعنى هذا المبدأ أن العالم يحاول بوعى التأكد من أن النتائج التى يتوصل اليها معتمدة على الملاحظة ، والبحث ، أكثر من اعتمادها على ميوله ونزعاته المسبقة ٠

- مبدأ النسبية Relativism

ويتأكد هذا المبدأ عندما لايعتبر العالم أن نتائجه دائمة ، وعامة ، وتتمتع بصدق مطلق وانما يعتبرها أولية وأنها قد لاتتكشف بواسطة البحوث السابقة ٠ كما أنها قد لاتتوفر فى أماكن أخرى وفى أزمان أخرى ٠

- مبدأ الشكية Skepticism

ويشير هذا المبدأ الى رغبة العالم فى التساؤل عن كل شىء ، ورغبته فى النظر وراء كل شىء بغية تعيين صدق النتائج لنفسه ٠ وهو بذلك لايفترض الصدق المطلق

---

(١) Fitz Gerald, Jack D. & Cox, Steven M., Unraveling Social Science, Chicago, Rand Mc Nally College Publishing Co., 1975, pp. 7 - 8

فى نتائج البحث ، وانما يسعى للنظر فيما وراء النتائج ليعلم الكثير عنها ٠

- الحيادية الأخلاقية Ethical Neutrality

وهى سمة أخرى للمنظور العلمى تشير الى أنه كعالم لايهتم بالدلالات الأخلاقية ، ولابما هو صواب أو خطأ ، ولكنه بدلاً من ذلك يهتم فقط بما هو صادق أو زائف ٠

- مبدأ الاقتصاد العلمى Parsimony

ويتمثل هذا المبدأ فى محاولة العالم لتقليل التفسيرات العديدة الممكنة لظاهرة معينة ، الى أقل عدد ممكن من التفسيرات التى تفى بغرض التفسير العلمى للظاهرة ٠

وعليه فان مجموعة المبادىء تلك وماتنطوى عليه من مفاهيم ، ورموز مترابطة، تشكل المنظور العلمى ، وتحدد اختياراتنا لجوانب الواقع ، وتنظم مدركاتنا حول تلك الجوانب ، وترشد أعمالنا سواء على مستوى المعالجة ، أو التحليل لظواهر الواقع الاجتماعى ٠ واذا كان منظور العلوم الاجتماعية ، ومنظور العلوم الطبيعية ، بمثابة منظورات محدودة بالنسبة لمنظور نسق التفكير العلمى ، فان منظور أى منهما ينطوى بدوره على منظورات محدودة بالنسبة للعلوم المندرجة تحت كل منها ، والتى تضم بدورها منظورات نظرية محدودة توجه البحث فى نطاق كل منها وعلى مستوى فروعها ٠

فكل من التفاعلية الرمزية ، والبنائية الوظيفية ، بمثابة منظورات محدودة داخل المنظور السسيولوجى لعلم الاجتماع اللغوى ، داخل المنظور السسيولوجى للعلوم الاجتماعية ، داخل منظور العلم ٠ وعليه فان أى من المنظورات المحدودة ينبغى أن تحقق المتطلبات العامة للمنظور العام ،والتى هى جزء منه (١) ٠ فمن يلقب بعالم اجتماع لغوى ، عليه أن يحقق متطلبات المنظور العلمى لعلم الاجتماع ، والمنظور

---

(١) Fitz Gerald, J.D. & Cox, S.M., p. at. p. 14 .

العلمى للعلوم الاجتماعية ، والمنظور العلمى للعلم ، وهو بصدد دراسة الظواهر اللغوية.

ثانيا : علم الاجتماع اللغوى كفرع من فروع علم الاجتماع

(١) مصطلح علم الاجتماع اللغوى وتعريفه :

يشير مصطلح علم الاجتماع اللغوى Sociolinguistics فى الغالب لنفس المعنى الذى يشير اليه مصطلح اجتماعية اللغة (سيولوجية اللغة) Sociology of Language وذلك اذا ما كان اهتمام عالم الاجتماع اللغوى موجها للموضوع الذى يهتم به علم الاجتماع اللغوى وتفسيره للظاهرة اللغوية من وجهة نظر علم الاجتماع وذلك ما أشارت اليه بوضوح « كارول اياستمان » عندما عرفت علم الاجتماع اللغوى بوظيفته حيث أنه يفحص السياق الاجتماعى الذى يعمل فيهالنشاط اللغوى والثقافى ، واستطردت بقولها بأن علم الاجتماع اللغوى Sociolinguistics يشير فى الغالب الى مايعنيه مصطلح Sociology of Language وذلك لأنها ترى أن علم الاجتماع اللغوى يهتم بتفاعل اللغة مع الوضع الاجتماعى ، ومن ثم فانه يركز على علاقة اللغة بالتنظيم الاجتماعى بفحص الجوانب اللغوية المرتبطة بالطبقة والمركز الاجتماعى (١) . أما عندما يتجه اهتمام عالم الاجتماع اللغوى الى النظام العلمى لعلم الاجتماع اللغوى من حيث الأساس النظرى والمنهجى الذى يستند اليه فى معالجة الظاهرة اللغوية يكون المصطلح المناسب هنا هو علم الاجتماع اللغوى الذى يشير لطبيعة السياق النظرى والمنهجى لعلم الاجتماع اللغوى بالاضافة الى فهم الظاهرة اللغوية من منظور علم الاجتماع. ومن ثم استخدم الدكتور على عبدالواحد وافى المصطلح الفرنسى Sociologie Linguistique للاشارة به الى السسيولوجيا اللغوية ، أو علم الاجتماع اللغوى . وعرّفه بدراسة العلاقة بين اللغة والظواهر

---

(١) Eastman, Carol M., Aspects of Language and Culture, op cit. p. 113.

الاجتماعية ، وبيان أثر المجتمع ونظمه وتاريخه وتركيبه وبنيته فى مختلف الظواهر اللغوية • وهو بذلك يؤكد على أهمية علم الاجتماع اللغوى كفرع من فروع علم الاجتماع فى معالجة الظواهر اللغوية بطريقة تساعد على تفسير الظواهر اللغوية من خلال العلاقة التى تربطها بمختلف الظواهر الاجتماعية (١) •

وان كان البعض قد اهتم بتعريف علم الاجتماع اللغوى بموضوعه فان هناك لفيفاً آخراً من العلماء قد اهتم بالأساس النظرى والمنهجى الذى يستند اليه فى معالجة الظاهرة اللغوية وتفسيرها من وجهة نظر علم الاجتماع •

ويعرف علم الاجتماع اللغوى على أساس موضوعه فى دائرة معارف علم الاجتماع بأنه دراسة لكيفية اختلاف اللغات طبقاً للسياقات الاجتماعية ، ومدى فاعلية المواقف الاجتماعية المختلفة فى تعيين أشكال الكلام والسمات المميزة له ، وفى ضوء هذا التعريف يهتم علم الاجتماع اللغوى بالانتماءات الاجتماعية للمتكلم وعلاقته بمواقف الكلام الرسمية وغير الرسمية ، وبذلك يكون للاختلافات الاجتماعية من الناحية المهنية والتعليمية والاقتصادية علاقة بتوجيه طريقة النطق والكلام بصوت معين ، وعليه يختلف استخدام اللغة باختلاف الطبقة الاجتماعية واتجاهاتها وأحكامها ، فكلام جماعات اجتماعية واقتصادية معينة له سماته الصوتية المميزة والتى تدل على الفئة الاجتماعية التى ينتمى اليها الشخص المتكلم ، وعليه فان علم الاجتماع اللغوى يهتم بالتنوعات اللغوية المرتبطة بالمستوى المهنى والعرقى (السلالة) وبالنمو اللغوى للطفل (٢) •

واذا كان بريد J.B. Pride يعرّف علم الاجتماع اللغوى على أساس موضوعه بأنه دراسة للغة الطبيعية فى جميع السياقات الثقافية والاجتماعية المختلفة ،

---

(١) دكتور على عبدالواحد وافى ، علم اللغة ، المرجعالسابق ، ص ١٣ ، ٥٩ •

(٢) Encyclopedia of Sociology, Clle Bford, Connecticut, the Dushkim Publishing Group , Inc., p. 278 .

فانه يستطرد فى شرح تعريفه مشيراً الى أن علم الاجتماع اللغوى فى أساسه بمثابة علم لغة ، ولكنه يستند الى نظريات ومناهج تنتمى لنظم علمية أخرى فى معالجته للظاهرة اللغوية ، آخذاً فى اعتباره الجانب الذاتى للأشياء ، على أساس أن كل من اتجاهات الفرد والمجتمع المحلى ، وارداتهما ، ودوافعهما لاتوجه فقط لاختيار اللغة فى حد ذاتها ، ولكنها توجه أيضاً من يقومون بهذه الاختيارات اللغوية • وبذلك يهتم علم الاجتماع اللغوى فى معالجته للظاهرة اللغوية باقامة الرابطة بين العوامل الذاتية والعوامل الموضوعية المتعلقة باللغة (١) • وذلك بعينه مادفع البعض فى تعريف علم الاجتماع اللغوى للاهتمام بالنواحى المنهجية التى يستند اليها فى معالجته للغة من ناحية ، وبالأساس النظرى الذى يستمد منه تفسيراته لها ، وذلك ماعنيت به « كارول اياستمان » (٢) عندما تناولت بالتعريف علم الاجتماع اللغوى فى مؤلفها « جوانب اللغة والثقافة » • واذا كانت الدراسة التى تعرف باسم اللغة والثقافة تهتم بعلاقة كل من اللغة والثقافة بالفكر ، والادراك ، والمعنى ، فان علم الاجتماع اللغوى يسعى لفحص السياق الاجتماعى الذى يحدث فيه النشاط الثقافى واللغوى • وبذلك فان علم الاجتماع اللغوى يفهم هنا على أنه فرع من فروع علم الاجتماع يعنى بدراسة اللغة • وعلى حد تعريف « فيشمان » لهذا العلم فإنه بمثابة دراسة لخصائص التنوعات اللغوية ، وخصائص وظائفها ، وخصائص المتكلمين بها مادامت هذه الأطراف الثلاثة تتفاعل باستمرار وتتغير ، ويغير كل منها الآخر داخل المجتمع اللغوى(٣) •

---

(١) Pride, J.B. , op. cit . P.X .

(٢) Eastman, C.M., op. cit., pp. 113 - 127 .

(٣) ج . أ . فيشمان ، سسيولوجية اللغة ، ترجمة محى الدين عثمان ، جريدة اليوم ، السعودية ، ١٤٠٤ هـ العدد ٣٩٢٧ ، ص ٩ •

وبمراجعة التراث العلمى لعلماء الاجتماع ، نجد أنهم قد اهتموا بتعريف علم الاجتماع اللغوى ، باعتباره دراسة للعلاقة بين اللغة والظواهر الاجتماعية ، وبيان أثر المجتمع ونظمه وتاريخه وتركيبه وبنيته فى مختلف الظواهر اللغوية (١) ٠ وأنه بمثابة فرع من فروع علم الاجتماع يهتم بدراسة اللغة فى نشأتها ، وتطورها ، وانشعابها ، وصراعها مع غيرها من اللغات ، بالاضافة الى اهتمامه بدراسة العوامل والظروف الاجتماعية المرتبطة بقيام اللهجات (٢) ، وتحديد مدى تفاعلها مع ظواهر المجتمع الأخرى ، ومايرتبط بهذا التفاعل من صور الصراع نتيجة لتعدد اللهجات وتشعبها عن لغة واحدة (٣) ٠

وفى ضوء ذلك يمكن تعريف علم الاجتماع اللغوى بأنه فرع من فروع علم الاجتماع ، يتخذ من نظريات علم الاجتماع وأطره المنهجية أساسه فى وصف الظواهر اللغوية وتفسير عمليات التفاعل المرتبطة بها ، وعلاقاتها بالظواهر الأخرى فى نشأتها وتطورها ، وأدائها لوظائفها بالنسبة للمجتمع والثقافة والشخصية٠

وبذلك يشير هذا التعريف الى كون هذا المجال المعرفى فرعاً من فروع علم الاجتماع ، والى أن له أساساً نظرياً يعتمد عليه فى وصفه للظواهر اللغوية وتفسيرها ٠ وأنه يستند لاطار منهجى محدد فى معالجته للظاهرة اللغوية والعمليات الاجتماعية المرتبطة بها على مستوى النشأة والتطور والانتشار والتشعب الى لهجات ، بالاضافة الى عمليات الصراع والتفاعل اللغوى بين اللغات المختلفة فى جهة ، وبين اللغة واللهجات المتفرعة عنها فى جهة أخرى ٠ وعلاقة ذلك كله بالمجتمع ، وحضارته ، ونظُمه ، وبنيته الاجتماعية ٠

---

(١) دكتور على عبد الواحد وافى ، علم اللغة ، المرجع السابق ، ص ٥٩ ٠

(٢) دكتور مصطفى الخشاب ، المرجع السابق ، ص ٣٥ ٠

(٣) دكتورة فادية عمر الجولانى ، المرجع السابق ، ص ٨٥ ٠

(٢) امتزاج موضوع علم الاجتماع اللغوى بموضوعات علوم اللغة :

الواقع أن موضوعات هذا الفرع من فروع علم الاجتماع تمتزج بموضوعات فروع اللغة الأخرى ، حيث يتناول بالوصف والتفسير الصوتيات اللغوية ، والتى يختص بها علم الصوتيات (الفونيتيك) من حيث الخصائص المميزة للأصوات اللغوية، ومخارج الكلمات ، وعلاقتها بالأوضاع الاجتماعية للجماعات البشرية المهنية والتعليمية والنوعية ، والاقتصادية ، والعرقية ٠ وهو بذلك يكشف لنا عن جبرية الظاهرة اللغوية من هذه الزاوية المرتبطة بالنطق ، ومخارج الكلمات بالنسبة للفئات الاجتماعية ، والمواقف والمناسبات الاجتماعية المختلفة ٠ بالاضافة الى علاقة التطور الاجتماعى والثقافى بتطور اللغة من ناحيتها الصوتية ٠ وقد أكد لفيف من علماء الفونيتيك (الصوتيات) ، ومنهم الألمانى « هرمان - بول » Herman Paul والفرنسى « جاستون باريه » Gaston Paris و « بول باسه » Paul Passy و «روسلو» Rousselot أكد جميع هؤلاء العلماء على التطورات الصوتية لمختلف اللغات وعواملها المختلفة ، سواء بالنسبة للغة الفصحى، أو بالنسبة للهجات المتفرعة عنها ٠

كما أن موضوع علم الاجتماع اللغوى يمتزج بموضوع علم الدلالة (السيمنتيك) ٠ فيتناول الدلالات اللغوية بالوصف ، محدداً الدلالة المرتبطة بالكلمات الفصحى ، وبالكلمات العامية ، ومظاهر تطور تلك الدلالة فى نطاق الثقافات المختلفة ٠ ثم يتناولها بالتفسير لكشف العوامل التى تؤثر فى معانى الكلمات، وقواعدها ، وأساليبها ٠ والتى تؤدى الى تطور تلك المعانى والأساليب واختلافها ، أو تقاربها ٠ وبذلك تستفيد علوم الصوتيات والدلالة ببحوث علم الاجتماع اللغوى عند وصفها للصوتيات والدلالات اللغوية ، وتقديم التفسيرات العلمية لعوامل تطورها واختلافها ٠

أما بالنسبة لامتزاج موضوع علم الاجتماع اللغوى بموضوع علم

الدياليكتلوجى (علم دراسة اللهجات العامية) فيتجلى على مستوى وصف اللهجات العامية ، وتفسير نشأتها وتطورها ، وعمليات تفاعلها ، وصراعها مع بعضها ، ومع اللغات الفصحى · أما من حيث امتزاج موضوع علم الاجتماع اللغوى مع موضوع « علم القواعد » ، فان علماء القواعد قد اهتمو بادىء الأمر بالتحليل المقارن لقواعد الصرف ، والاشتقاق ، والتنظيم · وذلك ما قام به بعض علماء اللغة الألمان ومنهم « فرانز بوب » Franz Bops (١٧٩١ - ١٨٦٧م) ، فى مؤلفه القواعد المقارنة للغات الهندية - الأوربية ، « ولويس جريم Jacques Louis Grimm (١٧٨٥ - ١٨٦٣م) والذى اهتم بتطور القواعد اللغوية وارتقائها · وقد تابع البحث فى هذا المجال الخاص بتطور قواعد اللغة وتصريفها الألمانى « ماكس مولر » Max Muller (١٨٣٢ - ١٩٠٠م) ، والانجليزى « هنرى سيس » Archibald-Henry Syce ، بالاضافةالى طائفة المحدثين من علماء القواعد ، أمثال : « ليسكين » Leskien و «بروجمان » Brugmann و « استوف » Ostof و « بول » Hermann Baul و « دلبروك » Delbruck، وهم الذين أخذ عليهم جميعا تقصيرهم فى بيان العلاقة بين تطور وارتقاء قواعد الصرف والاشتقاق والتنظيم وبين الظواهر الاجتماعية والثقافية ·وذلك ما توفره بحوث علم الاجتماع اللغوى ، بربط مظاهر الارتقاء فى قواعد اللغة، والصرف ، والاشتقاق ، والتنظيم اللغوى بالسياقات الثقافية، والاجتماعية لكل فترة تاريخية من تطور اللغات ·

وقد دعّم هذا الاتجاه أنصار المدرسة الاجتماعية الفرنسية ، التى أسسها عالم الاجتماع « اميل دوركايم » ، وانتمى اليها كل من « ليفى برل » ، « وموسى » ، وبوجليه ، وفوكونيه » ، وانضم اليهم بعض علماء اللغة ومنهم « دوسوسور » De Saus-sure و « ميه » Meillet و « فندريس » Vendryes ·

وقد أثر هذا الاتجاه على لفيف من المعاصرين الذين اهتموا بالربط بين قواعد اللغة والسياق الاجتماعى والثقافى ·وبالتالى نجد أن نظرتهم لأهمية علم الاجتماع

اللغوى بالنسبة لقواعد الصرف ، والاشتقاق ، والتنظيم اللغوى تحددت من الزوايا التالية :

– علاقة الصرف والاشتقاق اللغوى بوضع اللغة فى المجتمع ، والمواقف التى تصاغ لها العبارات والجمل اللغوية ·

– أهمية السياقات اللغوية بالنسبة لعمليات الصياغة ، والاشتقاق · وذلك لأن الوقائع المحيطة بعملية الاتصال ، ووظائف الأداء اللغوى ، والمناسبات الاجتماعية ، لها علاقة بالجوانب الوظيفية للجمل والعبارات (١) ·

فهى التى تحددالطابع السلبى والايجابى المستهدف من الصياغة ، ومدى ملاءمتها لموقف الحديث المتبادل بين شخصين ،والتوقعات الناتجة والتى تعينها وظائف الألفاظ فى موقف الحديث · وبذلك فان عالم القواعد يحتاج الى الخوض فى تفاصيل التفاعل الاجتماعى بواسطة اللغة ، بحثاً عن الطرق التى تجعل الاختيار اللغوى مثمراً فى موقف المحادثة ·

– ومن قضايا علم الاجتماع اللغوى التى تهم عالم القواعد اللغوية ، عند قيامه بصياغة الجملة ، وماتقتضيه من صرف واشتقاق وتنظيم ، تلك القضية المتعلقة بتناول اللغة من المستوى المحدود لعلم الاجتماع اللغوى Microsociolinguistics وهى التى تشير لدراسة السلوك اللغوى بين الناس فى مناسبات اجتماعية معينة ، ومدى تحقيقه لوظائف الاتصال فى تلك المناسبات · وهنا يهتم عالم اللغة وعالم القواعد ، بما يوافق علم الاجتماع اللغوى من معرفة ، حول اللغة المستخدمة فى عملية الاتصال ، داخل الروابط الاجتماعية ، ومايرتبط بها من أمثلة للسلوك اللغوى، ووظائف عملية الاتصال ، وفئات المناسبات الاجتماعية ، ومايسودها من سلوك لغوى يحقق الوظائف المرتبطة بعملية الاتصال · وذلك لأن علم الاجتماع اللغوى يعين

---

(١) Pride, J . B ., op . cit . p . 3 .

نموذج الاتصال ، ومايرتبط به من أوضاع فى المجتمع ، وأدوار المشاركين فيه ، والوظائف الفردية التى يؤديها فى هذه الأوضاع • اضافة الى تعينه للعوامل الأساسية للاتصال •

- اضافة لذلك فان اللغوى يهتم باقامة الرابطة بين اختيارات اللغة الملائمة والأوضاع الاجتماعية التى يستخدمونها فيها • الأمر الذى يقتضى السيطرة على السمات المميزة للموقف الاجتماعى ، وتحديد مانرغب تحديده فى تلك المواقف والسلوك اللغوى الملائم لها (١) •

- واذا كان عمل عالم القواعد يستهدف اكتشاف ووصف العوامل والأبنية اللغوية ، والعمليات التى تجعل اللغة المستخدمة ملائمة كأداة لعملية الاتصال ، فانه بذلك يميل لدراسة الكيفية التى يستخدم بها الناس قواعدهم اللغوية ، والأغراض التى تستخدم من أجلها تلك القواعد ، والأوضاع المختلفة التى تستخدم فيها ، ومايطرأ عليها من تغيرات ، وما يصاحب تلك التغيرات من أخطاء لغوية •

- وقد أدى ذلك ببعض علماء اللغة لأن يتطرقوا فى تأكيد أهمية علم الاجتماع اللغوى لتناول قواعد الصرف والاشتقاق والتنظيم ومنهم « دافد دوكامب » David De Camp (٢) ، « وشارلز فيلمور » C.J. Fillmore (٣) ، وهم يؤكدون جميعاً على أهمية المعطيات المعرفية لعلم الاجتماع اللغوى بالنسبة لقواعد اللغة وذلك ما أشار اليه بوضوح « شارلز فيلمور » عندما أكد على ضرورة استفادة

---

(١) Pride, J . B ., op. cit., p. 10 .

(٢) De Camp. David, Is a Sociolinguistic Theory Possible ? Georget - won University Monograph Series of Languages and Linguistics, 22, 157 - 178 . Washington, D.C.

(٣) Fillmore, C.J., A Grammarian Looks to Sociolinguistics, in Pride, op. cit. p. 2 - 14 .

علم اللغة من معطيات النظم العملية الأخرى (١) ، التى تهتم باستخدام اللغة من قبل المتحدث ، وذلك لاثراء معرفة عالم اللغة حول الظاهرة اللغوية ، وأساليبها ودلالاتها الصوتية ، وقواعد الصرف ، والاشتقاق اللغوى ·

- كما أن المشكلة النظرية المحورية كما يراها عالم اللغة تتمثل فى تعيين كيفية الحصول على المقدرة لمعرفة الشخص للغته ، وذلك يقتضى تعيين وضعه كعضو فى المجتمع من حيث عمره ، ونوعه · ووضع الأسرة ، والمركز الاجتماعى والخلفية التعليمية ، والمهنية ، والأصول العراقية ، وما الى ذلك من متغيرات · ومثل تلك المتغيرات يوفرها علم الاجتماع اللغوى بخلفياته النظرية · التى تساعد على تفسير تلك الجوانب فى علاقتها بالسياق اللغوى للشخص ، ونوع المناسبات الاجتماعية التى يستخدم فيها اللغة كوسيلة للاتصال والتفاعل·

- كما أن الأساس المنهجى لعلم الاجتماع اللغوى يساعد على تقديم الوصف والتفسير للظواهر اللغوية ، من مداخل منهجية تكفل معالجة الظواهر اللغوية من الناحية الموضوعية ، والناحية الذاتية · وعلى مستوى الماكرو (النطاق الواسع) ، ومستوى المايكروى (النطاق المحدود) · وذلك لأنه يستخدم مداخل منهجية موضوعية مثل : المدخل المقارن والمدخل التاريخى والمدخل التجريبى · بالاضافة الى المداخل الذاتية مثل : المدخل الأنثروبولوجى ، والمدخل الفينومينولوجى (٢) ، والمدخل الأثنوميثودولوجى (٣) · وذلك مايمكنه من تحقيق الوصف العلمى للظواهر اللغوية · كما أنها تساعد على تقديم التفسير العلمى للظواهر اللغوية ، والعمليات

---

(١) Fillmore, C.J., Ibid p. 14 .

(٢) الظاهراتى (الفينومينولوجى) Pehnomenological يشير هذا المدخل لرؤية الباحث الذاتية للظواهر اللغوية ·

(٣) المنهجية الشعوبية (الأثنوميثودولوجى) Ethnomethodology يعنى هذا المدخل بوصف الظواهر اللغوية فى ضوء المعانى والدلالات الرمزية للثقافة الخاصة بشعب من الشعوب ·

الاجتماعية المرتبطة بها ٠ والعوامل التى تؤثر عليها فى نشأتها ، وهجراتها ، وتشعبها الى فصال ولغات ولهجات ، وصراع تلك اللغات واللهجات مع بعضها البعض ٠

ثالثا : النطاق الواسع والمحدود لعلم الاجتماع اللغوى :

(١) التصور السسيولوجى لتناول اللغة من منظور علم الاجتماع اللغوى

يشير المنظور لمجموعة المصطلحات المترابطة والتى تساعد على تنظيم عملية اختيار جوانب السلوك البشرى بطريقة مفيدة ٠ ومن ثم تخضع اللغة فى معالجة عالم الاجتماع اللغوى لها لطبيعة المنظورات السسيولوجية ، التى تتراوح مداخلها بين السعة والضيق ، حيث يمكن تميز مستويين من التناول للغة من قبل عالم الاجتماع اللغوى ، يتمثل مستوى التناول الأول للغة فى مستوى الماكرو Macro العام (الوحدة الكبرى) ويتمثل المستوى الثانى للتناول فى مستوى الميكرو Micro المحدود (الوحدة الصغرى)٠ وكلا المستويين يتساندان وظيفياً لتحقيق الفهم السسيولوجى للظاهرة اللغوية ٠ وقد عنى بتحديد وحدات التحليل لعلم الاجتماع اللغوى على مستوى الماكرو (الوحدات الكبرى) ، ومستوى الميكرو (الوحدات الصغرى) ، لفيف من علماء الاجتماع اللغوى ومنهم « جوشيا فيشمان » وذلك فى دراستها بعنوان «النطاقات بين الميكرو - والماكرو لعلم الاجتماع اللغوى » (١) ٠

وتأتى معالجة الظاهرة اللغوية من حيث نشأتها ، وتطورها ، وعلاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى ، والعمليات المرتبطة بها ، والوظائف التى تؤديها بالنسبة للثقافة والمجتمع والشخصية - أى تحليلها بنائياً ووظيفياً - لتشير الى نطاق المعالجة السسيولجية للظاهرة اللغوية من نطاق واسع ٠ فى حين أن تحليل العمليات اللغوية مثل : المحادثة ، والاحتكاك اللغوى ، والتحول اللغوى ، والتداخل فى استخدام اللغة ٠ والتركيز على

---

(١) Fishman, Joshua A., Domains Between Micro- and Macro- Socio-linguistics, in John J. Gumperz and Dell Hymes, (eds.) Directions in Sociolinguistics, Holt, Rinehart and Winston, 1972, pp. 435- 453 .

عناصر تلك العمليات من حيث المحادثة اللغوية ، والفعل اللغوى ، وأسلوب الكلام ، وعناصره ، وموقف الكلام ٠٠٠ الخ – أى تحليلها من منظور التفاعلية الرمزية – ليشير الى نطاق المعالجة السسيولوجية للظاهرة اللغوية من نطاق محدود ٠

(٢) نطاق الوحدات الكبرى لعلم الاجتماع اللغوى

يشير ذلك التناول للوحدات اللغوية الكبرى ، حيث يتم معالجة الظاهرة اللغوية من حيث : علاقتها بالسياقات الاجتماعية والثقافية ، وتأثرها بها فى نشأتها ، وتطورها ، وتفاعلها مع الظواهر الأخرى ، وأدائها لوظيفتها ٠ ويرتبط هذا المستوى من التناول بالنزعة البنائية بصورة أساسية ٠ وذلك لأنها تهتم بالشكل الكلى ، والعلاقات العامة التى تربط الظواهر الاجتماعية ببعضها ٠ وتؤكد على ضرورة تناول المكونات الجزئية على أساس التقائها مع الشكل الكلى فى وحدة مترابطة ، تحكمها علاقات محددة ، ومتبادلة ، ليس لأى منها أولوية على الأخرى ٠ وهى بذلك تقيم التكامل بين الجزء والكل ٠ أى بين اللغة كظاهرة اجتماعية ، والسياق الثقافى والاجتماعى الذى يمثل الكل ٠ ويرجع اهتمام « ليفى ستراوس » المحدود بالتنظيم الفعلى للمجتمع بالقياس لاهتمام ، « رادكليف براون » به الى أنه كان مهتماً باكتشاف العلاقات الأساسية بين العناصر المكونة للظاهرة محل البحث ٠ ومن ثم تزايد اهتمامه بالطريقة الصورية لترتيب الأجزاء وعليه أكد على اقامة النماذج العديدة لترتيب نفس الظاهرة أو نفس العناصر البنائية ٠ وعليه فان ليفى ستراوس يرى أن واجب علم الاجتماع والأنثروبولوجيا هو تطوير المفاهيم الملائمة لتقدير ووصف الظاهرة اللغوية (١) ٠

وبذلك يعتبر كلود ليفى ستراوس Claude Livi-Strauss (١٩٠٨) من أنصار المدخل الكلى العام الذى يقيم التكامل بين الظاهرة اللغوية والسياق الثقافى

---

(١) Cluck Smann The Structuralism of Livi-Strauss and Althusser, in Rex, John, Approaches to Sociology, London, Routledge and Kegan Paul, 1974, p. 234.

والاجتماعى للمجتمع ، حيث يدرسها من خلال علاقتها بهذا الكل الذى تمثله ثقافة المجتمع (١) ٠

وعليه فان تحليل اللغة من مدخل البنائية عند « ستراوس » يعتمد على استخدام العمليات الأربعة للمدخل البنائى والمتمثلة فى :

- التحول من دراسة الظاهرة اللغوية المدركة لدراسة البناءات التحتية غير المدركة ٠
- ألا نعالج المصطلحات باعتبارها موجودات مستقلة ، وانما نحلل بدلاً من ذلك العلاقة بين المصطلحات ٠
- أن نستخدم مفهوم النسق ، والذى يشير الى ترابط الوحدات ، وفائدتها بالنسبة للنظام اللغوى ٠
- أن نكتشف القوانين العامة التى تحكم النسق اللغوى ٠

وقد طبقت مدرسة براغ اللغوية الاتجاه البنائى فى دراستها للغة ، كما طبقت نفس الاتجاه مدرسة جنيف بصورة مبكرة ٠ ثم طبق أخيراً فى أعمال ليفى ستراوس ٠ ورغم ان النزعة البنائية قد طورت فى الدراسات البنائية للغة على يد « زليج هاريس » Zellig Harris الا أن النزعة البنائية ، وبنائية هاريس ، أصبحتا تشكلان الخلفية الفكرية للاتجاهات المتطورة لدراسة اللغة من منظور نظرية البناء اللغوى (٢) ٠ والتى تركز على الجانب الابداعى للغة ، وعلاقة اللغة بالذهن ، ومقدرة الناس على اكتساب النظام اللغوى للمجتمع ٠ وهذا المدخل النظرى لدراسة اللغة يختلف فى جانب واحد رئيسى عن المدخل الوصفى ، والمدخل الأنثروبولوجى البنائى للغة حيث

---

(١) Encyclopedia of Sociology, The Dushkin Publishing Group., Inc., 1974, p. 158.

(٢) Chomsky, Noam, Syntactic Structures, Mouton, The Hague, 1957. Humanities Press, 1957, p. 5. in Eastman, C., Aspects of Language and Culture, San Francisco, Chander and Sharp Publishers Inc., 1975, p. 38.

أنهما يهتمان بالمعطيات الأمبيريقية التى توفرها بيانات الملاحظة حول اللغة والثقافة ، فى حين أن مدخل النظرية البنائية للغة على العكس من ذلك اذ يبدأ من النظرية ، مستخدماً البيانات الواقعية لمراجعة مدى قابلية قضاياها للتطبيق ٠

أما دى روبرتى De Roberty (١٨١٣ - ١٩١٥) ، فقد اهتم بدراسة اللغة كظاهرة اجتماعية من خلال الحوار الذى طرحه حول قضية الفكر أو المعرفة ، عندما أشار الى أن المعرفة أو الفكر كظاهرة اجتماعية (فوق العضوية) تصدر عن تفاعلات أعضاء المجتمع ٠ ومن ثم ركز على عامل التفاعل فى حد ذاته من الزاوية الاجتماعية الخالصة ٠ وذلك لأن المعرفة لايمكن أن تظهر بدون وجود تفاعل دائم ٠ ويجرنا هذا لحقيقة مؤداها أن اللغة لايمكن أن توجد الا بين الكائنات البشرية ٠ كما أنها تمكننا من نقل وتحصيل المعرفة بأشكالها المختلفة ٠ وبذلك فان « دى روبرتى » يؤكد على التفاعل الاجتماعى كمدخل لدراسة اللغة (١) ٠

وعليه فان معالجة الظاهرة اللغوية يتم من خلال تناول علاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى ، مثل المعرفة أو الفكر ، والتفاعل الاجتماعى ، والتساند الوظيفى القائم فيما بين تلك الظواهر ٠ وقد أثر مدخل « دى روبرتى »، وليفى ستراوس على منحى البعض لدراسة اللغة من المنظور الواسع لعلم الاجتماع اللغوى Macro Sociolinguistics فاتخذوا من العلاقة بين اللغة والفكر البشرى مدخلهم لدراسة اللغة ٠٠ مؤكدين على أن وجود الفكر البشرى ، وتطوره يعتمد على اللغة فى المحل الأول (٢) ٠

---

(١) دكتور السيد على شتا ، البناء النظرى لعلم الاجتماع ، الخبر ، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ م ، الفصل الحادى عشر ٠

(٢) Lindersmith, A. & Atravos, A., Social Psychology, New york, Halt Rinhart and Winston, 1968, p. 104 .

ورغم أن التفاعل عند « دى روبرتى » يتم على المستوى الاجتماعى العام باعتباره ظاهرة اجتماعية خالصة ،، الا أنه عندما طرح تساؤلاته المتمثلة فى كيف تنظم المعرفة ؟ ، مامصدر ظهورها ؟ ، ولماذا توجد بين الكائنات البشرية فقط ؟ . وحاول الاجابة عليها . صاغ نظريته على أساس فرضه البيولوجى الاجتماعى Bio-Social Hypothesis لتحديد العامل المسئول عن ظهور المعرفة ونموها كظاهرة اجتماعية . حيث اعتبر تفاعلات الأعضاء البيولوجية ، وبصفة خاصة فى اطار الذهن ، احدى مصادر المعرفة ، ونموها فى جانب . بالاضافة الى تركيزه على عامل التفاعل فى حد ذاته من الزاوية الاجتماعية فى الجانب الآخر . الا أنه ذهب الى أن الفكر بأشكاله المختلفة لايمكن أن يظهر حتى لو توفر له البناء البيولوجى الرفيع للكائن العضوى بدون وجود لغة تحمل المعرفة أو الفكر . وأن اللغة لايمكن أن تظهر بدون تفاعل ذهنى دائم ، شأنها فى ذلك شأن المعرفة التى لايمكن أن تظهر بدون تفاعل . وبذلك فان اللغة هنا محوراً لعملية الاتصال ، والتفاعل بين الكائنات البشرية ، والتى تعتبر فى نظره أكثر المخلوقات اجتماعية لأنها تحمل معرفة تشير لأفكار معينة ، لاتعبر عن خبرة فردية محضة ولكنها تعبر عن خبرة جمعية للأجيال المتعاقبة ، ولذا فهى تثرى بدورها الخبرة الفردية ، والتى لاتتحدد فعليا الا بعد أن تجيزها الخبرة الجمعية . وبذلك نجد أن « دى روبرتى » قد مهد الطريق لظهور المدخل المحدود لفهم اللغة من منظور التفاعل والاتصال بين الكائنات البشرية . ورغم وضوح الزاوية الاجتماعية لهذا المدخل خلال تحليلات « دى روبرتى » فقد كان للمدخل الواسع لعلم الاجتماع اللغوى أثره على الدراسات التى تناولت الجانب اللغوى للثقافة من حيث طبيعتها ، وأصولها ، وتطورها ، والقوانين التى تحكم تطورها ، وعلاقتها بالسياقات الاجتماعية والثقافية ، وأدائها لوظائفها المختلفة ، بالنسبة للثقافة ، والمجتمع ، والشخصية . ومن ثم يعتبر المدخل البنائى الوظيفى لتحليل اللغة المنظور الملائم لتحليل الوحدات الكبرى، للظاهرة اللغوية فى ضوء مبادىء المنظور العلمى لعلم الاجتماع اللغوى .

(٣) نطاق الوحدات الصغرى لعلم الاجتماع اللغوى

Micro-sociolinguistices

تشكل معالجة الوحدات اللغوية الصغرى ضرورة ملحة لتحقيق الفهم العلمى للظاهرة اللغوية ، كظاهرة اجتماعية • وذلك لأن الفهم العلمى للظاهرة اللغوية ، يقتضى مراعاة طبيعة تلك الظواهر ، ومايرتبط بها من جوانب موضوعية ، وجوانب ذاتية • خاصة وأن الانسان متغير أساسى فى عمليات التفاعل ، والاتصال ، والمحادثة ، والتعلم ، والتى تشكل اللغة واستخدامات الانسان لها محوراً لتلك العمليات الاجتماعية • واللغة هنا بمثابة نسق رمزى ، يشير الى تلك الأصوات التى تستخدم كرمز لتحقيق الاتصال بين الأشخاص خلال العمليات الاجتماعية المختلفة ، وذلك لأن الرمز يعنى نفس الشيء بالنسبة لكل من المتحدث والمستمع ، ومن ثم فهو يحقق الاتفاق المتبادل بين الأفراد بالنسبة للدلالة والمعنى • وعليه فانه من خلال استخدام اللغة من قبل الانسان ، تتراكم الخبرات البشرية • ويستطيع الانسان أن يبتكر الموضوعات الرمزية ، التى يستجيب لها بدوره فى مختلف العمليات الاجتماعية •

وعليه فان تحليل هذه العمليات الاجتماعية ، يقتضى تناول اللغة ، وعملياتها فى ضوء منظور التفاعلية الرمزية • وذلك لأنها تؤكد على مجموعة من المفاهيم الأساسية المترابطة مثل الفاعل ، الذات ، والوعى الذاتى ، والآخر ، وشغل دور الآخر، وتعريف الموقف ، والرمز ونمط الفعل ، والتفاعل (١) •

وجميع تلك المفاهيم تشكل الوحدات الصغرى الأساسية ، التى يتناولها عالم الاجتماع اللغوى بالتحليل عندما يسعى لفهم عمليات الاتصال ، والتفاعل ، والمحادثة، والتعليم من حيث علاقتها بالسلوك اللغوى •

---

(١) Fitzgerald, Jack D., & Cox, Steven M., Unraveling Social Science, Chicago, Rand Mc Nally College Publishing Co., 1975, p. 12 .

وعليه فان تحليل التفاعلية الرمزية للمحادثة بين شخصين يتم على النحو التالى :

عندما يكون اثنان من المتفاعلين Actors (فردان فى نفس المكان والزمان) فانهما يتفاعلان Interact عادة • بمعنى أن كل واحد يتعرف على وجود الآخر ، وحضوره ، ويكيف سلوكه طبقاً له • وعليه فان التكيف السلوكي المتبادل بينهما يتضمن أخذ كل منهما لدور الآخر فى اعتباره • وعليه يعزو كل منهما ذاته للآخر • ومن خلال تلك العملية أى عملية العزو تلك يتعرف الآخر على وضع فئته الخاصة (من حيث الجنس ، المهنة ••• الخ) ، وبعزو الذات للآخر يتصور الفاعل نفسه يتبادل مع الآخر سلوكه • وعليه يحدد خط فعله الخاص (السلوك الغرضى) فى علاقته بالآخر •

وجميع تلك الأنشطة الرمزية تتم بسرعة كبيرة جداً • ومن خلال عملية السلب التى تتم عن طريق التكيف المتبادل ، والعزو المتبادل ، يصل المتفاعلون الى تعريف مشترك للموقف Situation ، والذى يتضمن الأدوار والذوات المشتركة فى الموقف •

وفى ضوء ذلك يمكن تحليل التفاعل الرمزى ، وعمليات التفاعل اللغوى ومايرتبط بها من تداخل لغوى ، أو تحول لغوى بالنسبة لمن يتحدث بلغتين أو أكثر أو لهجات حيث تكون وحدات التحليل :

- المجتمع اللغوى •
- والموقف اللغوى •
- المحادثة اللغوية •
- الفعل اللغوى •
- أسلوب الكلام •
- وطرق الكلام •

- وعناصر الكلام ٠

- والقواعد التى تحكم الكلام ، واختيار السلوك اللغوى فى الموقف ، أو المناسبة الاجتماعية ٠

الا أن ذلك كله يتم فى ضوء الاطار التحليلى للمحادثة من منظور التفاعلية الرمزية ، سواء فى حالة التداخل اللغوى ، أو اختلاف استخدام الشخص لنفس اللغة أو التحول اللغوى فى نفس الموقف بتغير الموضوع ، أو بتعرف المتفاعلين على بعضهما فى موقف المحادثة ٠

وقد كان لتحليلات « جوشيا فيشمان » لنطاقات الوحدات الكبرى ، والوحدات الصغرى فى علم الاجتماع اللغوى أثره على لفيف من العلماء الذين أولوا نطاق الوحدات الصغرى مزيداً من اهتماماتهم فى دراساتهم اللغوية ومنهم «تشارلز فيلمور» (١) الذى وضح ذلك فى دراسته للسلوك اللغوى بين الناس والمناسبات الاجتماعية الخاصة ، ومايرتبط به من معرفة ملائمة للغة المستخدمة ، وكفاءة الاتصال ، والتى يعبر عنها بالمقدرة اللغوية ٠ على أن نوفر فى الترابطات أمثلة للسلوك اللغوى ، وفاعليتها فى تحديد وظائف الاتصال ، وفئات الأحداث الاجتماعية التى تتمكن فيها نماذج السلوك اللغوى الخاصة من تحقيق وظائفها ٠ وعليه فان تحليل علم الاجتماع اللغوى فى نطاق الوحدات الصغرى يقتضى تحديد العناصر المختلفة للاتصال ، والتفاعل اللغوى ٠ وتحديد الأوضاع التى يتحقق الاتصال من خلالها ٠ هذا بالاضافة الى تحليل أدوار المشاركين التى تخلقها هذه الأوضاع ، والوظائف التى يمكن للفرد القائم بالاتصال أدائها فى هذه الأوضاع ٠

وبذلك فان اتجاه تحليل اللغة من منظور الوحدات الصغرى يستند لفرضية تشير

---

(١) Fillmore, Charles, A Grammarian Looks to Sociolinguistics, in Pride, J., 13, (ed.) Sociolinguistic Aspects of Language Learning and Teaching, op. cit., p. 5.

الى : أن أهمية اللغة فى تطوير الخبرة البشرية تكمن فى حقيقة مؤداها أن تكون المثيرات واحدة ، وأن يكون رد فعلها بالنسبة للفرد المتحدث كما هو بالنسبة لردود الفعل عند الآخرين • ومن ثم تتبلور وجهة النظر المحدودة لعلم الاجتماع اللغوى فى تناوله للغة ، والتى يعكسها بصورة أساسية مدخل التفاعلية الرمزية ، والتى تشير الى أن عملية التفاعل بين الكائنات البشرية تحدث على المستوى الرمزى من خلال اللغة• وقد أكدت المدرسة الاجتماعية النفسية التى تمثلها التفاعلية الرمزية على تطبيق هذه العملية بالنسبة للتنشئة الاجتماعية ، حيث لايمكن للانسان أن يكتسب انسانيته الكاملة الا من خلال التفاعل بين الفرد والمجتمع •

ويمثل هذا الاتجاه كل من « كولى » و « ميد » ، و « بلاو » و « جرفنكل » ، حيث وصفت وظائف التفاعل الاجتماعى بواسطة « شارلز هورتون كولى » ، وحددها أيضاً « جورج هربرت ميد » الذى أكد دور المجتمع فى تشكيل شخصية الفرد ، واحساسه بذاته ، وقرر أن كل فرد يتصور ذاته كما تبدو فى أذهان الآخرين ، وأن تقويمه لتصوره يؤدى به لاستمرار تعديله لسلوكه الخاص •

وقد وضع «جورج ميد » تأكيداً كبيراً على دور اللغة فى عملية التنشئة الاجتماعية عندما شعر بأن اللغة تضع الوسائل الملائمة ، والرموز المشتركة ،التى من خلالها يبلغ الطفل عقله البشرى بكامله • فالطفل طبقاً لرأى « ميد » يتعلم التفكير ويشعر بالطريقة التى يؤديها الآخرون • وفى النهاية تكون خبرة الطفل معبرة عن وجهة نظر الآخرين مثل أبويه •

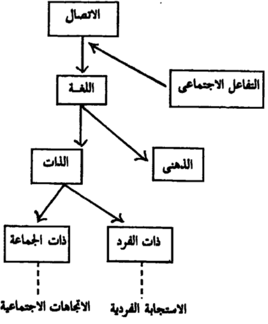
وبهذه الطريقة يستوعب الفرد الاتجاهات الاجتماعية ويعدل شخصيته طبقاً لها • ومن ثم ميَّز « جورج ميد » بين الذات (I) الفردية ، والذات الاجتماعية أى ذات الجماعة (Me) ، تلك الذات المنشأة والمزودة بمعايير المجتمع المحلى والتى تدرك الإلتزامات الاجتماعية • وعليه فان نظرية التفاعل الرمزى ذات أهمية خاصة لتأكيدها على الطريقة التى تؤثر بها اللغة والثقافة على العلاقات الاجتماعية • وبذلك فان مدخل

علم الاجتماع اللغوى المحدود النطاق يسعى لتحديد عناصر الاتصال ويزودها بتصنيف للأوضاع التى يتم فيها الاتصال فى المجتمع المحلى ، وكذلك أدوار المشارك التى تخلقها هذه الأوضاع ، والوظائف التى يمكن للفرد أن يؤديها فى عملية الاتصال (١) ٠

وعليه يعتبر « جورج ميد » اللغة ركيزة أساسية لعملية التفاعل الاجتماعى التى يتعلم من خلالها اتجاهات الآخرين وتوقعاتهم العامة ٠

وذلك مايوضحه نموذج « جورج ميد » لصياغة الذات الاجتماعية لدى الفرد والذى يوضحه الشكل التالى :

شكل يوضح نموذج صياغة الذات الاجتماعية



(١) ride, J.B., op. cit., p. 5 .

وبذلك يؤكد « جورج ميد » على اشتمال عملية التفاعل الاجتماعي على عناصر أساسية تتمثل فى الذهن ، واللغة ووعى الذات ٠ فمن طريق اللغة يتعلم الفرد الاتجاهات والمشاعر ، ومن ثم تتولد لديه الذات الاجتماعية ، التى تبدأ باستجابة الأنا ورد الفعل الشخصى للآخرين ، وتنتهى بالاستجابة لذات الجماعة من خلال الاتجاهات العامة المتفق عليها من قبل الجماعة ٠ وبتلك العملية يتم صياغة الذات الاجتماعية بعنصريها المتمثلان فى : الذات الفردية التى تشير للاستجابة الفردية لاتجاهات الآخرين ، وذات الجماعة التى تشير للاتجاهات الاجتماعية التى تم تعلمها ٠

ومن ثم يتكامل مدخل علم الاجتماع اللغوى الواسع النطاق مع مدخله المحدود النطاق فى تعيين أبعاد التصور السسيولوجى للغة كظاهرة اجتماعية تتأثر بالمحيط الثقافى والاجتماعى وتؤثر فيه من خلال عمليات الاتصال والتفاعل فى سياق المجتمعات العامة والمجتمعات المحلية ، والتنظيمات الاجتماعية ، والجماعات الاجتماعية المختلفة ٠

* * *

الفصل الثانى
اللغة من منظور علم الاجتماع اللغوى

تمهيد :

لعلم الاجتماع اللغوى منظوره الخاص الذى ينهض على مجموعة المفاهيم والرموز المترابطة والتى تحدد رؤيتنا للغة واختياراتنا للجوانب المرتبطة بالظاهرة اللغوية ، وتوجه مسار تعاملنا مع الوقائع اللغوية باعتبارها وقائع اجتماعية • وعلم الاجتماع اللغوى فى ذلك موجه بمبادىء المنظور العلمى لعلم الاجتماع ، والتى تحدد تصوره ، ومعالجته للظواهر الاجتماعية ، بما فيها الظاهرة اللغوية •

وعليه تتحدد معالم الفهم السسيولوجى للغة كظاهرة اجتماعية ، بطبيعة المنظورات السسيولوجية التى يستند اليها الباحث ، فى تناوله للغة ، ومعالجته لها من ناحية ، وفى تحليلها ، والتفسيرات التى يقدمها لها من ناحية أخرى • كما أن المدخل النظرى لتناول اللغة يوجه الباحث بدوره فى تحليله للظاهرة اللغوية ، والتفسيرات التى يخلعها عليها • ومن ثم يتصاهر مدخل الباحث لتناول اللغة مع ، مدخله لتحليلها وتفسيرها ليشكلان معا معالم التصور السسيولوجى (منظور علم الاجتماع) لدراسة اللغة ، وفهمها ، وتحليل خواصها ، وتفسير عملياتها ، والعوامل التى تتحكم فى أدائها لوظيفتها •

ومن ثم نتناول اللغة بالتعريف لتحديد ماهيتها ، ومعناها ، وارتباطها بالسياقات الاجتماعية والثقافية • وذلك تمهيداً لتحديد الخصائص الأساسية ، التى تميز الظاهرة اللغوية كظاهرة اجتماعية ، متعقبين بعد ذلك مداخل دراسة الظاهرة اللغوية ، وحدود تناولها من منظور البنائية الوظيفية ، والتفاعلية الرمزية • وذلك تمهيداً لتقديم التحليل الوصفى ، والتحليل التفسيرى للغة كظاهرة اجتماعية تخضع فى نشأتها ، وتطورها ، وأدائها لوظيفتها لعوامل اجتماعية ، وثقافية متعددة •

وفى ضوء ذلك يعالج هذا الفصل الموضوعات التالية :

- اللغة (ماهيتها ومعناها) •
- اللغة كظاهرة اجتماعية •
- أبعاد التحليل السسيولوجى للغة •
- وصف الظاهرة اللغوية وتفسيرها من منظور علم الاجتماع اللغوى •

أولاً : اللغـة (ماهيتها ومعناها)

تعرف اللغة من حيث معناها العام بأنها عبارة عن « مجموعة من الرموز ، تعارف الناطقون بها على دلالة ومعنى كل رمز منها ، ويستعملونها فى التفاهم بينهم»(١) • وهى أى اللغة تستخدم من قبل الانسان بصورة دائمة (سواء كانت منطوقة أو مكتوبة) ، لأنها القناة الأساسية التى يتصل من خلالها الانسان بالآخرين ، ويقيم بواسطتها تفاعله معهم ، وينقل عبرها مشاعره وأفكاره للآخرين • ومن ثم عرف علماء الاجتماع اللغة بأنها « نسق رمزى (٢) Sympolic System يحقق من خلالها الانسان الاتصال بالآخرين » • وعندما يستخدم الشخص الرموز اللغوية فى اتصاله بالآخرين فان تلك الرموز تعنى نفس المعانى والدلالات لكل من المتكلم والمستمع • والانسان بذلك يبتكر دائماً الرموز الجديدة للاشارة الى جوانب متعلقة ببيئته ، وبذلك تعتبر اللغة من وجهة نظر علماء الاجتماع نسقاً رمزياً مفتوحاً Open System، فى حين أن انساق الاتصال للحيوانات مغلقة • وذلك لأن التعليم عامل هام فى تنمية لغة الانسان على مر الزمن ، فى حين أن لغة الحيوان لايعتريها تغير عبر الزمن • ومن خلال استخدام الانسان للغة تخلق الموضوعات الرمزية ، ثم يستجيب

---

(١) دكتور حسين حمدى الطوبجى ، وسائل الاتصال والتكنولوجيا فى التعليم ، الكويت ، دار العلم ١٩٨٢ م ، ص ٢٧ •

(٢) Fitzgerald, Jack D. & Cox, Steven M., op. cit. p. 12 .

الانسان للموضوعات الرمزية التى خلقها • وقد عرفت اللغة فى معجم مصطلحات الأدب بالاشارة لأكثر من جانب من الجوانب المرتبطة باللغة • فعرفت من حيث كونها وسيلة للاتصال بأنها « كل وسيلة لتبادل المشاعر والأفكار كالاشارات والأصوات والألفاظ » •

واللغة بذلك ضربان : لغة طبيعية كبعض حركات الجسم والأصوات المبهمة • ووضعية ، وهى مجموعة رموز أو اشارات أو ألفاظ متفق عليها للتعبير عن المشاعر والأفكار • واذا كانت لغة الحيوان تعتمد على الحركة ، وتعبر عن حاجة مباشرة ، فان لغة الانسان تعبير مقصود فيه خيال يرتبط بالمستقبل • ولغة الانسان بذلك لغة وضعية وتشكل ، ظاهرة اجتماعية تختلف باختلاف العصور والشعوب •

كما أن اللغة عندما تعرف من حيث القواعد التى تحكم استخدام الانسان لمفرداتها ، فانها تكون بذلك « مجموعة مفردات الكلام ، وقواعد توليفها التى تميز جماعة بشرية معينة تتبادل بواسطتها أفكارها ورغباتها ومشاعرها » •

وبالنسبة لتعريف اللغة من حيث كونها أسلوباً تعبيرياً فانها تشير الى« مجموعة الألفاظ والصيغ اللغوية ، وخصائص الأساليب الكلامية التى تميز طائفة اجتماعية معينة (الأدباء ، والقانونيين ، العسكريين) أو مؤلف ما مثل(ابن خلدون أو المعرى)» •

وفى ضوء ذلك يمكن تعريف اللغة الوظيفية (لغة الانسان) بأنها نسق رمزى مفتوح ، يحقق الاتصال ، وتبادل المشاعر والأفكار بين الأشخاص ، ولها قواعدها التى تحكم استخدام الانسان لمفرداتها ، وللصيغ والأساليب الكلامية ، والتى تخضع بدورها لطبيعة المحيط الاجتماعى والثقافى لمستخدميها • واللغة بذلك تشكل ظاهرة اجتماعية تتعرض للنمو والتغير ، وتختلف باختلاف الشعوب والعصور (١) •

---

(١) Wahba, Magdi, A Dictionary of Literary Terms, Beirut, Libraire Du Liban, 1974, p. 278 .

والواقع أن ثمة تعريفا ت عديدة للغة طرحت من قبل المعنيين بدراسة اللغة فقد ذهب عالم الصوتيات اللغوية الانجليزى « هنرى سوت » Henry Sweet فى تعريفه للغة الى أن اللغة تعبير عن الأفكار ، بواسطة أصوات الكلام ، التى تتضمنها كلمات. والكلمات التى تتضمنها عبارات • وهذا التضمين للأصوات فى كلمات وللكلمات فى عبارات يجيب على الأفكار محل الاهتمام (١) •

كما صاغ كل من عالمى اللغة « برنارد بلوخ » Bernard Bloch وجورج تراجر» George L. Trager تعريفهما للغة فى مؤلفهما بعنوان « موجز التحليل اللغوى » ١٩٤٢م على أساس أن اللغة نسق الرموز الكيفية المنطوقة والتى تتعاون بواسطتها جماعة اجتماعية ، وبذلك نجد أن التعريف الأول يركز على التفكير فى حين أن التعريف الثانى يركز على الجانب الكيفى للرموز اللغوية المنطوقة فى انساق الاتصال اللفظى التى تحوى لغات مختلفة •

ويأتى تعريف عالم اللغة النمساوى « فرديان دوسوسور » F. de Saussure فى مؤلفه بعنوان « درس فى علم اللغة العام » ١٩١٦م (٢) حيث نجده يعرّف اللغة على أساس التفرقة بين اللغة Langue والكلام Parole ، وأن اللغة ظاهرة اجتماعية تشترك فيها جماعة بشرية معينة • وهى بحكم كونها ظاهرة اجتماعية تنشأ من طبيعة الاجتماع ويشرف عليها العقل الجمعى لتلك الجماعة ، فى حين أن الكلام يشير لتطبيق الفرد للنظم اللغوية التى تواضع عليها مجتمعة فى تفاهمه مع الآخرين • ومن ثم فان الكلام يتأثر أحياناً بالعوامل الجسمية والنفسية رغم أنه يخضع للمؤثرات الاجتماعية والثقافية شأنه فى ذلك شأن اللغة •

---

(١) The New encyclopedia Britannica, Chicago, London..., Helen Hemingway Benton, Publisher, 1973 - 1974, Vol. 10., p., 642 .

(٢) تضمن هذا المؤلف مجموعة من بحوث دوسوسور التى جمعها تلاميذه بعد وفاته فى مؤلف سموه " Cours de Linguistique Generale, 1916 . "

ومن ثم فان العلاقة بين اللغة والكلام معقدة من حيث الاستخدام رغم وضوح تأثرهما بالعوامل الاجتماعية والثقافية . فعندما تشير الي أن جميع أعضاء مجتمع لغوى معين ، يتحدثون بلغة معينة ، مثل الانجليزية ، أو العربية ، أو الفرنسية ، فاننا نعنى أن لهم نظامهم اللغوى ، الذى تميزه خصائص بنائية معينة ، تجعلهم يستخدمون عبارات كلامية معينة تميز استخداماتهم للغتهم عن اللغات الأخرى .

وقد تأثر بتعريف « دوسوسور » معظم المدرسين ومنهم « شومسكى » Chom-sky والذى قد أقام حديثا نفس التمييز بين بعض المصطلحات اللغوية الانجليزية ليقابلها بمصطلحات « دوسوسور » (١) . أما من حيث تأثر اللغة والكلام بالسياق الاجتماعى والثقافى لكون اللغة ظاهرة اجتماعية ، فذلك ما أكده « جورج هربرت ميد » عندما أوضح أهمية فهم اللغة خلال التفاعل الاجتماعى ، وعندما حاول «انتون مييه » Antoine Meillet وضع اللغة فى سياقها الاجتماعى والثقافى .

أما بالنسبة لمصطلح الرموز Symbols المجردة التى يُضمنها الناس فى اللغة ، فانها تختلف عن الاشارات التى تصدر عن الكائنات الحية . وذلك لأن الأخير صراخ انفعالى يحدثه الشخص استجابة لحاجة معينة أو لموقف ، أما الرموز اللغوية فهى على النقيض من ذلك تماماً ، لكونها أسماء لأشياء (فئات ، وأفراد) على نحو ما ذهب « كوين » J. Quinn (٢) . ومن ثم فان الرموز اللغوية تخضع بدورها للظروف والمتواضعات الاجتماعية ، لكونها تشكل فى حد ذاتها وفى سياقها اللغوى ظاهرة اجتماعية .

---

(١) Lyons, John, Introduction to The Theoratical Linguistics, Cambridge, at the University Press, 1971, p. 51 .

(٢) Quinn, James A., Sociology, A Systematic Analysis, Philadelphia, J. B. Lippincott Co., 1963, p., 22 .

ثانيا : اللغة كظاهرة اجتماعية :

تشير اللغة لجميع التعبيرات (منطوقة أو مكتوبة) ، والاشارات والحركات المستخدمة فى عملية الاتصال الرمزى والتفاعل بين الأفراد • وهى بذلك تُرى كمحادثة ايمائية تبدو من عملية التفاعل • ويمكن للمتفاعلين أن يستخدموا لغة الاشارات الصامتة ، أو التعبيرات المختلفة فى مواقف التفاعل الرسمية والغير رسمية • واللغة بذلك سلوك توجهه معايير ومعانى وقيم معينة فى مواقف التفاعل التى تحددها المناسبات الاجتماعية المختلفة • وبذلك يتضح أن اللغة والتفاعل فى حالة مصاهرة دائمة تولدت عن طبيعة التساند الوظيفى بينهما والذى أكده « دى روبرتى » عندما ذهب الى أن ظهور المعرفة ونموها يعتمد على التفاعل بين الأفراد والأجيال ، وأن المعرفة لايمكن أن تظهر وتستمر دون أن توجد لغة تحملها ، وأن اللغة لايمكن أن تظهر بدون وجود تفاعل ذهنى ، واجتماعى كامل بين أعضاء المجتمع (١) •وعليه ذهب « الفريد ليندسميت » A.R. Lindesmith و « انسلم ستراوس » Anselm L. Strauss فى مؤلفهما (علم النفس الاجتماعى) الى أن اللغة والفكر البشرى يرتبطان بأحكام لأن الفكر البشري لايمكن أن يوجد بدون لغة (٢) • فى حين أن « جورج ميد » يكشف فى تحليله للغة عن الصلة الوثيقة بين اللغة والتفاعل الاجتماعى عندما يذهب الى أن الأهمية النقدية للغة بالنسبة لنمو الخبرة البشرية تكمن فى حقيقة وحدة المثيرات ، التى يمكن أن تنعكس على الفرد المتحدث، كما تنعكس على الآخر (٣) • وذلك يعنى أنها أساسية لعملية التفاعل الاجتماعى•

---

(١) دكتور السيد على شتا ، البناء النظرى لعلم الاجتماع ، المرجع السابق ، الفصل ١١ •

(٢) Lindesmith, A. R. & Anselm L. Strauss, op. cit. p. 104 .

(٣) Mead, G. Mind, Self and Society, (ed.) by Markis, Charles W., Chicago, The University of Chicago Press, 1943, p. 69 .

وإذا كانت الظاهرة الاجتماعية تعرف بأنها تفاعل بين شخصين أو أكثر ، يتعين لاتمام التفاعل بينهما أن يكون الفعل الانسانى الصادر عن شخص معين معتمداً على صدور فعل عن شخص آخر (١) • وأن مجموعة الألفاظ والعبارات التى استخدمها للتعبير عن افكاره بمثابة ظاهرة اجتماعية على نحو ما ذهب « دور كايم » ، وأنها بمثابة ضرب من السلوك يمتاز بقوة أمره تفرض نفسها على الفرد (٢) ، فاننا فى دراستنا للغة نكون بصدد ظاهرة اجتماعية ، يُعنى بدراستها وتحديد خواصها وعلاقتها بما عداها من الظواهر الزخرى فرع أساسى من فروع علم الاجتماع ، يطلق عليه علم الاجتماع اللغوى Sociolinguistics, Sociology of Language (٣)

ومن ثم فان اللغة شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى ، تنطوى على صفات وخصائص ذاتية من نوع خاص جداً ، وذلك لأنها تختلف عن الظواهر العضوية لكونها تنحصر فى بعض التصورات والأفعال ، وتختلف عن الظواهر النفسية وذلك لكون تلك الظواهر لاتوجد الا داخل شعور الفرد وبسببه ، ولهذا اعتبرت الظاهرة اللغوية مع بقية الظواهر الاجتماعية الأخرى ، ظواهر من نوع خاص على نحو ما ذهب عالم الاجتماع الفرنسى « اميل دوركايم » • وبحكم أن اللغة عنصر أساسى من عناصر التراث الاجتماعى ، وواحدة من الظواهر الاجتماعية التى تشكل الواقع الاجتماعى ، فانها تتصف بمجموعة من الخصائص التى تميز الظواهر الاجتماعية وتحدد ماهيتها •

---

(١) نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع ، ترجمة محمود عوده وآخرون ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٢م ، ص ٤٥٨ •

(٢) اميل دور كايم ، قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، ترجمة الدكتور محمود قاسم والدكتور السيد محمد بدوى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ ، ص ٣٢ •

(٣) Fergugon, Charles A. Foreward (in) Fishman, J. A., Sociolinguistics, Rowley, Massachusetts, Newbury House Publishers, 1972, p. vi.

(١) الخصائص المميزة للظاهرة اللغوية كظاهرة اجتماعية :

تتصف الظاهرة اللغوية بمجموعة الخصائص التى تميز الظواهر الاجتماعية الأخرى ، باعتبارها ضرب من ضروب السلوك ، والتفكير ، والشعور ، ولكونها توجد خارج الفرد وتفرض نفسها عليه · وبهذا المنطلق يمكننا فهم جوامع الكلمات ، والأمثال ، والأقوال الشعبية ، وأساليب التعبير اللغوية ، وقواعد الذوق الأدبى التى تضعها مختلف المدارس الأدبية،والدلالات الرمزية للكلمات والعبارات المنطوقة والمكتوبة· اذ أن تكرار هذه الحالات الاجتماعية المرتبطة بالسلوك اللغوى يكسبها قوة وصلابة ، تجعلها تتخذ لنفسها صورة حسية خاصة بها ، وتصبح ظواهر حقيقية قائمة بذاتها ، ومتمايزة عن الظواهر الفردية التى تسهم فى تشكيلها · وذلك لأن العادة الاجتماعية تمتاز بالاضافة الى ماتؤدى اليه من أفعال متتابعة ، بكونها تثبت بصورة نهائية فى صيغة تتكرر من فم لآخر ، وتنتقل بطريقة التربية ، وتثبت أيضاً بالكتابة · وبذلك يكون للغة فاعلية فى تثبيت عناصرها ، وتحقيق تكرارها ، وتناقلها · ويرجع هذا لكون اللغة ركيزة أساسية للتراث الاجتماعى والثقافى الذى هى جزء منه · وذلك لأنها بمثابة الوسيلة الأساسية للتخاطب ، والتفاهم ، وتبادل الآراء ، والاتفاق على أساليب التفكير والعمل (١) · وعليه تتوفر لها الخصائص التالية :

أ - تتصف اللغة كظاهرة اجتماعية بتلقائية النشأة ، أى أنها بحكم تراكماتها التاريخية ، وبحكم أنها تنشأ خارجة عن الأفراد لأنها من صنع الجماعة ، ومحصلة التراكمات التاريخية للموروثات الاجتماعية ، والثقافية ، فانها تكتسب خاصية التلقائية ، حيث يتناقل الخلف عن السلف مفرداتها ، وعباراتها ، وأساليبها · ويخضعون لأحكامها وقواعدها ، ويحترمون دلالاتها ، وتركيباتها ،

---

(١) دكتور مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الثانى ، المدخل لعلم الاجتماع ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٦٥ ، ص ١٧٩ ·

ويكتسبون عناصر اللغة المتمايزة Emics، والسمات الصوتية المميزة لها Etics (١) ·

ولهذا فان على الباحث الأنثروبولوجى ، الذى يعنى بدراسة اللغة ، فى علاقتها بالسياقات الثقافية ، والاجتماعية ، أن يراعى العناصر ، والدلالات الصوتية المميزة فى سياق الثقافة التى يدرسها ، خاصة وأن لكل ثقافة عناصرها اللغوية ، ودلالاتها الصوتية ، بالنسبة لحاملها · فى حين أن نفس تلك العوامل فى ثقافة أخرى قد لاتكون لغتها متمايزة من حيث السمات الصوتية ·

وعليه يتعين على الباحث ألا يهتم بفرض العناصر اللغوية والدلالات الصوتية الخاصة به على الثقافة التى يدرسها ، وأن يسعى بدلاً من ذلك الى اكتشاف تمايز العناصر اللغوية ، والدلالات الصوتية للثقافة التى يدرسها ، بملاحظة السلوك اللغوى لحاملى الثقافة الذين يتفاعلون مع بعضهم · والذين يسبق وجود اللغة فى الجماعة وجودهم الفردى ، حيث أنهم عندما يولدون تقوم الجماعة بوظيفة تلقينهم تراثها الاجتماعى بما فيه اللغة باعتبارها احدى عناصره الأساسية فتعلمهم الكلمات ، وتركيب الجمل ، وربط الكلمات بالأشياء ، وتعيين دلالات الجمل والعبارات ، وحدود استخداماتها فى المواقف والمناسبات الاجتماعية · وبالتالى تزودهم من خلال اللغة بمقوماتها التاريخية والثقافية والاجتماعية السائدة لدى الجماعة ·

وبذلك تكون اللغة بمثابة القناة التى يتلقى من خلالها الخلف عن السلف أصول العادة ، والأساليب اللغوية ، والدلالات الصوتية المميزة للغة الجماعة ، وثقافتها، واللهجات اللغوية المميزة لها ·

ب - تمتاز اللغة أيضاً باعتبارها ظاهرة اجتماعية بخاصية العمومية ، والانتشار حيث يشارك فيها عدد من الأفراد والجماعات يستخدمون مفرداتها، وتعبيراتها ،

---

(١) Carol, op. cit. p. 23 .

وأساليبها ، ودلالاتها الصوتية المميزة لها ، كما أنها تظهر بين من يستخدمونها كوسيلة للتفاعل والاتصال فيما بينهم ، فى صورة واحدة الى حد ما خلال فترة زمنية طويلة • اضافة لذلك فاللغة تستخدم فى مختلف المجتمعات البشرية رغم تنوع مفرداتها ، وتركيباتها ، ولهجاتها ، وأساليبها ، ودلالاتها الصوتية المميزة لكل منها ، بالنسبة للمجتمعات ، والجماعات المحلية ، التى تدخل فى صميم حياتها وتنظيماتها •

ج - تتصف اللغة كظاهرة اجتماعية بخاصية النسبية • وذلك لأنها رغم عموميتها وتكرارها بين الأفراد ، والجماعات ، والمجتمعات ، فان اختلاف الجماعات الاجتماعية والمجتمعات وتمايز مورثاتها الثقافية لاتجعلها توجد على شاكلة واحدة من حيث المفردات ، والكلمات ، والقواعد والتركيبات اللغوية ، والأساليب المستخدمة للتعبيرات ، والدلالات الصوتية المميزة لها • اضافة الى انقسامها إلى لهجات اجتماعية .

فاللغات المختلفة تجزأ وتقنن فى فصائل عامة ، بطرق مختلفة • ونتيجة لذلك فان المتحدثين بلغات مختلفة ، يميلون لأن يكون لهم ادراكات مميزة نسبياً الى حد ما للحقائق فى مناطق معينة (١) • وحتى بالنسبة للغة الواحدة فانها تخضع لخاصية النسبية تلك ، حيث نجد أن ثمة أنماط معينة للحديث مطلوبة بالنسبة للمواقف الاجتماعية المختلفة • وبالنسبة للخصائص الاجتماعية لمواقف الحديث ، حيث يختلف استخدام اللغة باختلاف الطبقة الاجتماعية ، والاتجاهات والأحكام التى تتمسك بها الجماعات المهنية ، والتعليمية ، والاقتصادية ، والعمرية ، والعرقية ، والنوعية (أناث وذكور) • مثال ذلك أن حديث جماعات اجتماعية معينة يكون له أساليبه الخاصة ، ودلالاته الصوتية

---

(١) Encyclopedia of Sociology, op . Cit. p. 160 .

المميزة له (١) • بالنسبة لمن يتكلمون لغة واحدة • ويعزى هذا الوضع الى تأثير العوامل الاجتماعية والثقافية على الجماعات الاجتماعية ، وجعلها متمايزة فى خواصها الثقافية والنفسية ، بالاضافة الى تلك العوامل التى تجعل خواصها العرقية والجسمية والنفسية ، والتى تعمل جميعها على توجيه اللغة لدى كل جماعة ، بصورة تجعلها مختلفة عن غيرها ، من حيث تطور أساليبها ، والدلالات الصوتية المميزة لها • ويرسم لنموها نهجاً مخالف لغيرها من اللهجات • والتى تستمر فى تباعدها بصورة تتحول معها كل لهجة منها الى لغة مستقلة ، ومتمايزة فى مفرداتها ، ودلالاتها الصوتية المميزة لها ، والتى تجعلها مفهومة بالنسبة للناطقين بها فقط (٢) • ثم لاتلبث هذه الاختلافات أن تخلع تأثيرها على الأساليب اللغوية التي تتأثر فى المحل الأول بطبيعة الفروق الثقافية • تلك الفروق الثقافية التى تفرض بدورها اختلافاً نسبياً بين اللهجات • وبوجه خاص فى ثلاثة جوانب أساسية يتمثل أولها فى : اختلاف أساليب السلوك اللغوى بمختلف أنواعه المتعلقة بالكلام ، والكتابة سواء كانت نثراً أو شعراً أو قصة (لغة الأدب) • ويتمثل الجانب الثانى فى اختلاف الدلالة الصوتية للحروف التى تتكون منها كلمة واحدة • أما الجانب الثالث فيتمثل فى اختلاف دلالة الكلمات باختلاف الجماعات الناطقة بها • وتنوع المعانى المرتبطة بمفردات كل لهجة من لهجات تلك الجماعات عن الأخرى •

وعليه نجد أن فنون لغة الأدب سواء كانت نثراً أدبياً ، أو قصة أو شعر ، أو خطابة ، بالاضافة الى الفروق القائمة فيما بينها من لغة لأخرى ، من حيث نظمها ، وتركيب جملها ، وجرس ألفاظها ، وطريقة الاستدلال ، ومنحى

---

(١) Encyclopedia of Sociology, Ibide, p. 278.

(٢) دكتور على عبدالواحد وافى ، علم اللغة ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الطبعة التاسعة ، ص ١٧٦ •

الأسلوب ، فان هذه الفنون تختلف عن غيرها فى لغة أخرى ، من حيث طبيعته، وموضوعاته ، ومدى صلته بالادراك الوجدانى ومايتعرض له من تجديد ، وتطور ، ومايرتبط به من وظائف تحددها الأغراض التى يرمى اليها كل منها ٠

وذلك يرجع فى أساسه لنسبية اللغة ، المرتبطة بنسبية الطابع الثقافى والاجتماعى للجماعات والمجتمعات ٠ ورغم ذلك فان ثمة وجوه شبه تبقى من قريب أو بعيد فى أصول مفرداتها ٠ وبعض مظاهر قواعدها ، وبعض الأساليب اللغوية ودلالاتها الصوتية وذلك ماهو واضح بالنسبة لطوائف اللغات الهندية - الأوربية ، التى رغم مابينها من اختلافات مازال هناك بعض الدلالات التى تشير لما بينها من صلات ترجع لأصلها الأول الذى تفرعت منه (١)٠

د - وتشكل جبرية اللغة احدى الخصائص الأساسية المميزة لها باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، وهى الخاصية التى أولاها عالم الاجتماع الفرنسى « اميل دوركايم » مزيداً من اهتمامه فى تعريفه للظاهرة الاجتماعية ٠ حيث اعتبرها ضرباً من ضروب السلوك ، الذى يباشر نوعاً من الالزام والقهر الخارجى على الأفراد ٠ ويرجع ذلك فى أساسه لكون اللغة كظاهرة اجتماعية من صنع العقل الجمعى٠ وأنها تعبر عن رغبات المجتمع وأفكاره ، وتخضع لمنطق العقل الجمعى٠ ولذا فاننا نستخدم لغة جماعاتنا الاجتماعية ، ونلتزم بمفرداتها ، وأساليب تعبيرها ، والدلالات الصوتية للحروف والمعانى المرتبطة بالكلمات ٠ ولانخرج عنها لأننا لو خرجنا عنها تعرضنا لصور الجزاءات الاجتماعية ، سواء كانت مادية أو معنوية ٠

ورغم أن اللغة تتصف بخاصية الجبر والالزام الا أننا لانكاد نشعر بجبريتها الا عندما نخرج عليها ، ونتعرض لأى من جزاءات المجتمع ٠ وذلك لأن هذا

---

(١) دكتور على عبدالواحد وافى ، علم اللغة ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ ٠

الالزام يوجد فى حالة عدم المقاومة بصورة لاشعورية ، لأننا اكتسبنا اللغة ، وتعلمناها من الجماعة التى زودتنا بها بصورة تدريجية • بدأ من نطق الحروف والكلمات ، وتركيب الجمل ونطقها أو التفوه بها ، ثم استخدامها بدلالاتها فى المواقف والمناسبات الاجتماعية • وفهم دلالاتها الصوتية والمعانى المرتبطة بالكلمات • كل ذلك نتلقاه من الجماعة التى ننتمى اليها والتى تلقيناها خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، وعن طريق التربية (١) • ولذا لانكاد نشعر بجبريتها لأنها مبثوثة فى وجداننا ، وادراكاتنا ، بحيث أصبحنا نستخدمها بصورة تلقائية • واذا ما اتصلنا بجماعة أخرى لها لغة غير لغتنا نشعر بمدى الزام اللغة وجبريتها•

هـ - تتسم اللغة بخاصية التساند وتبادل الاعتماد والتأثير مع الظواهر الاجتماعية الأخرى • بذلك تمتاز الظاهرة اللغوية بكونهامتساندة وظيفياً مع بقية الظواهر الاجتماعية الأخرى ، فى تشكيل الواقع الاجتماعى ، الذى يتألف من مجموع تلك الظواهر • وتتحدد جوانبه الثقافية والاجتماعية والشخصية بطبيعة تلك الجوانب ، التى تشكل عناصر الظواهر الاجتماعية ، بما فيها الظاهرة اللغوية ، تلك العناصر التى أكد عليها علماء الاجتماع ومنهم «تالكوت بارسونز» على ترابطها وتبادلها الاعتماد والتأثير • وطالما أن العناصر الثقافية والاجتماعية والشخصية عامة ومشتركة بالنسبة لجميع الظواهر الاجتماعية ، فانها بذلك تشكل محوراً للترابط والالتقاء ، وتبادل التأثير والاعتماد فيما بين الظواهر الاجتماعية والظاهرة اللغوية ، وذلك بعينه ما جعل الظواهر الاجتماعية بما فيها اللغة تنطوى على صفات ذاتية من جنس خاص جداً ، تميزها عما عداهما من الظواهر النفسية ، وذلك لأن الظواهر النفسية لاتوجد الا داخل شعور الفرد وبسببه (٢) • فى حين أن الظاهرة اللغوية لها تجسيدها الخارجى وتوجد بحكم

---

(١) اميل دور كايم ، قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، المرجع السابق ، ص ٣٢ •

(٢) اميل دور كايم ، قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، المرجع السابق ، ص ٣٤ •

عوامل ثقافية واجتماعية خارج شعور الفرد ، رغم أن لها انعكاساً على وجدان الفرد وتفكيره بالصورة التى تجعل سلوكه اللغوى مرتبطاً بالسياقات الاجتماعية والثقافية للنماذج الاجتماعية للمجتمعات المختلفة .

و - وتتصف الظاهرة اللغوية كظاهرة اجتماعية بخاصية الشيئية ، وذلك لأن اللغة سلوك يعم فى المجتمع بأسره ، وذو وجود خاص مستقل عن الصورة التى تشكلت بها اللغة فى الحالات الفردية . وكون اللغة سلوكاً يعم فى المجتمع ويتكرر حدوثه ، ومستقل عن الصور التى تشكل بها فى الحالات الفردية ، فان اللغة تخضع للملاحظة ويمكن مشاهدتها ، والتحقق منها ، سواء كانت اللغة فى شكل دلالات صوتية لحروف الكلمات ، أو فى شكل كلمات وعبارات وأساليب مميزة ، أو فى صورة دلالات ومعانى لتلك الأساليب اللغوية . وهى موزعة بين لغة الآداب (شعر ، قصص ، نثر أدبى .. الخ) ، أو بين اللغات التطبيقية للعلوم المختلفة . وذلك ما تؤكده الدراسات التطبيقية المعاصرة ، التى استهدفت التحقق من أبعاد السلوك اللغوى فى غرفة الدراسة ، من خلال قياس التفاعل اللغوى بين التلاميذ والمدرس ، بتحديد مقدار الكلمات التى يستخدمها كل من التلاميذ والمدرس خلال القاء الدرس . هذا بالاضافة الى العديد من الدراسات التى استهدفت تناول اللهجات المتفرعة عن اللغة العربية فى الوطن العربى ، وعلاقتها باللغة الفصحى من ناحية ، وعلاقتها ببعضها من ناحية أخرى ، سواء فى محيط دول العالم العربى عامة (١) .أو فى نطاق دول الخليج خاصة (٢) . وتعد الدراسة الامبريقية التى نفذها « الياز اوليفرز » L.Elias- Oliveres بعنوان « استخدام اللغة فى المجتمع المحلى لشيكاغو »

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالله ، نحو تفصيح العامية فى الوطن العربى ، الرباط ، المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى ، جامعة الدول العربية ، ١٩٧٢ م .

(٢) دكتور عبدالعزيز مطر ، ظواهر نادرة فى لهجات الخليج العربى ، قطر ، ١٩٧٦م .

عام ١٩٧٦م ، نموذجاً للدراسة الامبيريقية الكمية للمعايير اللغوية السائدة فى المجتمع المحلى • حيث كشفت عن كيفية اختيارات الطبقة العاملة ، والطبقة الدنيا من بين اللهجات الأسبانية الأربع السائدة ، بالاضافة للغتهم الانجليزية المحددة الخصائص والسمات بين الجماعات « العرقية » بالمجتمع المحلى لشيكاغو (١) •

ويضيف التقرير الخاص بمشروع دراسة اللغة الفرنسية للمؤسسة الوطنية للبحث التربوى (NFER) والذى عرضه « بيرستال » C.Burstall تأكيداً آخراً لامكانية اخضاع اللغة للقياس الكمى حيث كانت الأهداف الرئيسية للدراسة :

- بحث تطور اتجاهات التلاميذ على المدى الطويل نحو دراسة اللغة الأجنبية•
- اكتشاف مستويات أداء التلاميذ فى اللغة الفرنسية ، والتى ترتبط باتجاهاتهم نحو تعليم اللغة الأجنبية •
- فحص واختيار أثر متغيرات معينة تتعلق بالتلميذ من حيث العمر ، والجنس ، والمركز الاجتماعى الاقتصادى ، وادراك تشجيع الأبوين ، وتوقعات التشغيل (العمالة) ، والاتصال والاحتكاك باللغة الفرنسية ••• الخ • على مستوى الأداء فى الفرنسية ، والاتجاه نحو تعلم اللغة الأجنبية •
- بحث ما اذا كانت اتجاهات المدرس وتوقعاته ذات تأثير معنوى على اتجاهات التلاميذ وأدائهم فى اللغة الفرنسية •
- بحث ما اذا كان تقديم اللغة الفرنسية المبكر ذات تأثير معنوى على الأداء والانجازات فى المجالات الأخرى لمناهج الدراسة فى المدرسة الابتدائية •

وعلى أساس هذا التقرير قرر « روبين » Rubin خصائص وسمات معينة لتعلم

---

(١) Pride, J. B., op. cit. p. XIII .

اللغة الفرنسية بصورة جيدة ، من واقع الظروف فى المدارس الريفية الصغيرة ، وعلى مستوى المدارس الكبيرة فى الحضر ، على أساس أن طبيعة فصول المدارس الصغيرة تميل لتشجيع سلوك التعاون ، وتقلل من سمات الدافعية السلبية للمناقشة في الفصل (١) .

ثم يأخذنا « كوهن ، وسوابن » الى سياق شمال أمريكا لمناقشة بعض الكتابات النظرية المتداولة وغيرها من النصوص العامة لنماذج لغة التعليم . حيث اهتما بمعالجة ذلك على مستوى الجماعات الكبرى Majority Group، والجماعات الصغرى Minority Group وعلاقتيهما باللغة المسيطرة ، واللغة التابعة ، وأثر كل منهما على برامج تعليم اللغة ، وما يترتب على سيطرة لغتين مثل الانجليزية والفرنسية على المتعلم والسلوك اللغوى كما هو الحال فى كندا وغيرها من دول العالم (٢) . يضاف لذلك العديد من الدراسات التى تناولت الأداء الوظيفى للغة فى الاتصال والتعلم والتغير .. الخ وهى جميعها تؤكد شيئية اللغة ، وقابلية السلوك اللغوى للقياس ، والتحقق التجريبى .

(٢) مدخل دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية :

يتضح من التحليل السابق لأبعاد التصور السيسيولوجى للغة ، والخصائص

---

(١) Burstall, C. French From Eight : A National Experiment, Slough, NFER., 1968, French in The Primary School : Attitudes and Achievement. Slough, NFER, 1970, Burstall, C., & M. Jamieson, S. Cohen & Hargreaves, Primary French in Balance, Slough, 1974 and Burstall, C., Factors Affecting Foreing-Language Learning : A Consideration of Some Recent Research Findings; in Language Teaching and Linguistics : Abstracts, 1975, in Pride, J. B., op. cit. p. XIV .

(٢) Cohen, A. & M. Swain, Bilingual Education, The "Immersion" Model in the North American Context, Tesol Quarterly, 10, I , 1970 .

التى تميزها كظاهرة اجتماعية ، يتضح أن اللغة تندرج ضمن موضوعات الدراسة فى علم الاجتماع • وبذلك تخضع معالجتها لطبيعة الفهم السسيولوجى ، والمدخل السسيولوجى لدراسة الظواهر ، والنظم الاجتماعية • وعليه يتمايز مدخل علم الاجتماع اللغوى كفرع من فروع علم الاجتماع فى دراسته للظاهرة اللغوية من مدخل علم النفس اللغوى كفرع من فروع علم النفس فى معالجته لنفس الظاهرة ، وذلك لأن علم النفس يسلم بالمجتمع كحقيقة قائمة ، ويتخذ من الفرد مدخله لفهم الظواهر السلوكية • فى حين أن علم الاجتماع يسلم بالفرد كحقيقة قائمة ويتخذ من المجتمع وظواهره مدخله لفهم السلوك البشرى • ومن ثم فان علم النفس اللغوى ينطلق من مدخل علم النفس فى معالجته للسلوك اللغوى ، ويتخذ من الفرد وقدراته ، ووجدانه ، واستعداده ، مدخله لدراسة السلوك اللغوى •

أما علم الاجتماع اللغوى فانه ينطلق من مدخل علم الاجتماع ، ويتخذ من المجتمع وظواهره مدخله لدراسة السلوك اللغوى • وعليه فانه يتناول اللغة كظاهرة اجتماعية ، وكنظام اجتماعى من خلال علاقتها بالظواهر والنظم الاجتماعية الأخرى ، ويتناول اللغة كعملية تسهم فى اعداد الشخصية ، وتشكيلها ، وتنمية قدراتها ، وتهيئتها للاستجابة التكيفية فى المواقف الاجتماعية ، من خلال علاقتها بالظواهر والعمليات الاجتماعية الأخرى ، مثل : عملية التفاعل الاجتماعى ، وعمليات الاتصال ، وعمليات التكامل والتغير والتوازن وغيرها من العمليات الاجتماعية •

واذا كانت اللغة بحكم كونها ظاهرة اجتماعية تتميز بالعمومية ، والنسبية ، والجبرية ، والتلقائية ، فهى تنهض على أسس وقواعد وقوالب وطرائق عامة ، تلك الطرائق التى تحكمها مجموعة القيم والمعانى والأحكام التى ارتضتها الجماعة كدستور لتنظيم السلوك اللغوى ، فهى بذلك تشكل نظاماً اجتماعياً عاماً يشترك فيه الأفراد وينظم سلوكهم ، ويتبعون قواعده وقوالبه وطرائقه ، ويتخذون من قيمه ومعانيه وأحكامه أساساً للتعبير عن وجدانهم وأفكارهم ، ويلتزمون به فى تفاهمهم مع

بعضهم البعض ·

ويسوقنا التحليل البنائي للنظام الاجتماعي اللغوى الى ضرورة معالجة اللغة كتنظيم اجتماعي ، على مستوى المجتمع العام ، من حيث أهدافها وأجهزتها ووسائلها ، ثم معالجتها على مستوى النظم الاجتماعية الأخرى ، من حيث علاقتها بتلك النظم ، وتفاعلها معها · وذلك لأن النظم الاجتماعية في المجتمع ترتبط ببعضهما بشبكة من العلاقات الاجتماعية التي تجعل منها وحدة بنائية متكاملة تشكل الواقع الاجتماعي للمجتمع ·

وبحكم أن اللغة نظام اجتماعي فان لها وظائفها الأساسية التي تؤديها على مستوى المجتمع ، والثقافة ، والشخصية · ويسوقنا ذلك بدوره لتناول البعد الوظيفي للغة بالتحليل ، والنظر اليها كعملية اجتماعية تلعب دوراً وظيفياً بالنسبة للمجتمع والثقافة والشخصية من خلال علاقتها بالعمليات الاجتماعية الأخرى في المجتمع · مثل عملية التنشئة ، وعملية التربية ، وعملية الاتصال والانتشار الثقافي ، وعملية التغير ، وعملية التكامل في المجتمع · وذلك على مستوى التفاعل الرسمي ، والتفاعل الغير رسمي في المجتمع ، وتنظيماته الرسمية ، ونماذجه المحلية الغير رسمية ، مثل المجتمع المحلي الحضرى ، والمجتمع المحلي الريفي ، والمجتمع المحلي البدوى ·

أ - اللغة كنظام اجتماعي :

ان اللغة كنظام اجتماعي سابقة في وجودها لوجود الأفر اد ، وذلك لأن قواعدها وأوضاعها وقوالبها العامة تنظم مجموعة القيم والأحكام والمعاني والدلالات التي ارتضاها عقل الجماعة · ومن ثم فهي تنظم عقل الأفراد ، وأساليب تفكيرهم ، وتشكل قنوات الاتصال اللغوية الأساسية التي يتفاعل الأفراد من خلالها ، ولهذا فهم يرون /أنهم مازمون بأن يصبوا قوالب تفكيرهم وأنماط سلوكهم ومواقفهم الاجتماعية وفقاً لمصطلحاتها ومعاييرها التي ارتضتها الجماعة · ولذا تعتبر اللغة من النظم الاجتماعية التي تنمو وتتطور تلقائياً بشكل غير شعورى لأن قواعدها وأساليب

التعبير ودلالاتها الصوتية وتفرع لهجاتها تتم بصورة تلقائية لاشعورية ٠

كما أنها أى اللغة باعتبارها نظام مثل بقية النظم الأخرى فى المجتمع (النظم السياسية والاقتصادية والتربوية والأسرة ٠٠٠ الخ) ، ماهى الا سلوك وعمل ناتج عن الحاجات البشرية المستمرة (١) ، ولهذا فان اللغة والنظم المختلفة ليست كيانات مستقلة (٢) عن بعضها ، وانما هى تعمل بصورة موحدة داخل الفرد ، وذلك لأنها توجد كعادة عقلية ، ويتأثر بها الفرد دائماً رغم أنه صانعها ٠ وعليه فان فهم اللغة كنظام اجتماعى من وجهة نظر « كولى » يقتضى ايضاح أبعادها وعناصرها وأهدافها ووظائفها ، وذلك لأنها الأشكال والأوضاع المقررة للأسلوب المميز لنشاط الجماعة اللغوى ٠ واللغة بذلك ماهى الا مجموعة مركبة من الأنماط التنظيمية الملائمة للتحليل كوحدة بنائية داخل النسق الاجتماعى على نحو ما ذهب « بارسونز » ، الذى نقل مفهوم النظام ومستوى الرمز الى مستوى دراسة الواقع نفسه ، وأكد على أن أداء اللغة لوظيفتها بمستوى من الكفاءة شرط أولى لتحقيق استقرار النسق الاجتماعى ، وأنها الميكانزم الرئيسى لتحقيق التكامل داخل الأنساق الاجتماعية ، وذلك لأنها همزة الوصل بين المجتمع والثقافة والشخصية شأنها فى ذلك شأن بقية النظم الاجتماعية الأخرى (٣) ٠

ب - العناصر البنائية للغة كنظام اجتماعى :

نظراً لما للغة كنظام اجتماعى من أهمية بالنسبة للمجتمع وأعضائه فقد اهتم

---

(١) دكتورة فادية عمر الجولانى ، مبادىء علم الاجتماع ، الخبر ، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣م ، ص ٣٦٥ ٠

(٢) Cooley, C. Social Organization, N.Y., Charles S. Criber 's Sons, 1909, Rew., By , Schocken Books, 1962, pp. 313-341.

(٣) Parsons, T. & Chiles, E., Ed., Toward A General Theory of Action, Campridge, Mass Harvard University Press, 1951. p. 150

العلماء بتحليل عناصرها بالاضافة الى الوظائف التى تؤديها والتأكيد على أن تغير وظائفها لايعنى بالضرورة تغير بناء النظام اللغوى الذى يؤلفه مجموعة من العناصر المادية ، بالاضافة الى العناصر الرمزية التى أكد عليها « ستيوارت شابن » S. Sha-pion فى مؤلفه « النظم الأمريكية المعاصرة » · وعليه فان عناصر النظام اللغوى تتمثل فيما يلى :

- العنصر البشرى :

ويشير هذا العنصر لأعضاء النظام اللغوى من القوى البشرية فرغم أن أعضاء المجتمع من الأفراد يشتركون جميعهم فى تنفيذ أغراض النظام اللغوى الا أن للغة أعضاء لهم فاعلية بالنسبة للنظام اللغوى من حيث تحقيق أهدافه وتنفيذ وظائفه والسهر على مصالح النظام والعمل من أجل الحفاظ عليها وتتمثل هذه الفئة فى اللغويين بالمؤسسات التعليمية المختلفة وأعضاء المجامع اللغوية بالاضافة الى طائفة الكتاب والشعراء وكتاب القصص وذلك لأن هذه الفئات تعنى بالمفردات والمعايير التى تحكم العمل والسلوك اللغويين ·

- التنظيمات اللغوية :

وهى التنظيمات التى يتم من خلالها العمل اللغوى ، والتى تعمل على تنظيم السلوك اللغوى ، والحفاظ على قواعد اللغة ، وما يتعلق منها بالبنية المورفولوجية للغة ، والتنظيم اللغوى ، وقواعد الصرف والاشتقاق التى تحكم اشتقاق الكلمات وتصريفها ، وتغيير أبنيتها بتغير المعنى · وأقسام الكلمات · ودراسة فصائل اللغة والأصوات التى تتألف منها وتحديد أوجه الالتقاء والمفارقة بين اللغة واللهجات المتفرعة عنها · ولهذه التنظيمات اللغوية بحوثها ودراساتها المتعلقة بحياة اللغة ، وتطورها ، والعوامل المؤثرة على انقسامها الى لهجات · هذا بالاضافة الى دراسة الأصوات التى تتألف منها اللغة وأقسامها ، والخواص المميزة لكل قسم ، ومخارجه وأعضاء النطق التى تعتمد عليها · ودراسة الدلالات اللغوية ،

والأصوات ، ومايرتبط بها من معانى الكلمات ، والاختلافات القائمة فيما بينها على مر العصور ، وفى مختلف الثقافات · هذا بالاضافة الى البحوث والدراسات الأخرى التى تشمل مورفولوجية اللغة وأساليبها وأصول الكلمات من حيث الصوت والدلالة ، والعوامل الاجتماعية والثقافية واللغوية التى تؤثر على حياة اللغة ، وفصائلها ومفرداتها ، وأساليب تغييرها ، والدلالات الصوتية لكلماتها ، وماتعرضت له من تغير·

- وسائل النظام اللغوى :

للنظام اللغوى وسائله التى يعتمد عليها فى تنفيذه لمهامه ووظائفه · ومن هذه الوسائل التعليم ، والشعر ، والقصة ، والنشر الأدبى ، والمعاجم اللغوية ، فهى التى يستعين بها لدعم اللغة ، والحفاظ على قواعدها ، ومعاييرها ، وتأكيدها لدى أعضاء المجتمع ·

- العنصر الرمزى للنظام اللغوى :

لكل نظام من النظم الاجتماعية بالاضافة الى عناصره المدركة حسياً ، عنصراً آخراً يسميه « ستيوارت شابن » « رمزيات النظام » ، ويعتبر هذا العنصر من أبرز عناصر النظام اللغوى · وذلك لأن اللغة وسيلة أساسية للاتصال الرمزى بين الجماعات البشرية ، ومن ثم توفر اللغة هذه الرمزيات بالنسبة للتفاعل والاتصال بين الأفراد ، وذلك من خلال المعانى والدلالات التى يخلعها النظام اللغوى على المفردات اللغوية ، وأساليب التعبير المختلفة · وهذه الرمزيات اللغوية رغم عموميتها بالنسبة لمختلف اللغات ، الا أنها تتأثر بالطابع الثقافى للمجتمعات المختلفة ، والمغزى الأدبى الذى تخلعها على بعض المفردات والكلمات اللغوية · ومن ثم تشكل هذه الرمزيات اللغوية احدى مؤشرات التمايز الثقافى بين المجتمعات ·

- متواضعات النظام اللغوى :

تشكل مجموعة القيم والمعايير والمواثيق ومتواضعات النظام اللغوى - وما

تشتمل عليه من عادات وتقاليد مرعية - عنصراً آخراً من عناصر النظام اللغوى٠ ولهذا العنصر أهمية فى تحقيق الانتظام داخل النسق اللغوى من ناحية ، وفيما بينه وبين المحيط الثقافى والاجتماعى من ناحية أخرى ٠ وذلك لأنه يمثل الخلفية المرجعية للسلوك اللغوى ٠ وكذا يستمد منها السلوك اللغوى توجيهاته المختلفة بين أعضاء النظام اللغوى الناطقين بلغة معينة ٠ كما أنه يكسب اللغة امكانية الحفاظ على وحدتها ، ويوفر لها الحماية من عوامل الفناء التى تتعرض لها على مر العصور ٠

ج - الأداء الوظيفى للغة كنظام اجتماعى :

والواقع أن هذه العناصر البنائية للغة كنظام اجتماعى تتكامل مع بعضها لتشكل النسق اللغوى ، وتتساند وظيفياً لتحقيق وجود هذا النسق وبلوغه لغاياته ، وأهدافه ٠ ومن ثم يسعى النسق اللغوى لانجاز مجموعة من الوظائف على المستوى الثقافى والاجتماعى والشخصى ٠

حيث تحقق على المستوى الثقافى نقل التراث الثقافى ، وتأكيده بين الأجيال ٠ فالقيم والمعايير والعادات والتقاليد والسنن ماهى الا كلمات لغوية تضفى عليها اللغة دلالات رمزية معينة فى المواقف الاجتماعية المختلفة ، بحيث يتحدد بها سلوك الأفراد ، واستجابتهم لتلك المواقف ٠ كما أن كلمات مثل العيب ، والحلال ، والحرام ، والصح والخطأ ، ماهى الا كلمات ذات مغزى اجتماعى ، يوجه سلوك الأفراد ٠ وسواء كانت هذه الكلمات منطوقة أو مكتوبة فهى توجه سلوك الأفراد ، وتغرس لديهم المعانى والدلالات الرمزية التى تعبر عن الثقافة اللامادية للمجتمع ٠ أما بالنسبة لوظيفة اللغة بالنسبة للثقافة المادية فتتمثل فى الأداء الوظيفى للغة فى توثيق التراث المادى للثقافة ، وتوصيله للأجيال بالصورة التى تحقق تراكمية التراث الثقافى للمجتمعات سواء فى مخطوطات أو قصص ، أو شعر ٠٠٠ الخ ٠

أما بالنسبة للأداء الوظيفى للغة على المستوى الاجتماعى ، فيتمثل ذلك فى

كون اللغة وسيلة أساسية لعملية التفاعل الاجتماعى ، والنمو الفكرى ، فبدون التفاعل لايتوفر الفكر والمعرفة ، وبدون اللغة لايمكن أن توجد المعرفة . كما أن عمليات التفاعل الاجتماعى المتعلقة بالتنشئة والتربية تعتمد فى المحل الأول على اللغة، التى يتم من خلالها تلقين الأطفال وتعليمهم وتزويدهم بتراث مجتمعهم الثقافى والاجتماعى . أما بالنسبة لعملية التكامل الاجتماعى فقوامها اللغة التى يتم من خلال تزويد الشخص بما يدعم تكامله الاجتماعى والوظيفى والثقافى والشخصى . وبتلقينه المعطيات المعرفية والثقافية والاجتماعية المتجددة تنمو قدراته ، وبالتالى يستجيب لمستحدثات التغير الاجتماعية والثقافية

وبالنسبة للأداء الوظيفى للغة على المستوى الشخصى ، فيتمثل فيما تؤديه اللغة بالنسبة للفرد منذ ولادته وحتى مماته . فعن طريق اللغة يكتسب الطفل معانى الكلمات ودلالاتها الرمزية ، ويتم غرس قيم المجتمع وموروثاته الثقافية والاجتماعية لديه . ومن ثم تساعد اللغة الفرد من خلال عملية الاتصال على اكتساب المعلومات (١) والأفكار والمعانى التى تمكنه من فهم الآخرين والاستجابة لهم ، بالاضافة الى تزويده بالمهارات والقدرات التى تجعله قادراً على تصور الآخرين ، وتصور نفسه من خلال تصوره لهم . وبنمو القدرات اللغوية لدى الفرد تنمو معارفه ومدركاته ومكتسباته الثقافية والاجتماعية . وبالتالى تتغير فكرته عن الآخرين وعن نفسه .

وقد وضح تأكيد علماء الاجتماع على أهمية التحليل الوظيفى للغة من خلال تأكيدهم على مفهوم الوظيفة فى دراستهم لنظام الاتصال وعملياته وذلك لأن اللغة محور أساسى لعملية الاتصال « فروبرت ميرتون » اهتم بالتحليل الوظيفى للاتصال

---

(١) Pride J B op cit p 28

وعملياته وعناصره ٠ وهو فى ذلك كان متأثراً باهتمام عالم الاجتماع الألمانى « ماكس فيبر » بتحليل وظائف الاتصال الجماهيرى ، وذلك بعينه ما أكده « دون مارتندال » عندما أشار الى أن التحليل الوظيفى مدخل مناسب لعملية الاتصال ٠ وعليه يأتى تأكيد المدرسة الوظيفية على فاعلية وظائف عملية الاتصال فى دعم عوامل التكامل والتوازن والاستقرار داخل النسق الاجتماعى ٠

هذه هى وظائف أساسية للغة تحافظ بها على بقاء النسق واستمراره ٠ أما عالم الاجتماع الأمريكى « الفن جولدنر » فانه يضيف لوظائف اللغة بعداً آخراً بتأكيده على فاعلية الاتصال الثقافى فى عملية التغير ٠ وعليه فان الاتجاهات النظرية تكشف لنا عن طبيعة اللغة وعملياتها ووظائفها من خلال تحليلها لعملية الاتصال ، وتأكيدها على ارتباط فاعليته بمردوداته الوظيفية التى تتسع لتشمل التكامل ، والتغير ، ونقل التراث ، والتعليم ، والتوازن ٠ وهى الوظائف التى تعتبر اللغة قناتها الأساسية وذلك لأن عملية الاتصال والتفاعل تعتمد على اللغة كوسيط أساسى ، وبدونها لاتقوم للتفاعل والاتصال قائمة ٠ كما أن اللغة تحافظ على النتاج المعرفى والفكرى للاتصال والتفاعل ، وتناقله بين الأجيال ٠ ومن ثم ذهب « دى روبرتى » الى أنه لايمكن تصور وجود معرفة بدون لغة ٠

د - اللغة كعملية اجتماعية :

كشفت الرؤية الاجتماعية للغة كظاهرة عن أبعادها البنائية ، ومايرتبط بها من جوانب ثقافية واجتماعية وشخصية متفاعلة مع بعضها من ناحية ، ومع المجتمع وظواهره وأوضاعه الاجتماعية من ناحية ثانية ٠ ومن ثم اتسعت أبعاد الفهم السسيولوجى للغة لتشمل الأبعاد البنائية والوظيفية للنظام اللغوى ٠ وعليه فان فهم وظائف اللغة بالنسبة للثقافة والمجتمع والشخصية لايتحقق الا من خلال فهم العملية الاجتماعية للغة ، وذلك للوقوف على الوظائف الظاهرة للغة ، والوظائف الكامنة ، بالاضافة الى أوجه القصور والاعاقة الوظيفية للغة ، والتى يترتب عليها سيطرة اللغة،

أو تبعيتها (١) ، أو اضمحلال نفوذها وتقلص وظائفها ، وبالتالى جمودها أو فنائها • ويتطلب الوقوف على تلك الوظائف تحليل التفاعل اللغوى ، والعمليات المرتبطة به مثل : عمليات الهجرة اللغوية ، والتطور اللغوى ، والانتشار اللغوى ، وتفرع اللغة الى لغات ولهجات أخرى ، بالاضافة الى عملية الصراع اللغوى وما يترتب عليها من تسرب وامتثال لغوى أو سيطرة لغة أو لهجة معينة ، سواء على مستوى جماعات كبرى أو جماعات صغرى ، وأثر ذلك على الأداء الوظيفى للغة ما •

ومن ثم تشكل العمليات اللغوية موضوعاً أساسياً لعلم الاجتماع اللغوى وذلك لارتباط هذه العمليات اللغوية بعملية التفاعل الأساسية فى المجتمع • التفاعل الذى يتعين من خلال الفعل الانسانى الصادر عن شخص ما فى مواجهة فعل آخر صادر من شخص آخر • تلك هى عملية التفاعل التى تحدد توجيهات أهدافها العمليات الاجتماعية ، والتى تولد بدورها هذه الأفعال •

وطالما أن اللغة محور لعمليات التفاعل المختلفة بين الأفراد والجماعات سواء فى موطنها ، أو فى نزوحها وهجرتها الى مناطق أخرى ، فان تحديد وظائفها يتم من خلال تحليل العمليات الاجتماعية ، سواء ما يرتبط منها بالتفاعل الاجتماعى بين الأفراد والجماعات فى المواقف والمناسبات الاجتماعية العامة ، أو مايرتبط منها بالتفاعل اللغوى المصاحب لعمليات تطور اللغة ونموها ، وانتشار اللغة وتفرعها ، والصراع اللغوى بين اللغات الرسمية والأهلية (المحلية) ، ولغات الأكثرية ولغات الأقلية (لغات الجماعات الكبرى والجماعات الصغرى) ، ومايرتبط بذلك من تداخل وتحول لغوى فى المواقف والمناسبات الاجتماعية المختلفة •

ثالثا: أبعاد التحليل السسيولوجى للغة :

تشكل مجموعة الظواهر الاجتماعية مانسميه بالواقع الاجتماعى والذى يشار اليه بالواقع فوق العضوى ، وهو الذى يتجاوز فى تعقيده حدود الواقع المادى (دون

---

(١) Pride, J.B., op. cit. p. XV

العضوى) والواقع العضوى · ذلك لأنه يتألف من مجموعة الظواهر المتمثلة فى اللغة والمعرفة · والأخلاق ··· الخ ·

وسواء تناولنا اللغة كظاهرة اجتماعية لها عناصرها ووظائفها الخاصة ، أو كعملية اجتماعية تشير لتفاعل اللغات واللهجات وانتشارها وهجرتها وتفرعها · أو تناولناها من حيث وحداتها الصغرى على مستوى المحادثة وعناصر الكلام ومايرتبط به من عناصر متمايزة Emics وسمات صوتية واضحة Etics فإن ذلك يقتضى ربط هذه الجوانب المتعلقة بالوحدات الكبرى للغة والوحدات الصغرى لها بالسياقات الاجتماعية والثقافية ، وذلك لأن هذه السياقات هى التى تخلع على اللغة سماتها الصوتية المميزة لعناصرها اللغوية ، ودلالاتها الخاصة بالنسبة لحاملى تلك الثقافة · وعليه فان عالم الاجتماع اللغوى عندما يدرس اللغة والسمات الصوتية الخاصة بها فانه يسعى لاكتشاف السلوك اللغوى لحاملى الثقافة من خلال تفاعلهم مع بعضهم (١) · وذلك لاكتشاف طبيعة العناصر التى تشكل الظواهر الاجتماعية ومدى تأثيرها على الظاهرة اللغوية ·

فهذه الظواهر تضم فى تكوينها عناصر أساسية تتمثل فى العنصر الثقافى (المعانى والقيم والمعايير) والرموز وتجسيداتها المادية والفنية التى تشكل الأساس المادى للمجتمع ، ويتضمن العنصر الاجتماعى الجماعات والتنظيمات والمجتمعات المحلية والعلاقات القائمة فيما بينها والتى تنظمها مجموعة القيم والمعانى والمعايير · والعنصر السلوكى الذى يتولد فى مواقف التفاعل الاجتماعى والعلاقات المتبادلة بين الأفراد والجماعات ، ونماذج التنظيمات الاجتماعية المختلفة · وتوجهه مجموعة القيم والمعانى والمعايير التى تشكل الأساس الفكرى للمجتمع ، والتى تحملها اللغة بمفرداتها وعباراتها ودلالاتها · وبذلك فان اللغة كظاهرة اجتماعية تحوى هذه العناصر الثلاثة التى تؤلف فى مجملها الدافع الاجتماعى فضلاً عن كونها وسيط مشترك لجميع

---

(١) Carol, op. cit. p. 23 .

الظواهر الاجتماعية نظراً لتساندها الوظيفى مع القيم والمعايير والمعانى التى ترتبط بالعناصر الثلاثة التى تشكل أى من الظواهر الاجتماعية ٠

ومن ثم فهى تخضع فى تحليلها لمنطق التحليل السسيولوجى للظواهر الاجتماعية ، والذى يشيرللبعد البنائى والوظيفى للغة ٠ ولبعد السلوك اللغوى الرمزى (تحليل اللغة من منظور التفاعل الرمزى) ٠

(١) التحليل البنائى والوظيفى للغة :

تعالج اللغة كظاهرة اجتماعية من المنظور السسيولوجى لعلم الاجتماع اللغوى على المستوى البنائى والوظيفى ، بحيث يشير مستوى التحليل البنائى لربط اللغة فى نشأتها وتطورها وصراعها وتنوعها بالسياقات الثقافية والاجتماعية للمجتمعات البشرية، والتجمعات المحلية ، والجماعات الاجتماعية ، وغيرها من المتغيرات الاجتماعية المتعلقة بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والمهنية والتربوية والنوعية والعمرية المختلفة (١) ٠ وبالنسبة لمستوى التحليل الوظيفى للغة من المنظور السسيولوجى لعلم الاجتماع اللغوى يتم تحليل اللغة من خلال علاقتها الوظيفية ، بالاتصال والتفاعل الاجتماعى ، ونقل التراث الثقافى والفكرى ٠ والمعرفة ، وتنمية الخبرة البشرية والتكامل الاجتماعى والتعليم والتغير الاجتماعى ، والضبط الاجتماعى ٠٠٠ الخ ، للوقوف على مدى مابينها وبين الظواهر الاجتماعية الأخرى من تساند وظيفى ٠ وذلك على المستوى الثقافى والاجتماعى والشخصى (السلوك اللغوى) ، بهدف الوقوف على القيمة الوظيفية للغة من خلال علاقتها بالظواهر الاجتماعية الأخرى فى المجتمع ٠ والتى تشكل معها حقيقة الواقع الاجتماعى للمجتمعات البشرية

(٢) تحليل اللغة من منظور التفاعل الرمزى :

حظيت اللغة بنصيب وافر من قبل أنصار التفاعلية الرمزية ، وذلك لأن اللغة

---

(١) Encyclopedia of Sociology, op. cit., p. 277 .

تشير لجميع التعبيرات والايماءات والاشارات المستخدمة فى الاتصال التفاعلى مع الذات أو مع الآخرين • ومن ثم ينظر للغة باعتبارنا محادثة ايجابية تتولد عن عملية التفاعل • فبمقدور المتفاعلين أن يحققوا الاتصال بلغة ايمائية صامتة أو بتعبيرات شخصية منطوقة • وقد تتجاوز لغاتهم المواقف بصورة رسمية أو غير رسمية • واذا كانت التفاعلية الرمزية تشكل أحد المحاور الأساسية للنظرية النفسية الاجتماعية فى فهم الظاهرة اللغوية فهى تبدأ بمستوى الوحدات اللغوية الصغرى مثل : الأفكار ، والكلمات ، والأسلوب والتعبيرات ، والمعانى ، والرموز المستخدمة خلال عملية التفاعل ، فى الموقف الاجتماعى ، منطلقة منها لفهم السلوك اللغوى والظاهرة اللغوية• والتفاعلية الرمزية بذلك تؤكد على المعانى والدلالات الرمزية للتفاعل • ومن ثم نجد « جورج ميد » يبدأ تصوره للتفاعلية الرمزية بتحليل عملية الاتصال وتصنيفها الى نوعين أساسيين من الاتصال هما :

- الاتصال الرمزى •
- والاتصال الغير رمزى •

مشيراً الى أن الاتصال الرمزى يستخدم الأفكار والمفاهيم (١) ، ولهذا يعتبر اللغة ذات أهمية بالغة بالنسبة لعملية الاتصال بين الناس فى المواقف المختلفة ، وذلك لأنهم بواسطة اللغة يستطيعون تحقيق ما يلى :

(أولاً) تنظيم انطباعهم وفهمهم للعالم الاجتماعى والطبيعى •

(ثانيا) نقل هذا الفهم للآخرين الذين يشاركونهم اللغة •

(ثالثا) تطبيق ما أكتسبوه من فهم ذهنى على المواقف الجديدة •

ومن ثم يؤكد « جورج ميد » على أهمية عملية الاتصال الرمزى التى تكون اللغة محورها والتى تولد لدى الفرد مفهوم الذات ، والأداء الفردى • وذلك لأنها تلازم

---

(١) دكتورة فادية عمر الجولانى ، علم الاجتماع التربوى ، الخبر ، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤م •

الفرد منذ ميلاده وخلال مراحل نموه المختلفة · كما أنه يذهب الى أن المعانى ليست مفروضة على الأفراد وانما هى من صنعهم ، وتخضع للتفاوض والتداول فيما بينهم · وعليه فهم يخلقون المجتمع بواسطة أفعالهم ·

ثم يأتى « هربرت بليمر » ليؤكد على التفاعل الرمزى باعتباره السمة المميزة لتفاعل الكائنات البشرية ، وأن تلك السمة تنطوى على ترجمة للرموز والأحداث والأفعال المتبادلة · الا أنه يؤكد على المعانى الأساسية للموضوعات التى يضمها عالمنا· ودورها فى تهيئة الأفراد للتفاعل فردياً وجماعياً · وعليه يرتكز السلوك اللغوى على المعانى الاجتماعية المتداولة بين الأفراد حول الأشياء (سواء كانت محسوسة مثل: الأشجار والصخور ، أو اجتماعية مثل : الأدوار الاجتماعية التى يشغلها الأفراد ، أو مجردة مثل المبادىء الأخلاقية) (١) · واذا كان « جورج ميد » قد اهتم بالاتصال الرمزى الذى يتم من خلال اللغة ، وما ينطوى عليه من أفكار ومفاهيم وعباراتها ، والدلالات التى تشير اليها ، فان « بليمر » يهتم مثله بالتفاعل الرمزى القائم على أساس المعانى الاجتماعية للأشياء ، والمتداولة بين الفاعلين عن طريق اللغة · فى حين أن « ارفينج جوفمان » يطور مدخل التفاعلية الرمزية بالتأكيد على التفاعل الاجتماعى المعيارى والأخلاقى والذى يعتبره وظيفة أساسية للانطباع الذهنى الذى يتم فى نطاق المواجهات الاجتماعية ، التى تحدث بصورة منظمة خلال عملية التفاعل ، والفعل المنتظم (٢) · ذلك الانطباع الذى تساعد اللغة على تنظيمه لدى الأفراد فى موقف التفاعل على نحو ما أكد « جورج ميد » ·

---

(١) Blume, H. Symbolic Interactionism Perspectivc and Method, N.Y,Prentic Hall, englewood Chiffs, 1969, p. 10.

(٢) Goffman, E, The Presentation of Self in Every day Life, New york, Daubleday. 1959 p ı

ومن ثم تتمثل أبعاد مدخل التفاعلية الرمزية لتحليل اللغة فيما يلى :

- تحديد العبارات والارشادات اللغوية المستخدمة فى موقف الاتصال والتفاعل.
- تحديد المعانى والدلالات الرمزية للغة المستخدمة فى موقف الاتصال .
- تحليل السلوك اللغوى فى الترابطات الاجتماعية وما يتعلق بها من :
  أ - أمثلة للسلوك اللغوى .
  ب - وظائف فعل الاتصال .
  جـ - فئات المناسبات الاجتماعية التى يمكن فيها لأشكال السلوك اللغوى أن تؤدى وظائفها .
- تحليل عناصر حادثة الاتصال فى سياق المجتمع المحلى .
- تحديد أدوار المشاركين التى تخلعها الأوضاع ، والوظائف التى يمكن للفرد القائم بالاتصال أن يؤديها فى هذه الأوضاع .
- تعيين العوامل الأساسية للاتصال والمتمثلة فى :
  أ - الهوية الثقافية لمرسل الرسالة .
  ب - الهوية الثقافية لمستقبل الرسالة .
  جـ - عنوان الرسالة .
  د - القنوات التى تنقل خلالها الرسالة .
  هـ - المناسبة الاجتماعية التى تلعب الرسالة دورها الوظيفى خلالها .
  و - الوظيفة التى تخدمها الرسالة فى الموقف أو الوضع .
- وعليه فان تحليل عملية الاتصال تقتضى الحديث حول الوظائف والجوانب المختلفة للغة المستخدمة فى موقف معين . على أن نأخذ فى الاعتبار وجهة نظر المرسل وتأويلاته ، ووجهة نظر المستقبل وردود فعله ، وكذلك وجهة نظر القائم بتحليل عملية الاتصال وتأويلاته بالنسبة للمرسل والمستقبل (١) .

---

(١) Pride, J.B., op. cit., p. 6 .

وبذلك تحددت معالم الفهم السسيولوجي بتكامل أبعاد التصور السسيولوجي لتناول الظاهرة اللغوية ، وتحليلها من منظورات علم الاجتماع اللغوى ، ومداخله النظرية لمعالجة اللغة وتحليلها فى السياق الاجتماعى والثقافى والشخصى ٠

رابعا : وصف الظاهرة اللغوية وتفسيرها من منظور علم الاجتماع اللغوى

(١) أبعاد التحليل الوصفى للظاهرة اللغوية :

يشكل وصف الظاهرة اللغوية بعداً أساسياً من أبعاد هدف العلم المتمثل فى الفهم ٠ هذا بالاضافة الى كون الوصف أساس تقديم التفسير العلمى للسياقات اللغوية ومتغيراتها ٠ والعمليات المرتبطة بها ٠ وذلك لاستكمال عناصر الفهم العلمى للغة ، والذى يساعد على تحديد العوامل التى تؤثر على الظاهرة اللغوية فى نشأتها ، وتطورها ، وعلاقتها بما عداها من الظواهر ، وأدائها لوظائفها والعمليات المرتبطة بها٠ وبالتالى يمكن تحديد القوانين العلمية التى تحكم مختلف الجوانب اللغوية باعتبارها ظاهرة وباعتبارها عملية من العمليات الاجتماعية فى المجتمع ، فضلاً عن تحديد القوانين التى تحكم عملية صك الألفاظ واختراع الكلمة والمفهوم وتناقله وتطور حياته مع تطور وضعه فى الأساليب اللغوية ،وعملية نطقه ، والدلالات الصوتية له فى المواقف المختلفة ، ومانشير اليه من معانى تختلف باختلاف المناسبات والمواقف الاجتماعية التى تعد اللغة وسيلتها الأساسية لتحقيق الاتصال والتفاعل بين الأفراد ٠ اضافة لذلك فان الوصف والتفسيرللسياقات اللغوية يساعد على تحديد القوانين التى تحكم قواعد اللغة ، وعمليات تطورها ، ومايرتبط بها من اشتقاق وصرف وتنظيم لغوى ٠ وبذلك تتضح أهمية الوصف والتفسير كوظيفتين أساسيتين لعلم الاجتماع اللغوى كنظام علمى يسعى لفهم الظاهرة اللغوية ، وعقد التنبؤات حولها ٠

أ - نموذج « دل هيمز » الوصفى للظاهرة اللغوية :

اهتم علماء الاجتماع اللغوى بتحديد الأساس المنهجى لتحليل اللغات واللهجات الاجتماعية المستخدمة فى المجتمع ، وسواء كانت وحدة التحليل لغة

بعينها،أو الصور اللغوية فى البيئات اللغوية المختلفة ، أو المجتمع اللغوى بأكمله ، فان الوصف المنهجى لها يخضع لمعايير ومحكات معينة تكفل اكتشاف الخصائص والسمات اللغوية ، ومايرتبط بها من مفردات وأساليب لغوية ، وتحديد الدلالات الصوتية ، والمعانى المرتبطة بوظائف السلوك اللغوى ، وقواعد الصرف ، والاشتقاق ، والتنظيم اللغوى ٠

وفى ذلك تضافرت جهود العلماء أمثال « دل هيمز» Dell Hymes ، « يريل فينريخ » Urill Weinreich و «جول شرزر» Joel Sherzer و « ورجنا دارنل» Regna Darnell (١) فى تحديد معالم النموذج الوصفى Descriptive Model للصوراللغوية فى البينات اللغوية المختلفة ٠ اذ اقترح « هيمز » نموذجاً وصفياً للغة وأسماه « اثنوجرافية الكلام » (٢) ، وحدد عناصره على أساس تفاعل اللغة مع ظواهر الحياة الاجتماعية ، والتى تشكل بدورها البيئات اللغوية المتباينة ، وعلى أساس ذلك حدد « هيمز » عناصر نموذجه الوصفى لاثنوجرافية الكلام (٣) على النحو التالى:

- مجتمع الكلام (لغة المجتمع) : ويشير لهذا العنصر على أساس أنه وحدة

---

(١) Sherzer, Joel and Regna Darnell, Outline Guide for the Ethnographic Study of Speech Use, in Gumperz, John, J.and Dell Hymes, Directions in Sociolinguestic., Holt Rinehart and Winston, 1972, pp. 548-554.

(٢) Hymes, Dell, The Ehtnography of Speaking : In T. Gladwin and W.C. Sturtevant (eds.) 1962, pp. 13 - 53; and in Joshua A. Fishman (ed.) 1968. pp. 99 - 138.

(٣) Hymes, Dell, Models of The Interaction of Language and Social Lif: in John J. Guperz and Dell Hymes (eds.), Directions in Sociolinguistics The Ethnography at Communication : Holt, Rinehart and Winston, 1972, pp. 52 - 70

التحليل لعلم الاجتماع اللغوى ، والذى يعرفه بأنه المجتمع الذى يشترك معظمه فى قواعد السلوك والتأويل اللغوى • حيث يشترك أعضاؤه فى تأويلاتهم بالنسبة للغة واحدة •

- موقف الكلام : ويشير هذا العنصر للسياق الذى يعمل كبيئة يتم فى نطاقها الفعل الذى تحكمه قواعد الحديث (الكلام) •
- حادثة الكلام : وهذا العنصر يمثل النشاط أو جانب من النشاط الذى تحكمه قواعد أو معايير استخدام الكلام •
- فعل الكلام : ويشير هذا العنصر للوحدة الصغرى لحادثة الكلام ، وهو الذى يتوسط بين المستويات المادية للقواعد وحادثة الكلام أو الموقف • ولهذا فهو يتضمن الصورة اللغوية والمعايير الاجتماعية •
- أسلوب الكلام : ويشير هذا العنصر الى وصف النوعية والتعبير وكثافة الكلام كأسلوب ، وتداخل كل منها بكل أسلوب ، والاختيار المتغاير بين الأساليب•
- طرق الكلام : ويشير هذا العنصر لقواعد الاتصال التى تحكم السلوك اللغوى للمجتمعات المختلفة ، مع مقارنته بمشكلات الاتصال فى المجتمعات المتكلمة الأخرى ، والمتباينة • والفكرة النظامية فى هذا تتمثل فى سلوك الاتصال داخل المجتمع ، وتحليله فى سياق طرق الكلام المحددة ، بمعنى أن عنصر الاتصال الفعال للأشخاص يشتمل فى جانب منه على المعرفة التى تحدد طرق الكلام •
- عناصر الكلام : ويمثل السمات والملامح المميزة لأفعال الكلام والتى تمثل بذاتها الوحدات الصغرى لحوادث الكلام • « وهيمز » فى محاولته اللغوية يعبر عن هدفه فى الوصول الى الوضع العام لملامح الكلام والتى حددها فى :

  * الوضع – وصورة الكلام •
  * المشاركين •
  * الغايات (الأهداف – والنتائج) •

* جوانب الفعل شكل الرسالة ومضمونها ٠
* النغمة - النبرة (الصوت) ، الطريقة والروح ٠
* الوسائل - قنوات الكلام وصوره (أشكاله) مثال ذلك الكتابة ، الحديث ، الفهم المتبادل ، الحروف الأبجدية ٠
* معايير التفاعل مثل محرم ، غير محرم ، ممكن أم غير ممكن ٠
* الأدب الشعبى ، مثال ذلك (الشعر) ، والأسطورة ، والخطابات والرسائل والاتصال التجارى والمحادثة٠

- قواعد الكلام - ورغم أن ثمة جهود محددة قد تناولت الصياغة الفعلية للقواعد التى تحكم الصرف والاشتقاق والتنظيم اللغوى ، وغيرها من صور التقييم لاستجابات الكلام ، الا أنها تشير لبعض الانجازات فى هذا المجال ، الذى يتناوله علم الاجتماع اللغوى بالوصف والتحليل ٠

لهذا فان الاجتماع الوصفى اللغوى ينظر له باعتباره وصفاً لأحداث الكلام ، والتى تعرف بأنها تأخذ مكانها فى مواقف الكلام فى المجتمع ٠ وفى سياق أفعال الكلام التى تشكل عناصر الكلام ٠

ب - مرشد التحليل الوصفى لشرز ودارنل :

يضاف للنموذج الوصفى السابق لتحليل اللغة الذى قدمه « هيمز » نموذجاً آخراً يوسع من نطاقه ، عرضه كل من « جول شرز ورجناد ارنل » فى دراستهما بعنوان (مرشد مختصر للدراسة الاثنوجرافية لاستخدام الكلام ١٩٧٢م (١) ٠

وتتمثل مؤشرات نموذجهما الوصفى المختصر للتحليل الوصفى فى كون اثنوجرافية الكلام تتضمن :

---

(١) Sherez, Joel & Regna Darnell, Outline Guide For The Ethnographic Study of Speech Use , In John J., Gumperz and Dell Hymes (eds) 1972 op. cit., pp. 548 - 554 .

١ - تحليل استخدام الكلام (مقارنا بعناصر الكلام وقواعد الحديث عند هايمز)

٢ - وصف الاتجاهات نحو استخدام الكلام .

٣ - المعرفة المكتسبة للكلام الملائم ، بمعنى نوعية المقدرة على الكلام واستخدام اللغة الملائمة المكتسبة .

٤ - وصف استخدام الكلام فى التعليم ، والضبط الاجتماعى .

٥ - التعميمات المصنفة (مقارنة بطرق الكلام لهيمز) . ويبدو أن طريقة الوصف عند هايمز تتعلق أساساً بالمؤشرين الأول والأخير (١ ، ٥) .

ويبدو بصورة عامة على نحو ما أشار « شرز ودارنل » أن علم الاجتماع اللغوى يذهب فيما بعد التحليل الوصفى لأحداث الكلام فى النص الى الاهتمام باتجاهات مجتمع الكلام نحو استخدام الكلام (مؤشر ٢) وأيضاً من الوصف الكلى نحو تطور نظرية عن كفاءة الاتصال وملاءمته (مؤشر ٣) وبذلك تشير مؤشرات التحليل الوصفى ، الى أنها تمهيد للوصول الى مستوى التحليل التفسيرى ، لصور العلاقات القائمة بين اللغة والخبرات الثقافية والاجتماعية للمجتمع . ومن ثم يوسع هذا النموذج دائرة التحليل فى علم الاجتماع اللغوى بجعل الوصف مرحلة تهدف الوصول الى تطوير نظرية تقابل متطلبات الوصف والتفسير الملائم للغة (١) .

ج - التحليل الوصفى لتفاعل اللغات فى مواقف الاحتكاك اللغوى

باستعراض نماذج التحليل الوصفى السابقة للغة المجتمع ، نجد أنها ترسم معالم استراتيجية عامة لتحليل اللغة فى المجتمع ، سواء كان أحادى اللغة ، أو متعدد اللغات. وذلك بتحديد متغيرات التحليل الوصفى المتعلقة بلغة المجتمع ، وبموقف الحديث ، ومايرتبط به من فعل ، وأحداث ، وطرق الكلام ، وعناصر القواعد التى تحكم الحديث ، ثم تعميق هذا التحليل بوصف الاتجاهات نحو استخدام الكلام ،

---

(١) Eastman, C. M., op. cit. pp. 116 - 117 .

واكتساب المعرفة لاستخدام اللغة فى المواقف ، والمجالات المختلفة ، بهدف تطوير نظرية تفسيرية للاتصال الملائم عن طريق اللغة . وبذلك تمهد نماذج التحليل الوصفى السابقة للاتجاه نحو عملية تفاعل اللغات ، واحتكاكها فى مواقف استخدام اللغة ، وذلك لتعميق التحليل الوصفى للظاهرة اللغوية . وبذلك يأتى نموذج التحليل الوصفى لتفاعل اللغات المستخدمة فى المواقف المختلفة ليستكمل تحليل الاستخدام اللغوى من اللغة الاحادية الى ثنائية اللغة وتعددها ، واختلاف الاستخدام لنفس اللغة ، والاستخدام المتبادل للغتين أو لهجتين أو أكثر فى موقف حديث [illegible] . وذلك ماقدمه « يريل فينريخ » Uriel Weinreich منحصراً فى ثنائية الل[illegible] وتعددها فى دراسته بعنوان « احتكاك اللغات » ١٩٤٥م . وعمّقه من بعده « فيرجيسون » باضافة بعد الاختلاف فى استخدام نفس اللغة ، ثم صاغه فى شكل نموذج لتحليل الاحتكاك اللغوى « كارول اياستمان » بعد اضافة مؤشراً رابعاً يشير لاستخدام لغتين أو لهجتين أو أكثر فى موقف حديث واحد (١) . فعندما تستهدف الدراسة تحليل اللغة فى المجتمعات التى تستخدم أكثر من لغة ، يشير ذلك لاحتكاك اللغات ، سواء كانت لغتين أو أكثر ، وتبادل استخدامها بين الأشخاص أعضاء المجتمع ، حيث يكون الأفراد الذين يستخدمون اللغة فى حالة احتكاك وتفاعل مع بعضهم البعض ، فى المواقف والمناسبات الاجتماعية المختلفة . وقد انحصرت مواقف الاحتكاك اللغوى تلك عند «يريل فينريخ » فيما يلى :

- ثنائية اللغة Bilingualism وتشير للاستخدام المتبادل للغتين بالنسبة لشخص بعينيه .
- تعددية اللغة Multilingualism وتشير لتبادل استخدام ثلاثة لغات أو

---

(١) Ferguson, Charles A., Diglossia, Word 15 (1959) : 325 - 340; and in Dell Hymes (ed.) Language in Culture and Society: A Reader in Linguistics and Anthropology, Harper & Row, 1964, pp. 429 - 439 .

أكثر من قبل نفس الشخص ٠

ثم يضيف « فرجيسون » بعداً تحليلياً آخراً للبعدين السابقين تمثل فى :

- الاختلاف فى استخدام نفس اللغة Diglossia ويشير الى أن بعض المتكلمين يستخدمون نفس اللغة استخدامين مختلفين أو أكثر فى ظروف وأحوال مختلفة ٠

وعندما قدمت « كارول اياستمان » نموذج مواقف الاحتكاك اللغوى المختلفة أضافت بعداً رابعاً للاحتكاك اللغوى تمثل فى:

- تبادل التحول فى الاستخدام بين لغتين أو أكثر ، فى موقف حديث واحد Code - Switchinge ٠ وبذلك يشير هذا البعد الى أن الشخص يستخدم لغتين أو أكثر أو لهجات بالتبادل فى موقف حديث واحد ٠ بمعنى أنه يتحول من استخدام لغة الى لغة أخرى أو لهجة أخرى فى موقف حديث واحد ٠ وبذلك تشكل هذه الأبعاد الأربعة صور الاحتكاك بين اللغات فى موقف الحديث ٠

ويشير الاحتكاك اللغوى هنا الى دراسة التداخل Interference الحادث بين اللغات فى حديث الأفراد ، فجميع المواقف الناتجة عن احتكاك اللغة تتضمن أو تشير الى الانحراف عن معايير كل لغة (لهجة) ٠ وهذا الانحراف ينتج بدوره عن تجاوزات وخروج أعضاء المجتمع عن لغته بلغة أو أكثر ، أو لهجات ، واستقطابها وتداخلها معها Interference ٠ وطبقا لوجهة نظر « فينريخ » يعد التداخل اللغوى ظاهرة الحديث التى تؤثر على معايير اللغة المعرضة للاحتكاك ٠

وبذلك فان دراسة احتكاك اللغات يستهدف وصف الاختلافات والتماثل بين لغتين أو أكثر ، وعلاقة ذلك بالاختلافات البنائية للغة ، وعليه فان أشكال التداخل المتبادل بين اللغات التى فى موقف الاحتكاك تتحدد بالوصف العلمى ، وبالمصطلحات اللغوية ، ويفحص التداخل أيضاً فى علاقته بلغة المجتمع ، وفى ذلك ذهب « وليم ماكى » W. Mackey الى أن وصف التداخل فى حالة ثنائية اللغة يتطلب ثلاث

خطوات (١) تتمثل في:

- اكتشاف العنصر الأجنبى الذى قدمه المتحدث فى كلامه ، وتحديد ماذا يكون هذا العنصر من خلال طريقة الوصف اللغوية •

- تحليل ماتم عمله من قبل المتكلم ، بالعنصر الأجنبى الذى قدمه فى حديثه •

- قياس مدى احلال العناصر الأجنبية محل العناصر المحلية ، وبذلك فان تحليل التداخل فى مواقف الاحتكاك اللغوى يستهدف وصف العوامل المتضمنة فى الاختيار اللغوى خلال التحليل الموقفى (٢) •

والذى يسعى لوصف كيفية ارتباط التغايرات (بمعنى وصف التداخل اللغوى) ووصف النطاقات (الأوضاع - والمتحدثين ••• الخ) التى تستخدم فيها التغايرات اللغوية وقد اصطلح « فرجسون » على هذه النتيجة الخاصة بالاحتكاك اللغوى بمفهوم المتغاير (التنوع) Diglossia والذى يعرفه بطرح المثال الخاص باستخدام اللغة الرسمية (الفصحى) Standard Language واللهجة الاقليمية Regional Dialect، حيث يقول « ان معظم المتكلمين فى ايطاليا يتحدثون بلهجاتهم المحلية » فى البيت بين الأسرة والأصدقاء فى محيط نفس المنطقة ، ولكنهم يستخدمون اللغة الرسمية الفصحى عند الاتصال بمن يتحدثون بلهجات أخرى أو فى المناسبات العامة(٣) • ومن ثم فان دراسة الاختيار اللغوى بين اللغات المتعددة تهدف وصف

---

(١) Mackey, Wolliam F., The Description of Bilingualism, Canadian Journal of Linguistics 7 (1962) : 51- 85 . and in Fishman, Joshua A., (ed.) Readings in the Sociology & Language, Mouton, The Hague, 1968, Humanities Press, 1968, p. 573 .

(٢) Fishman, Joshua A., Domain Between Micro and Macro- Sociolinguistics, in John J. Gumperz and Dell Hymes (eds.) op. cit. pp. 444 - 445

(٣) Ferguson,Charles A., op. cit. p. 325 .

اللغة المستخدمة فى : أى مقاطعة وداخل مقاطعة معينة ، كما أن دراسة التداخل اللغوى ، وعوامل الاختيار اللغوى فى سياقات تلك المقاطعات ليس قاصراً على الموقف الذى يتحدث فيه الفرد فقط لغة أو أكثر ، ولكنه قد يتم فى المواقف التى تستخدم فيها متغايرات نفس اللغة فى مواقف مختلفة ٠ وفى هذه الحالة الأخيرة يستهدف تحليل الموقف ووصف تداخل المتغايرات اللغوية وارتباطها ، ووصف النطاقات أو القطاعات التى تستخدم فيها التغايرات التنوعات اللغوية ٠

وبالنسبة لوصف التداخل اللغوى بين التغايرات بالاشارة الى احدى تنوعات اللغة على أنه عال (ع) والآخر على أنه أدنى (أ) وفى جميع المواقف تختلف (ع) و (أ) فى وظيفتهما ، وملاءمتهما للمواقف المختلفة ، حيث تعتبر (ع) عالية وذات مكانة رفيعة Prestige وتكون (ع) لغة الكتابة للأدب التقليدى ٠ فى حين أن (أ) تكون لغة المحادثة داخل الأسرة ٠ كما أن (ع) تكتسب عادة بصورة رسمية ، وغالباً ماتكون من خلال دراسته للقواعد اللغوية ٠

ومن ثم فانه عند وصف تداخل المتغايرات اللغوية Diglossia من منظور علم الاجتماع اللغوى تؤخذ عوامل الموقف اللغوى التالية فى الاعتبار :

- وظيفة كل لغة مغايرة ٠
- تحديد مكانة كل منها ٠
- التقليد الأدبى للمجتمع ٠
- طريقة اكتساب كل لغة من لغات التغاير (اللغات المتنوعة) ٠
- البناء القواعدى للتغايرات اللغوية ٠
- الاختلاف فى مفردات المتغايرات (اللغات المتنوعة) ٠
- النظم الصوتية لكل متغاير لغوى ٠

وبالنسبة لوصف استخدام الشخص لأكثر من لغة فى موقف واحد ، والتحول من لغة الى لغة أخرى فى نفس الموقف Code Switching، فانه يتعرض لمشاكل

مختلفة الى حد ما عن تلك التى يتعرض لها الوصف فى مواقف الاحتكاك اللغوى الأخرى ، وذلك لأن التحول من استخدام لغة الى لغة أخرى فى نفس الموقف قد يحدث فى حالة ثنائية اللغة ، وتعدد اللغات ، والاختلاف فى استخدام نفس اللغة (استخدام اللغة استخدامين مختلفين أو أكثر من قبل الشخص) • وذلك لأن وصف التحول من لغة لأخرى فى نفس الموقف يتضمن تحليل الاختيارات اللغوية ، أو التحول اللغوى الذى يحدث فى نطاق مواقف الكلام ، والذى يتم بين الأفراد الذين يشاركون بعضهم اللغات واللهجات أو التغايرات اللغوية • وقد لاحظ بعض العلماء ومنهم «جان بتر بلوم » و « جون جيمبرز » أن فهم التحول فى استخدام اللغات (مثال بين اللهجة العامية واللغة الرسمية أو بين لغات مختلفة) يقتضى بالضرورة أن نحلل حوادث الكلام الخاصة التى يحدث فيها التحول فى استخدام اللغات (١) • وعليه يتضمن التحليل الوصفى للتحول من استخدام لغة لأخرى فى نفس الموقف الجوانب التالية :

- الوضع الثقافى •
- الموقف الاجتماعى •
- والحادثة الاجتماعية التى يحدث فيها التحول فى استخدام اللغات فى نفس الموقف •

ومن ثم ميّز كل من « بلوم وجمبرز » شكلين للتحول فى استخدام اللغات فى موقف معين تمثلا فى :

- التحول الموقفى Situational Switching

وهو يحدث داخل نفس الوضع عندما يعيد المشاركون تعريف الحادثة الاجتماعية •

---

(١) Blom, Jan - Peter & John J. Gumperz, Social Meaning in Linguistic Structure, " Code Switching in Norway " in John J., Cumperz & Dell Hymes, (eds.) 1972, pp. (407 - 434) . 433 .

ولقد ساق « بلوم و جيمبرز » مثالاً لذلك على النحو التالى

عندما يتقابل رجلا أعمال فى مدينة نيويورك يبدأ الحديث بالانجليزية ثم يكتشفا أثناء المحادثة أن لغة الحديث المحلية لكل منهما اللغة الفرنسية ، وهنا يعاد تعريف الموقف على أنهما فرنسيان تقابلا فى بلد أجنبى ومن ثم يتحولا الى استخدام اللغة الفرنسية بينما يبقى موضوع المحادثة بينهما نفس الشىء ٠

- تحول مجازى (استعارى) Metaphorical Switching

ويشير هذا التحول الى تحول اللغة ، والذى يحدث فى علاقته بأنواع معينة من الموضوعات أكثر من التغير فى الموقف الاجتماعى ، بمعنى أن الموقف الاجتماعى يظل كما هو فى حين يرتبط التحول اللغوى بأنواع معينة من الموضوعات التى ترتبط بنفس الموقف ٠

وعندما حلل « بروك باردزلى ، وكارول اياستمان » المحادثة ، بين الأفراد الناطقين بلغتين ، تبين لهماأن الأفراد الذين يتحدثون باللغة السواحلية واللغة الانجليزية يتحدثون مجازياً ، وأن الموضوع يؤثر على اختيار اللغة ٠ مثال ذلك أن مناقشة التعليم من قبل الأفراد الذين يتحدثون اللغتين باستخدام عدد كبير من الكلمات السواحلية ٠ ولكنهم يستخدمون الانجليزية بصورة أكثر لمناقشة التعصب العنصرى عندما لاينظر له المتحدث على أنه مشكلة بالنسبة للتنزانيين Tanzanians(١) وقد دلل كل من « بروزلى واياستمان » بأن الميل الأكثر دلالة للتحول اللغوى الزائد مرتبط بالاشارات (العلامات) Markers والفواصلPauses والاشارات هى كلمات فى النطق مكتملة المعنى فى ذلك السياق ، ولاتعتبر جزءاً من أعماق لغات المتكلم ٠ وقد يكون للاشارات فى سياقات أخرى معانى بالنسبة للغة المتكلم، وقد لايكون لها هذا٠

---

(١) Beardsley, R. Brock, & Carol M. Eastman, Markers, Pauses and Code Switching in Bilingual Tanzanian Speech, General Linguistics, 11 (1971) : 17 - 27

وباختصار فان وصف الأشكال المختلفة لمواقف احتكاك اللغة تتضمن عوامل سيكولوجية واجتماعية مثل العوامل اللغوية التى تتضمنها • وعليه فان وصف ثنائية اللغة وتعددها ، واختلاف استخدام اللغة فى نفس الموقف ، والتحول فى استخدام اللغة فى نفس الموقف ، كل ذلك يستلزم مفاهيم معينة خاصة مثل : التداخل اللغوى Interference الموضوع Topic ، والوضع Setting ، الموقف الاجتماعى Social Situation وحادثة اجتماعية Social Event تقترن بعناصر التحليل الوصفية فى علم الاجتماع اللغوي كما حددت سلفاً .

فوصف استخدام اللغة المغايرة فى الوضع الثقافى يتضمن الاحتكاك اللغوى (الثنائى والتعددى ، والإختلاف فى استخدام اللغة فى الموقف ، والتحول فى الاستخدام اللغوى) ، ويزودنا بالمعلومات الاثنوجرافية المتعلقة باللغات • وبالنسبة للوصف الذى يقدمه لنا علم اللغة أو الاثنوجرافيا للمحادثة بين من يتحدثون بلغتين قد لايتضمن أى عبارة حول العوامل التى يبرزها علم الاجتماع اللغوى ، والتى يكون لها تأثير على وصف المحادثة • وذلك مثل اختيار الموضوع ، والمتغايرات اللغوية ، والتحول اللغوى ، والوصف اللغوى التام ، ذلك الوصف الذى يستكمل بتحليل القواعد(البنية ،والاعراب ، والمفردات) ، والصوتيات •

(٢) التحليل التفسيرى للظاهرة اللغوية :

يسعى التحليل التفسيرى للغة للاجابة على التساؤلات الخاصة بتحديد العوامل التى تؤثر على نشأة اللغة وتطورها وتفرعها الى لغات ولهجات ، بالاضافة الى العوامل التى تتحكم فى هجرات اللغات ، وصراعها ، ومايرتبط بها من عمليات تداخل ، وتحول موقفى ، واختلاف فى استخدام نفس اللغة فى المناسبات ، والمواقف الاجتماعية • اضافة لذلك فان التحليل التفسيرى يتناول : طبيعة التساند الوظيفى بين الظاهرة ، اللغوية والظواهر الأخرى ، التى تتبادل معها التأثير والتفاعل • ومن ثم تتسع دائرة التحليل التفسيرى للغة لتشمل نطاق العلاقات ، والعمليات اللغوية على

مستوى المجتمع ، بالاضافة الى نطاق المحادثة ، والكلام ، ومايرتبط بهما من عمليات تداخل ، وتحول لغوى في المواقف الاجتماعية المختلفة ٠

ومن ثم تكون التساؤلات التالية محوراً للتحليل التفسيرى للظاهرة اللغوية :

- ماهى العوامل الأساسية لنشأة اللغة ، وتطورها ؟
- ماهى عوامل النمو اللغوى لدى الانسان ؟
- ماهى العوامل المتحكمة فى هجرات اللغات وصراعها ؟
- ماهى عوامل تفرع اللغة الى فصائل ولهجات ؟
- ماهى العوامل التى تؤدى لسيطرة لغة ، وتبعية لغة أخرى ؟
- ماهى العوامل التى تؤدى لتمايز اللهجات بين الجماعات والفئات الاجتماعية المختلفة ؟
- ماهى عوامل تغاير اللهجات فى النماذج المحلية المختلفة للمجتمع ؟
- ماهى عوامل التداخل اللغوى فى المواقف الاجتماعية ؟
- مامدى تأثير ثنائية اللغة ، وتعددها على الاستخدام المغاير للغة ؟
- ماهى العوامل المتحكمة فى التحول اللغوى فى الموقف الاجتماعى ؟
- الى أى مدى يرتبط اختلاف استخدام نفس اللغة فى الموقف الاجتماعى باللهجة المحلية واللغة الفصحى ؟
- ماهى عوامل اكتساب الشخص للمقدرة الملائمة على استخدام اللغة الفصحى للمجتمع ؟

ومن ثم يوجه التحليل التفسيرى للغة بالأساس المعرفى والمنهجى للبنائية الوظيفية ، والتفاعلية الرمزية ، لما توفراه من تكامل للمدخل الذى يستند اليه التحليل العلمى للتكوين الاجتماعى ، والثقافى للظاهرة اللغوية ٠

***

الفصل الثالث
الأطر المنهجية لعلم الاجتماع اللغوى

تمهيد :

ارتبطت نشأة علم الاجتماع اللغوى وتطوره بروافد معرفية أساسية ، تمثلت فى علم الاجتماع ، والانثروبولوجيا ، وعلم اللغة ، وما ارتبط بكل منها من محاولات ، لفهم اللغة فى سياقها الاجتماعى والثقافى • فقد تضافرت معطيات فهمها للغة ، مع معطيات الدراسات اللغوية ، التى عنيت بفهم اللغة ، والتنوعات اللغوية فى سياقها الاجتماعى والثقافى ، لتشكل تراث علم الاجتماع اللغوى ، الذى تأكدت من خلاله المستويات الصغرى ، والمستويات الكبرى لمعالجة اللغة ، وتحليلها من منظور علم الاجتماع اللغوى فى عام ١٩٦٠م •

ورغم أن علم الاجتماع اللغوى حديث عهد من حيث كونه نظاماً علمياً ، يهتم بدراسة اللغة ، وتحليلها من منظور علم الاجتماع ، الا أنه حقق تقدماً ملموساً وسريعاً فى دراسة الظاهرة اللغوية والتنوعات اللغوية ، والعمليات المرتبطة بالاحتكاك والتفاعل اللغوى ، بالاضافة الى دراسة التفاعل اللغوى على مستوى الجماعات الكبرى ، والجماعات الصغرى ، والاستخدام اللغوى ، والاتجاهات اللغوية ، واللغة ، ومعايير السلوك (١) فى المجتمعات المختلفة •

ويرجع التقدم السريع الذى حققه علم الاجتماع اللغوى فى أساسه لطبيعة الاطار المنهجى لهذا العلم ، الذى استمد دعائمه من تلك الروافد العلمية التى عنيت بالظاهرة اللغوية ، والتى قطعت شوطاً كبيراً فى ارساء مداخلها المنهجية ، واستخدام الطريقة العلمية فى معالجة اللغة ، ودراسة العمليات المرتبطة بها • الأمر الذى يسّر

---

(١) Fishman, Joshua a., Sociolinguistics, Rouley, Massachusetts, New-bury House Publishers, 1972. p. 21 .

على عالم الاجتماع اللغوى مهمة البحث ، والدراسة العلمية للغة باستخدام المداخل المنهجية ، التى تبلورت فى سياق علم الاجتماع ، والانثروبولوجيا ، وعلم اللغة ٠

وفى ضوء ذلك نعالج الأطر المنهجى لعلم الاجتماع اللغوى بتناول الموضوعات التالية :

- روافد علم الاجتماع اللغوى ٠
- الأغراض العلمية لعلم الاجتماع اللغوى ٠
- الأسس العلمية لدراسة الظاهرة اللغوية ٠
- المداخل المنهجية لعلم الاجتماع اللغوى ٠

أولاً : روافد علم الاجتماع اللغوى :

ساهمت التحليلات الوصفية للغة من قبل علماء اللغة ، وعلماء الأنثروبولوجيا فى تطوير الإجراءات المنهجية لعلم الاجتماع اللغوى ، وخاصة تلك الاجراءات المتعلقة بالتحليل التاريخى ، والتحليل المقارن ، الأمر الذى ترتب عليه ربط علم الاجتماع اللغوى بأصوله الفكرية التى بلورها علماء الاجتماع ، وعلماء اللغة ، وعلماء الأنثروبولوجيا ٠ حيث أثرت اتجاهات علماء الاجتماع لدراسة اللغة كظاهرة اجتماعية ، وتأكيدهم على ضرورة ربط اللغة فى نشأتها وتطورها ومايرتبط بها من عمليات لغوية بالسياقات الاجتماعية على علماء اللغة الذين أثروا بدورهم على معالجة اللغة من قبل علماء الأنثروبولوجيا ، فربطوها بالسياقات الثقافية ، وأسهموا فى تطوير مداخل الدراسات اللغوية الوصفية ٠

فقد اهتم « دوركايم » بالظاهرة اللغوية باعتبارها ظاهرة اجتماعية ، وأكد على رتباطها من حيث النشأة والتطور بالمحيط الاجتماعى ٠ وتأثر به من اللغويين « فرديناند وسوسور » الذى تحمس « لأفكار دوركايم » وأكد عليها فى تفسير الظواهر اللغوية صورة جعلته يربط اللغة من حيث نشأتها ، وتطورها ، والعمليات المرتبطة بها العوامل الاجتماعية التى تتحكم أيضاً فى معانى الكلمات ودلالاتها ، واشتقاق

المفردات ، وأساليب التعبير ودلالاتها الصوتية ، والقواعد اللغوية التى ترتبط بصورة أساسية بالجانب الاجتماعى ، والجماعة التى ينتمى اليها الفرد (١) ٠

وبظهور أفكار « دوسوسور » تلك نشط هذا الاتجاه فى التحليل الوصفى للغة ، ذلك الاتجاه الذى برز بشكل واضح فى نطاق الأنثروبولوجيا تحت تأثير عالم الأنثروبولوجيا « فرانز بواس » عندما عالج اللغات الأمريكية الهندية عام١٩١١م (٢) ، وصنفها فى مقالته بعنوان « تصنيف اللغات الأمريكية الهندية عام ١٩٢٩م (٣) ٠ والتصنيف هنا بمثابة تحليل وصفى للغات يشتمل على خصائصها وسماتها المميزة لكل فئة من فئات تلك اللغات ٠ وقد طبعت أعمال « فرانز بواس » أثرها على تلميذه « ادوارد سابير » ، الذى اهتم بدراسة الكلام فى مؤلفه بعنوان اللغة « مقدمة لدراسة الكلام » عام ١٩٢١م (٤) ٠

وقد تمخضت جهود علماء الأنثروبولوجيا التطوريون فى القرن التاسع عشر عن تأكيد واضح للحاجة الى الدراسات اللغوية المفصلة فى فترات زمنية ، بحيث تعالج اللغة واللهجات فى نطاق الثقافات المحلية ، ولما كانت جهود « فرانز بواس »

---

(١) De Saussure , Frdinand, Course de Languistique Generale .

(٢) Boas, Franz, Handbook of American Indian Languages, Bulletin 40 Burea of American Ethnology, U.S. Government Printing Office, 1911 .

(٣) Boas, F., Classification of American Indian Languages, Language 5 (1929 : 1-7) .

(٤) Sapir, Edward, Language : An Introduction to The study of Speach, Harcourt, Brace and World, 1921. (Covrse in General Linguistics) - I st . ed. 1916 - Mc Graw - Holl, The Philosophical Library, 1966 .

فى أمريكا قد عنيت بتصنيف اللغة حيث انصرف الى دراسة الوضع الذى عليه اللغات الأهلية بشمال أمريكا ، فانه بذلك قد طور الاتجاه نحو اجراء منهجى يساعد على عقد المقارنة بين لغات العالم الحديث ، خاصة وأنه قد لاحظ أن الكلام البشرى يتكون من ثلاثة أجزاء تتطابق تقريباً مع أقسام التحليل الوصفى للغة المتمثلة فى : علم الأصوات الكلامية ، وعلم البنية ، وعلم التنظيم اللغوى . وذلك ماتضمنته عبارته بوضوح عندما أشار الى أن المناقشة الموضوعية للغة تشتمل على ثلاثة نقاط تتمثل فى :

(أولاً) العناصر الصوتية للغة .

(ثانيا) مجموعة الأفكار التى يعبر عنها بواسطة المجموعات الصوتية .

(ثالثا) طريقة التكوين والتبديل للمجموعات الصوتية.

وقد كان اعتقاد عالم الأنثروبولوجيا « سابير » Sapir ، متجهاً الى أن القواعد لايجب أن تشمل على وصف العناصر الصوتية فقط ، ولكن ينبغى أن تصف أيضاً العلاقة بين عناصر الكلمات والعبارات . وقد صيغت آراء كل من « بواس » و «سابير» فى مفهوم العمليات القواعدية، ثم صارت فى الوصف النهائى معروفة بعلم البنية ، وعلم التنظيم . وعليه فانهما يذهبان الى أن القواعد تصف كل من الأصوات والعمليات القواعدية للغة . وقد ربط « بلومفيلد » Bloomfield فى الجانب الآخر بين علم البنية (تكون الكلمة) ، وعلم التنظيم (تنظيم الكلمات فى عبارات) فيما أسماه علم المعانى ، حيث ذهب الى أن لعلم الدلالة جانبين يتمثلان فى :

١ - القواعد : عبارة عن الترتيب المكتمل المعنى للأشكال (الصور) فى اللغة :

أ) التنظيم .

ب) البنية .

٢ - وعلم المفردات .

وعليه فان التحليل الوصفى للغة عن « بلومفيلد » اشتمل على القواعد

بما تشتمل عليه من تنظيم وبنية ، ومفردات ، لوصف ماتعنيه الأشكال الصوتية (١)٠

أما بالنسبة لاتجاه دراسة اللغة ، فى أوربا فقد كان معنيا بعقد المقارنة بين كل من الثقافة واللغة ٠ وعليه فان نتائج المقارنة تكون صادقة بمدى ماتوفره من وصف مقارن للغات والثقافات (٢) ٠ وقد أثر ذلك على اتجاه بعض اللغويين الذين تأثروا بعلماء الاجتماع فسعوا لربط اللغة بالسياقات الثقافية والاجتماعية ٠

وبذلك نجد أن المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع - والتى تربط تفسير الظاهرة اللغوية بالظواهر الاجتماعية الأخرى - قد أثرت على بعض اللغويين أمثال «دوسوسور» وهو الذى تأثر به علماء اللغة والأنثروبولوجيا ، الذين تطرقوا فيما بعد فى تفسير الظواهر اللغوية (المتعلقة بالأصوات اللغوية وبنية اللغة والتنظيم اللغوى والمفردات) من خلال علاقتها بالسياقات الثقافية ، والاجتماعية ٠

وقد امتد تأثير علماء الاجتماع فى دراسة اللغة من خلال أعمال « دوسوسور » لبلورة أبعاد التحليل البنائى للظاهرة اللغوية ، حيث نشط التحليل البنائى الوصفى للغة غير المكتوبة من قبل علماء الأنثروبولوجى الذين استخدموا المدخل الأنثروبولوجى بشكل واضح خلال الفترة من ١٩٣٣ - ١٩٦٧م ، وذلك لأن الوصف أكد بشكل واضح على اكتشاف الأبنية الداخلية للغة سواء من قبل الأنثروبولوجيين أو اللغويين ، وذلك ما جعل « زيلج هاريس » Zellig Harris يؤكد فى تحليله الوصفى على الجوانب البنائية ٠

واذا كان عالم اللغة السويسرى « فردناند دوسوسور » قد مهد لدعم التحليل البنائى للغة عندما تناول اللغة كنسق ، واللغة كحديث حيث أثر بذلك على تطوير النزعة البنائية فى الدراسات اللغوية ، والدراسات الأنثروبولوجية ، فان فكرة البنائية

---

(١) Bloomfield, Leonard, Language, Piolt, Rinchart and Winston, 1933 .

(٢) Eastman, C. M., op. cit. p. 55 .

تلك قد طورت بشكل واضح من قبل « زيلج هاريس » الذى طور الأفكار الخاصة بدوسوسور (نسق اللغة والكلام) ، والأفكار التى طرحها « كنث بيك » Kenneth Pike والخاصة بالدلالة الصوتية لوحدات النسق اللغوى ، والأساليب اللغوية للكلام (١) .

وقد كان لمثل تلك المفاهيم أثرها الواضح فى تطور التحليل الوظيفى والبنائى للغة فى نطاق علم الاجتماع اللغوى حيث بدأ الاهتمام يجعل التحليل الوصفى للغة ينطلق من وحدات الكلام (etic) الى وحدات نسق اللغة (emic) وهنا بدأ ربط اللغة بالثقافة وذلك لأن وحدات الكلام ومايرتبط بها من أساليب لغوية ، ودلالاتها الصوتية التى تعين السلوك اللغوى تتميز من ثقافة لأخرى ، وذلك يعنى أن العلاقة بين اللغة والثقافة وإن تحدد على مستوى البنية اللغوية الا أنها تتجسد من خلال السلوك اللغوى والأساليب اللغوية .

وبتقدم البحوث المعنية باللهجات ، وانشاء علم اللهجات (الدياليكتولوجى) توفرت لعلماء اللغة مادة علمية وفيرة تعالج العلاقة بين اللهجات والسياقات الاجتماعية والثقافية . وتعتبر دراسة « نانسي ميتفورد » المبكرة للهجات الاجتماعية فى بريطانيا عام ١٩٥٥ ، والتى عالجت التقسيمات اللغوية والأساسية فى بريطانيا بين الطبقات الاجتماعية (٢) ، اضافة لجهود « ماكس فينريخ » فى معالجة أثر الدين على اللغة (٣) . وتعد تلك الدراسات باكورة الاهتمام باللهجات الاجتماعية واختلافها

---

(١) Harris, Zellig, Structural Linguistics, University of Chicago Press, 1951, pp. 365 .

(٢) Mitford, Nancy , The English Anistocracy, in Nancy Mitford (ed.) Noblesse Oblige, Harper & Brothers, 1956, pp. 27 - 28 .

(٣) Weinreich, Max, Yidishkayt and Yiddish: on The Impact of Religion on Language in Ashkenazi Jewry, : in MordecaiM. Kaplan Jubilee Volume, Jewish Teologgical Seminary of America, New York, 1953 .

باختلاف الفئة الاجتماعية ،والبيئة الجغرافية ، والمستويات الثقافية (الحضرية والريفية) والأنشطة المهنية ٠

وتعتبر دراسات كل من « فرجيسون » Ferguson و « جيمبرز » Gum-perz عام ١٩٦٠م ، و«هاليدى» Halliday عام ١٩٦٤ للهجات بمثابة الأعمال الأولى التى استخدمت مصطلح علم اللهجات ، وجغرافية اللهجات فى سياق علم اللغة ٠ ومن ثم استفاد منها علم الاجتماع اللغوى (١) فى معالجته للظاهرة اللغوية ٠

ثانيا : الأغراض العلمية لعلم الاجتماع اللغوى :

(١) أغراض علم الاجتماع اللغوى :

كان للتقدم الذى حققه علم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا ، وعلم اللغة ، أثره المباشر فى بلورة معالم البناء المنهجى لعلم الاجتماع اللغوى ٠ خاصة بعد أن تحددت أبعاد التحليل الوصفى للغة ، وأبعاد التحليل التفسيرى لظواهرها باعتبارهما وظيفتين أساسيتين لعلم الاجتماع اللغوى ، يقوم بهما وهو بصدد بلوغ هدف الفهم لظواهره ، ذلك الفهم الذى يستند اليه عالم الاجتماع اللغوى فى عقد تنبؤاته حول اللغة وظواهرها ، وهو الهدف العلمى الثانى ، الذى تسعى لتحقيقه مختلف العلوم الاجتماعية ، شأنها فى ذلك شأن بقية العلوم الأخرى ٠

واذا كان علم الاجتماع اللغوى فرعاً من فروع علم الاجتماع ، يتخذ من الظاهرة اللغوية موضوعاً لدراسته ، فانه بذلك يسعى لتحقيق أهدافه من خلال التحليل الوصفى والتفسيرى للغة لتحقيق الأغراض النظرية التالية :

- الوقوف على طبيعة الظواهر اللغوية ، وظروف نشأتها ، والدعائم الثقافية والاجتماعية التى ترتكز عليها فى نشأتها وتطورها ٠

- دراسة الظاهرة اللغوية من حيث تطورها ، واختلافها باختلاف الأزمنة

---

(١) Fishman, J. A. , op . cit., p. 22 .

والنماذج الاجتماعية • والكشف عن خصائصها المميزة لها في سياق تلك النماذج الاجتماعية • وتحديد العوامل والقوى التى تحكمت فى تغيرها وتشعبها الى فصائل ولغات •

– الكشف عن العلاقات التى تربط الظاهرة اللغوية بما عداها من ظواهر اجتماعية وثقافية • والوقوف على مبلغ تفاعلها مع تلك الظواهر والنتائج المترتبة على هذا التفاعل •

– تحليل عناصر النسق اللغوى المتمثلة فى البنية ، والتنظيم ، والأسلوب ، والصوتيات ، والدلالة ، من حيث علاقتها ببعضها ، ومبلغ تفاعلها مع السياقات الاجتماعية والثقافية للجماعات والمجتمعات •

– تعيين الوظائف الاجتماعية للظواهر اللغوية ، ومبلغ تطور هذه الوظائف ، واختلافها باختلاف المجتمعات •

– تعيين الظواهر اللغوية المتولدة عن ثنائية اللغة ، وتعددها فى المجتمعات ، ومردوداتها الوظيفية بالنسبة للغة ، والأفراد ، والمجتمعات •

– الوقوف على القوانين الاجتماعية التى تحكم الظواهر اللغوية فى نشأتها ، وتطورها ، وتشعبها الى فصائل ولغات أو لهجات ، والتى تحكمها فى علاقتها ببعضها، وبغيرها من الظواهر الاجتماعية والثقافية ، وفى أدائها لوظائفها بالنسبة للأفراد والمجتمعات •

(٢) التساؤلات السسيولوجية لعلم الاجتماع اللغوى حول الظواهر اللغوية :

تشكل التساؤلات السسيولوجية ، التى يطرحها علم الاجتماع اللغوى حول موضوعية ، معضلة أساسية بالنسبة للاتجاهات النظرية المختلفة ، التى توجه تفسيرات عالم الاجتماع اللغوى للظواهر اللغوية • وذلك لأن تلك التساؤلات تشكل فى مجملها أبعاد الاطار المعرفى الذى يوجه المعالجة المنهجية للظواهر اللغوية ويحدد

مداخلها واجراءاتها الملائمة ، والتى تمكن عالم الاجتماع اللغوى من توفير البيانات الواقعية التى تمكنه من الاجابة عن تلك التساؤلات ٠

ولما كان موضوع علم الاجتماع اللغوى يرتبط بموضوع علم الاجتماع ، باعتبار الظاهرة اللغوية واحدة من الظواهر الاجتماعية ، التى تشكل الموضوع الأساسى لعلم الاجتماع ، فضلاً عن كون علم الاجتماع اللغوى فرعاً من فروع علم الاجتماع ، يختص بدراسة الظاهرة اللغوية فى ضوء المنطلقات النظرية لعلم الاجتماع، وأطره المنهجية ، فانه بذلك (أى علم الاجتماع اللغوى) يسترشد بالتساؤلات السسيولوجية التى يطرحها علم الاجتماع حول الظواهر الاجتماعية بما فيها الظواهر اللغوية ، فى صياغة تساؤلاته السسيولوجية حول الظواهر اللغوية ، والعمليات الاجتماعية المرتبطة باللغة فى نشأتها ، وتطورها ، وانشعابها الى فصال ولغات ولهجات ، وهجراتها وصراعها مع اللغات واللهجات ، ومايرتبط بها من حالات التداخل اللغوى ، والتحول اللغوى ، واختلاف الاستخدام للغة معينة فى نفس الموقف من قبل الشخص ٠

وفى ضوء ذلك نتخذ من التساؤلات السسيولوجية لعلم الاجتماع ، مؤشرات أساسية لتحديد التساؤلات السسيولوجية لعلم الاجتماع اللغوى ، حول الظواهر اللغوية ٠ تلك التساؤلات السسيولوجية التى تدور عند « بيتر بيرجر» Berger حول: ماذا يعمل الناس مع بعضهم ؟ وماعلاقاتهم ببعضهم ؟ وكيف تنظم هذه العلاقات فى نظم ؟ وماهى الأفكار الجمعية التى تحرك الناس والنظم (١) ؟ ٠أما عن تلك التساؤلات عند عالم الاجتماع الأمريكى « س٠رايت ملز» Mills فقد حدد أنواعها الموجهة للمدخل السسيولوجى لدراسة المجتمع البشرى فيما يلى :

---

(١) Meighan, Ronal, A Sociology of Education, London & New York: Holt Rinehart and Wisnton, 1981. p . 6 .

- ماهو البناء الاجتماعى لهذا المجتمع بصورة عامة ؟ وماهى عناصره ؟ وكيف ترتبط تلك العناصر البنائية ببعضها ؟ وكيف تختلف عن العناصر البنائية للأنواع الأخرى من النظم الاجتماعية ؟ ومامعنى السمة الخاصة المحققة لاستمراره وتغيره ؟ .

- ماهى طبيعة البناء الاجتماعى للانساق اللغوية ؟ وماهى طبيعةالنظم الأساسية للانساق اللغوية ؟ وكيف ترتبط العناصر البنائية للنسق اللغوى ببعضها؟ أى كيف ترتبط نظم النسق اللغوى ببعضها ؟ وكيف تختلف النظم والانساق اللغوية فى نظام اجتماعى معين عن غيرها من النظم والانساق اللغوية فى نظام اجتماعى آخر ؟ وماهى السمة الخاصة الداخلية والمميزة للانساق اللغوية ، والخاصة باستمرارها وتغيرها ؟ .

- وماهو وضع النظم اللغوية وميكانزمات تغيرها فى المجتمع ؟ وماهى معانيها بالنسبة لنمو المجتمع وأعضائه وانساقه الفكرية ؟ وكيف ترتبط الظواهر اللغوية بظواهر المجتمع الأخرى ، وتؤثر عليها ، وتتأثر بظروفه ، وبالفترة التاريخية ؟ .

- وماهى الاختلافات السائدة بين اللغة الفصحى واللهجات المختلفة فى المجتمع ؟ وهل المجتمع أحادى اللغة أم ثنائى اللغة أم متعدد اللغات ؟ وماهى الضغوط اللغوية التى تفرضها أى من تلك المجالات اللغوية على أعضاء المجتمع عند استخدام اللغة ؟ وماهى طبيعة السلوك اللغوى ، والطابع المميز له فى المجتمع ؟ والى أى مدى تسهم اللغة فى تأكيد هذه الطبيعة واكساب أعضاء المجتمع طابعاً لغوي معيناً فى فترة تاريخية معينة ؟ .

- ماهى طبيعة الأداء الوظيفى للغة بالنسبة لأعضاء المجتمع والثقافة والشخصية ؟ وماهى نوعية الأداء الوظيفى للغة بالنسبة للتعليم، والضبط الاجتماعى، والتغير ، والتوازن فى المجتمع ؟ .

وفى ضوء أغراض علم الاجتماع اللغوى من دراسته للواهر اللغوية

وطبيعةالتساؤلات السسيولوجية التى يطرحها حول الظواهر اللغوية ، ومايرتبط بها من عمليات ، وأداء وظيفى ، بالنسبة للشخصية والمجتمع والثقافة ، فى ضوء ذلك تتكشف الأبعاد الأساسية للظواهر اللغوية ، والتى تشكل محور اهتمام عالم الاجتماع اللغوى عند دراسته للغة كظاهرة اجتماعية :

- دراسة الانساق اللغوية ، وماتشتمل عليه من نظم تشكل العناصر البنائية (المفردات والأصوات والأساليب والمعانى) ، والعلاقات التى تربطها ببعضها من ناحية ، وتربطها بالظواهر الاجتماعية والثقافية فى المجتمع ، وبالظواهر اللغوية فى المجتمعات الأخرى من ناحية ثانية ٠

- دراسة العمليات الاجتماعية اللغوية المرتبطة بالتطور والنمو اللغويين ، وهجرة اللغات وتفاعلها وصراعها وانقسامها الى فصائل ولغات أو لهجات ، بالاضافة الى تلك العمليات اللغوية المرتبطة بثنائية اللغة ، وتعددها ، والمتمثلة فى التداخل اللغوى ، والتحول اللغوى ، والاختلاف فى استخدام اللغة من قبل الشخص فى نفس الموقف ٠

- دراسة الوظائف الاجتماعية للغة ، وميكانزمات تغيرها ، وعملياتها ، وماتعنيه تلك العمليات بالنسبة للمجتمع والثقافة والشخصية ، ومايترتب على اللغة وعملياتها من أداء وظيفى بالنسبة لنظم المجتمع وظواهره ، المتمثلة فى التغير والضبط الاجتماعى ٠٠٠ الخ ٠

وبذلك يتناول علم الاجتماع اللغوى المبادىء السسيولوجية التى تحدد المنظور العلمى لعلم الاجتماع وذلك لتحديد معالم اتجاهات النظرية لمعالجة الظواهر والعمليات اللغوية ، وتقديم التفسيرات الملائمة لها ٠

(٣) المهام الوظيفية للطريقة العلمية فى علم الاجتماع اللغوى :

فى ضوء تلك الأغراض العلمية ، والتساؤلات السسيولوجية التى تحدد أبعاد الظاهرة اللغوية يتضح أن علم الاجتماع اللغوى يسعى باستخدامه للطريقة العلمية

لتحقيق المهام الوظيفية التالية :

- تحصيل البيانات الوصفية والتفسيرية حول الظواهر اللغوية ، والعمليات الاجتماعية المرتبطة بتطورها ، وانقسامها الى فصائل ولغات ، وهجراتها ، وصراعها مع اللغات الأخرى ، ومايرتبط بالصراع اللغوى من ظواهر لغوية فى نطاق المجتمع ثنائى اللغة ، والمجتمع متعدد اللغات • ومايرتبط بها من ظواهر لغوية تتعلق باستخدام اللغة من قبل أعضاء تلك المجتمعات • اضافة الى سعيه لتوفير البيانات العلمية حول النسق اللغوى سواء من حيث المفردات أو البنية أو التنظيم اللغوين ، ومايرتبط بهما من أساليب صوتية ودلالات رمزية تكشف عن المعنى الاجتماعى للغة ، ومدى تفاوته بتفاوت الجماعات والمجتمعات • أو من حيث التنوعات اللغوية ومايرتبط بها من ظواهر وعمليات •

- وتتمثل المهمة الوظيفية الثانية لاستخدام الطريقة العلمية فى دراسة اللغة من قبل عالم الاجتماع اللغوى فى صياغة النظريات التفسيرية للظاهرة اللغوية ، ومايرتبط بها من عمليات • وذلك بتعيين المفاهيم ، وصياغة القضايا ، وتقديم التعريفات العلمية لتلك المفاهيم والقضايا فى ضوء معطيات المعالجة الامبريقية للغة •

- أما بالنسبة للمهمة الوظيفية الثالثة لاستخدام الطريقة العلمية فى معالجة الظاهرة اللغوية فتتمثل فى سعى عالم الاجتماع اللغوى للتحقق من النظريات المفسرة للظواهر اللغوية ، واخضاع مفاهيمها وقضاياها وتعريفاتها للقياس ، والتحقق الامبريقى فى المحيط الثقافى والاجتماعى للنماذج الاجتماعية المختلفة • وذلك لاقامة البرهان العلمى على صحة تلك المفاهيم والقضايا والتعريفات ، ومدى كفايتها المنهجية لتقديم التفسيرات العلمية المناسبة للظواهر اللغوية ، والعمليات المرتبطة بها •

ثالثا : الأسس العلمية لدراسة الظواهر اللغوية :

رغم أهمية التحليلات الوصفية للظواهر اللغوية لما تقدمه لنا من وضوح بابعاد تلك الظواهر وخصائصها وفئاتها والعناصر البنائية المكونة لها كنسق لغوى ، الا أن

مجرد الوصف لتلك الظواهر دون الاستطراد فى استكمال التحليل السسيولوجى لها تفسير نشأتها وتطورها وعلاقاتها بما عداها من الظواهر الأخرى ، وتحديد القوى العوامل التى تتحكم فيها وتوجه أدائها لوظيفتها لايكفى لتحقيق الفهم العلمى للظواهر اللغوية والعمليات المرتبطة بها .

كما أن الاقتصار على مجرد تحديد الوظائف التى تؤديها الظواهر اللغوية بالنسبة للمجتمع والثقافة والشخصية لايكفى فى حد ذاته لتحقيق الفهم العلمى لها. ذلك لأن بيان الوظائف التى تؤديها الظواهر اللغوية لايعد تفسيراً لنشأتها أو للكيفية التى وصلت بها الى حالتها الراهنة ، كما أن الوظائف التى تؤديها الظواهر اللغوية ليست سبباً مباشراً لوجودها بقدر ماهى نتيجة طبيعية لسماتها النوعية التى تميزها عن غيرها من الظواهر .

واذا كان « اميل دوركايم » يرى أن مجرد شعورنا بالغاية قد يكون حافزاً لنا الى تحريك هذه الأسباب لكى نبلغ بها النتائج التى يمكن أن تحققها الظاهرة ، فان ذلك قد يكون مقبولاً فى حالة وجود الظاهرة وادراكنا لأهميتها الوظيفية . ومن ثم نفكر فى امكانية تغييرها لتحقيق معدلات وظيفية معينة للانسان . الا أننا لانستطيع أن نخلق هذه النتائج الوظيفية للظاهرة من العدم ، بمعنى أن الحاجة لوظيفة ظاهرة اجتماعية مثل الظاهرة اللغوية ليست بالسبب الذى يهبها الوجود ، ويخلقها من العدم. وذلك مايؤكد وجود بعض الجماعات البشرية لحقبات قريبة ليست لها لغة مكتوبة أو حتى منطوقة . ومن ناحية أخرى كيف يمكننا تفسير وجود ظواهر اجتماعية ضارة بالنسبة للأفراد أو الجماعات والمجتمعات مثل الجريمة ، والتى وجدت رغم مردوداتها السلبية .

ورغم أن الظاهرة اللغوية كظاهرة اجتماعية لايرى فيها الانسان سوى مركبات عقلية ، فان ذلك لايكفى لربط وجودها بمجرد التفكير فى فوائدها الوظيفية ، وذلك لأن رغبتنا أو ارادتنا ليست بالسبب الكاف لوجود الظواهر اللغوية من العدم . وهذا

يعنى أن فهم الظواهر اللغوية يقتضى الوقوف على العوامل والقوى التى تعتبر شرطاً ضرورياً لوجودها (١) ٠

ومن ثم فان الفهم العلمى للظواهر اللغوية لايعتمد فقط على مجرد التحليل الوصفى لتلك الظواهر ، أو التعرف على الوظائف التى تؤديها ، وانما يعتمد بالاضافة الى ذلك على التحليل التفسيرى للعوامل والقوى التى تتحكم فى نشأة الظواهر اللغوية ، وتطورها ، وانشعابها الى فصائل ولغات أو لهجات ، تلك القوى التى توجه العمليات المرتبطة بها ، وتحدد نمط علاقاتها بالظواهر الأخرى ، ومستويات الأداء الوظيفى لها ٠

وعليه فان تحقيق هذا الفهم للظواهر اللغوية يقتضى أن تستند دراستها لأسس علمية محددة ، تساعد على بلوغ الغاية من دراستها ٠ وقد عنى بعض المفكرين والعلماء بتحديد أسس دراسة الظواهر الاجتماعية ، والتى تنتمى اليها الظواهر اللغوية، لضمان تحقيق تلك الدراسة لغرضها الأساسى والمتمثل فى الفهم العلمى ، وذلك على نحو مافعل العلامة العربى ابن خلدون الذى أكد على نمطين من الأسس تمثلا فى : الجانب النقدى السلبى ، والجانب المنهجى الايجابى ، حيث يشر الجانب النقدى لتلك الأسس المتمثلة فى ضرورة التحرر من الأفكار السابقة عن الظواهر اللغوية ، وعدم التشيع للآراء والمذاهب ٠ وعدم الأخذ عن السابقين دون فحص تلك الآراء ، والتحقق من صحتها ٠ أما الجانب الايجابى فى معالجة الظاهرة اللغوية فيتمثل فى تأكيده على ملاحظة الظواهر اللغوية والاعتماد على التجربة الشخصية فى دراستها ، وذلك يعنى أنه يؤكد على التجربة الطبيعية المتعلقة بالحوادث التاريخية ٠ وهذا مايؤكد أهمية التاريخ اللغوى فى دراسة اللغة باعتبارها واقعة عمرانية ، ترتبط بها أحداث تاريخية

---

(١) Durkheim, Emile, The Rules of Sociological Method, N.Y., The free Press, 1966. pp. 91- 92 .

معينة ، تساعد على اخضاع اللغة للتحليل المقارن • ثم جاءت اسهامات عالم الاجتماع الفرنسى لتكشف لنا عن الطبيعة الاجتماعية للظاهرة اللغوية ، وقابليتها للتحليل الوصفى والتفسيرى ، وامكانية اخضاعها للمعالجة التجريبية ، والمقارنة التاريخية بالصورة التى تمكن من توفير المعلومات الموضوعية الدقيقة والشاملة والثابتة حول الظواهر اللغوية •

ومثل تلك المعالجات المنهجية تتطلب من عالم الاجتماع اللغوى الوعى بمجموعة الأسس المنهجية التى تعين منحى الباحث ومسلكه عند دراسته للظواهر اللغوية فى المجتمع والتى يمكن حصرها فى الأسس التالية :

- يتمثل الأساس الأول لدراسة الظاهرة اللغوية فى ضرورة البدء بتعريف الظاهرة اللغوية المراد دراستها لكى يتوفر لدينا رؤية واضحة لنوع الوقائع اللغوية التى تخضع للمعالجة • وذلك يقتضى بدوره أن يكون التعريف مطابقاً للوقائع اللغوية موضوع المعالجة ومعبراً عنها ، وقائماً على الخواص الأكثر ظهوراً للظواهر اللغوية ، والتى يمكن للباحث أن يلاحظها بصورة مباشرة بحيث تكون هذه الخصائص سبيلاً للباحث يعاونه على كشف الخصائص الجوهرية الداخلية للظواهر اللغوية (١) •

- تقتضى الدراسة العلمية للظواهر اللغوية تحرير الباحث من توجيه الآراء السابقة حول الظواهر اللغوية ، وأن تكون هذه الآراء موضع تمحيص واختبار ذلك لكى تتجه ملاحظات الباحث مباشرة للظواهر اللغوية التى يخضعها للقياس حتى لاتنزع تلك الآراء لنفسها مكان الظواهر اللغوية • وهنا تبرز تأكيدات ابن خلدون على ضرورة تمحيص الآراء والأفكار السابقة ، ووضعها موضع الشك المنهجى على نحو ماذهب « ديكارت » لكى يتحرر عالم الاجتماع اللغوى من تأثير المعانى الكلية التى لاتمت للعلم بصلة (٢) •

---

(١) اميل دور كايم ، المرجع السابق ، ص ٧٥ •

(٢) اميل دور كايم ، نفس المرجع ، ص ٧١ •

– قد تأتى دراسة الظواهر اللغوية وملاحظتها باعتبارها أشياء لتشكل أساساً علمياً ثالثاً يشير الى أن المعانى الكلية التى يتمثلها العقل حول الظاهرة اللغوية تختلف عن تلك الظواهر التى نعتبرها أشياء فى حد ذاتها · ومن ثم فان تحليلنا للمعانى التى كونها العقل لنفسه حول تلك الظواهر قد يتعارض مع طبيعة الظواهر اللغوية التى نشاهدها فى الواقع ، نظراً لأن تلك المعانى تنتزع لنفسها مكان الظواهر اللغوية التى ينبغى أن نخضعها للملاحظة والقياس · وعليه فان هذه الحالة تشير الى أنه عند الاعتماد على المعانى المطلقة فى فهم الظواهر اللغوية لاتكون الظواهر اللغوية الموضوع الذى يراد دراسته ، وانما تكون النظريات هى الموضوع الأساسى للدراسة وتكون الظواهر اللغوية مجرد أمثلة نستعين بها للتدليل على صحة هذه المعانى ·

وفى هذه الحالة يرى « دور كايم » أن العلم ينتقل بنا من المعانى الكلية الى الأشياء ، أى من النظريات (المعانى العامة) الى الوقائع اللغوية · فى حين أن مقتضيات المنهج العلمى تشير الى ضرورة أن ينتقل العلم بنا من الوقائع اللغوية الملاحظة الى النظريات أو المعانى العامة · وذلك لأن المعانى مهما كان مستوى صحتها فانها لاترقى الى مستوى الأشياء ، بمعنى أنها لاتحل محل الأشياء · وفى ذلك سبق العلامة العربى ابن خلدون اميل دوركايم عندما أكد على ضرورة ملاحظة الظواهر اللغوية ملاحظة مباشرة ، وعدم التشيع للآراء والمذاهب السابقة ، التى ينبغى تمحيصها قبل الأخذ بها · واذا كان بعض علماء الاجتماع أمثال « تكالوت بارسونز» الذى اتخذ من النظريات الكبرى مدخله لفهم الوقائع الاجتماعية وهو بذلك يجعل المعانى الكلية (النظريات) موضوعاً للعلم بدلاً من الوقائع ، التى يتخذ منها أمثلة للتدليل على صحة تلك المعانى ، فان هناك علماء اجتماع آخرون (أمثال : « روبرت ميرتون ، وجورج هومنز ») يتخذون من الظواهر الاجتماعية الملاحظة مدخلهم للوصول الى المعانى العامة الكلية (النظريات) حول تلك الظواهر ·

والواقع أن اتجاه ابن خلدون واميل دوركايم هنا ينطوى على درجة عالية من

الصحة ، الا أن ذلك لاينفى امكانية الاسترشاد بالنظريات لتحقيق وضوح الرؤية بأبعاد الظواهر اللغوية ، وخاصة فى حالة قابلية هذه النظريات للخضوع للملاحظة والقياس ، ودون أن تخلع عليها الصلاحية المطلقة لتوجيه فهمنا لأبعاد الوقائع اللغوية ، ذلك الفهم الذى يكتسب علميته من اخضاع النظريات وعناصرها من حيث التعديل ، والتطوير لملاحظة الظواهر اللغوية ، والمعطيات الامبيريقية حولها ٠

- ملاحظة الظواهر اللغوية من الناحية التى تبدو فيها مستقلة عن مظاهرها الفردية غير المتكررة ، وذلك بدراسة حالات الظواهر العامة المتكررة للكشف عن طبيعتها الاجتماعية ، واستبعاد الحالات الفردية التى تظهر فيها الظاهرة اللغوية (١) ٠ بمعنى الاقتصار على حالات الظواهر اللغوية الموضوعية ، واستبعاد حالات الظاهرة اللغوية المتسمة بالطابع الشخصى ٠

واذا كان دوركايم يهتم بمجموعة الأسس العلمية لدراسة الظاهرة الاجتماعية ، باعتبارها وحدة متكاملة ومترابطة مع بعضها ، فذلك يرجع الى قناعته بالمسلك العلمى فى دراسة تلك الظاهرة ٠ وهذا هو نفس الاتجاه الذى يسلكه علماء الاجتماع المعاصرون فى دراسة الظاهرة اللغوية كظاهرة اجتماعية من منظور علم الاجتماع اللغوى ، حيث نجدهم يؤكدون على ضرورة توجيه عملية البحث بمبادىء المنظور العلمى بصورة متكاملة لضمان سير الدراسة فى مسارها العلمى الصحيح ٠

رابعاً : المداخل المنهجية لعلم الاجتماع اللغوى :

توفر لعلم الاجتماع اللغوى حصاداً فكرياً وافراً من روافده العلمية المتعددة ، والمتمثلة فى علم الاجتماع ، والانثروبولوجيا ، وهى التى تعين أبعاد تصوره المنهجى لمعالجة الظواهر اللغوية ودراستها ٠ كما أن ماتتضمنه من قواعد معرفية تنظم عملية البحث للظواهر اللغوية ، وتحدد مسارها وخطواتها وما تستخدمه من أساليب وأدوات

---

(١) اميل دوركايم ، المرجع السابق ، ص ٩٠ ٠

منهجية فى تناولنا للظاهرة اللغوية ، ومايرتبط بها من عمليات لغوية ٠ اضافة لذلك فان الدراسات اللغوية المختلفة التى نشطت منذ أربعينات هذا القرن قد ساعدت على ظهور الاهتمام بعلم الاجتماع اللغوى منذ ستينات هذا القرن ، الأمر الذى ترتب عليه معالجة الجوانب المنهجية لعلم الاجتماع اللغوى كنظام علمى يُوجه فى دراسته للظواهر اللغوية بمبادىء المنظور العلمى ٠

وقد ساعد هذا التراث العلمى على بلورة المداخل المنهجية لعلم الاجتماع اللغوى ، تلك المداخل التى تعبر عن التصور المنهجى لمعالجة الظواهر اللغوية ودراستها، والتى تنحصر فى :

- المدخل الأنثروبولوجى ٠
- المدخل التاريخى ٠
- المدخل المقارن ٠
- والمدخل التجريبى ٠

(١) المدخل الأنثروبولوجى وتطور التحليلات الوصفية للغة :

رغم توفر الدراسات اللغوية الوصفية المبكرة للفنون اللغوية المكتوبة مثل : الأدب ، والتى كانت تخدم أغراض التعليم فى أوربا وأمريكا ، فقد ظهرت الحاجة الماسة فى أمريكا فى الفترة من ١٨٩٠ وحتى ١٩٠٠م للتحليل الوصفى للغة بما يخدم التعليم ، والدراسة للغات أمريكا الشمالية ٠ ومن ثم فقد شهدت بداية هذا القرن فى أمريكا تطوراً ملموساً للدراسة الوصفية نتيجة لتأثير « فرانز بواس » لدراسته للغات الهندية الأمريكية عام ١٩١١ م ، وتأثير دراسة تلميذه « ادوارد سابير » للغة الكلام عام ١٩٢١م ، فكلاهما قد طور مفاهيم التحليل اللغوى من خلال الدراسات الحقلية التى اجرياها حول اللغات الهندية الأمريكية ٠ حيث اعتمدا على المدخل الأنثروبولوجى فى رصد أحداث كلام الأهالى وكتابتها كما سمعاها من الأهالى كاخباريين ٠

وقد كان « سابير » معنياً بتسجيل العناصر الصوتية من واقع البيانات التى جمعها من الاخباريين حيث أعد لذلك قائمة للرموز الصوتية ، التى تكشف عنها الأصوات المختلفة للغة سماعاً وكتابة ، ويرجع تأكيد « بواس »على تسجيل اللغة كتابة بالاضافة الى سماعها الى الحاجة لعقد مضاهاة بين الكلمة الموسوعة ، والكلمة المكتوبة ، نظراً لأن نطق الكلمة قد يخفى بعض الحروف التى تظهر فى كتابتها ، والتى قد يخيل للسامع الذى يعرف الكتابة بأن نطق الكلمة مماثل لكتابتها فى حين أنها قد لاتكون كذلك ٠ كما أن عدم ايلاف الباحث الأنثروبولوجى للكلمة يجعله يدركها ادراكاً مغايراً لما تكون عليه الكلمة بالفعل ٠ أضف لذلك أن اهتمام الباحث بمعنى الكلمة ودلالتها الرمزية قد يجعله ينصرف عن بعض حروف الكلمة الى معناها لمجرد سماعه لبعض حروفها ، ونفس الشىء يحدث للجملة ، أو العبارة التى ينصرف عن بعض كلماتها الى المعنى الذى يدركه بمجرد ذكر بعض كلمات الجملة ٠ وعليه فان دراسة المظاهر الصوتية للغة (الفونيتيك) تقتضى من الباحث أن يعقد مضاهاة بين الكلمة المسموعة والشكل الكتابى لها ٠

ومن ثم أكد علماء اللغة على ضرورة استعانة الأنثروبولوجى بالتسجيل ، وبعض الأجهزة ، والمقاييس فى دراسة اللغة واللهجات ، وخاصة اللغة واللهجات غير المكتوبة (مثل لغة النوبيين ، ولغات الجماعات البدائية) والتى تقتضى من الباحث تدوين الكلمات عقب سماعها مباشرة ، وبالصورة التى تتفق مع الأصوات التي نطقت بها (١) - أو تسجيلها عند سماعها ٠

وعليه فقد نمى الاهتمام بالدراسة الأنثروبولوجية للغة لما توفره من بيانات وصفية للغة ، وخاصة بالنسبة للغات غير المكتوبة التى عنى بها الأنثروبولوجيون لتحديد رموزها الصوتية ، ووحدات التعبير اللغوى الصوتية الأساسية Pheneme

---

(١) دكتور على عبدالواحد وافى ، علم اللغة ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ص ٤١ ٠

والتى عرفها جلاسون Gleason بفئة الأصوات التى :

أ - تتماثل صوتياً ·

ب - والتى تكشف عن أنماط خاصة معينة للتوزيع فى اللغة ، واللهجة محل الاهتمام والدراسة (١) ·

كما أن الدراسات الأنثروبولوجية قد أسهمت أيضاً من خلال « بواس » و «سابير» فى مجال التنظيم اللغوى والمورفولوجية اللغوية ، بالاضافة الى المعانى والدلالات المميزة للغة أو اللهجة ، ومفرداتها اللغوية (٢) · وبذلك تطورت التحليلات الوصفية للغة بصورة عامة منذ عام ١٩٣٣ · حيث صدر مؤلف «بلومفيلد» بعنوان « اللغة » ، عام ١٩٥٥م عن طريق جلاسون فى مؤلفه بعنوان «مقدمة للغويات الوصفية » حيث تم تطوير مفاهيم عديدة فى نطاق التحليلات الصوتية ، والتى امتدت الى مجالات بحثية أوسع ، وبوجه خاص فى مجال الأنثروبولوجيا (٣) ، والتى تطورت كاجراء منهجى بشكل ملموس فى أمريكا يستخدم فى وصف اللغات غير المكتوبة ·

(٢) المدخل التاريخى والدراسات اللغوية :

عندما تعقد المقارنة الوصفية للانساق الثقافية والاجتماعية عبر الفترات الزمنية المتتابعة نكون بصدد (نوع من المقارنة يسمح لنا باكتشاف حالات تغير النسق اللغوى، وهى التى تعرف بالمقارنة التاريخية (التتابع الزمنى) diachronic ، والتى

---

(١) Gleason, H.A., An Introduction to Descriptive Linguistics, Rev. ed., Holt, Rinehart and Winston, 1961. p. 261 .

(٢) Bloomfield, Lonard, Language, Holt. Rinehart and Winston, 1933. p. 74.

(٣) Eastman, Carol M., Aspects of Language and Culture, San Francisco, Chandler & Sharp Publishers, Inc., 1975. p. 10.

تشكل محور علوم اللغة التاريخية (١) Historical Linguistics، وهى التى تستند الى المدخل التاريخى فى رصد تطور الانساق اللغوية عبر الزمن سواء من حيث البنية اللغوية ، أو التنظيم اللغوى ، أو الأسلوب اللغوى والمفردات اللغوية ، أو الأشكال الصوتية للغة ودلالاتها الرمزية • وعليه يحقق المدخل التاريخى لعلم الاجتماع اللغوى امكانية رصد تغير الانساق الاجتماعية والثقافية المساوقة للتغيرات اللغوية عبر الزمن •

ومن ثم يستخدم المدخل التاريخى كأساس منهجى لعلم اللغة التاريخى الذى يشار اليه باعتباره احدى علوم اللغة الفرعية التى تستعين بالمقارنة التاريخية لنفس اللغة فى فترات زمنية مختلفة • وقد أدرج فى المقررات الجامعية باسم تاريخ اللغة الانجليزية، أو تاريخ اللغة الألمانية ، أو تاريخ اللغة ••• الخ للاشارة الى الدراسات التى تتناول بالمقارنة اللغة الانجليزية أو الايطالية منذ الأيام الأولى من كتابتها حتى الوقت الراهن • ومثل تلك الدراسات تتناول بالمقارنة والتحليل البنية اللغوية والتنظيم اللغوى والمفردات اللغوية •• الخ للغة الانجليزية (مثل اللغة الانجليزية القديمة ، واللغة الانجليزية الوسيطة (فى العصور الوسطى) واللغة الانجليزية الحديثة) للوقوف على مظاهر التغيرات اللغوية فى تلك الفترات التاريخية المختلفة (٢) •

وقد كشفت الدراسات اللغوية المبكرة فى نطاق علم اللغة العام والأنثروبولوجيا عن الحاجة الماسة للدراسات التاريخية للغة • وذلك لمعرفة تاريخ لغات معينة من حيث النشأة والتطور وذلك بفحص النتائج الوصفية للغات المبكرة ، أو بتعقب الأشكال التاريخية الأولى لترابط اللغات من خلال المقارنات التى تعقد بين اللغات • وذلك مايعرف باعادة البناء التاريخى للغات ، والذى قدمه اللغويون باعتباره أحد

---

(١) Eastman, Carol M., op. cit. p . 55.

(٢) Eastman, C., Ibid. p. 56 .

موضوعات علوم اللغة التاريخية ، ومنها علم البنية التاريخي أو مايسمى بالمورفولوجيا التاريخي وهو أحد فروع علم المورفولوجيا الذى يهتم بعقد التحليلات التاريخية لقواعد لغة ما من اللغات ، وتحديد الصور والأشكال التى كانت عليها قواعد اللغة فى أى من مراحل التطور التاريخى للغة ، وذلك لرصد مظاهر تغيرها فى أى من مراحل تطورها التاريخى ، والتعرف على العوامل والقوى التى كانت وراء تلك التطورات ، وماترتب عليها من تعديل وتبديل للقواعد اللغوية فى كل مرحلة تاريخية مرت بها اللغة ٠

وبالنسبة للفرع الخاص بعلم التنظيم اللغوى التاريخى والذى يسمونه بعلم التنظيم التاريخى فيعنى بدراسة القواعد الأساسية للتنظيم اللغوى على أساس تحليل تاريخى يهدف كشف أقسام الكلمات للغة معينة ، فى فترات تاريخية مختلفة ، ومايرتبط بكل قسم من وظائف دلالية ٠ اضافة الى ترتيب أجزاء الجمل وعلاقتها بعضها ، وذلك للوقوف على التطورات التاريخية للغة من هذه الزاوية التنظيمية ٠

واذا كان فرع المورفولوجيا اللغوية وفرع التنظيم اللغوى يشكلان معاً مانسميه بعلم القواعد اللغوية ، فان دراسة المورفولوجية التاريخية ، والتنظيم التاريخى للغة يحققان معاً أبعاد الدراسة التاريخية للقواعد اللغوية للغة ما من اللغات ٠

ثم تشير المعالجة التاريخية للأسلوب اللغوى الى أبعاد التحليلات التاريخية لأساليب لغة ما من اللغات ، وامكانية تعقب تطور أساليبها فى مراحل تاريخية مختلفة٠ وذلك للوقوف على مظاهر تطور الأساليب اللغوية ورصد العوامل والقوى التى تحكمت فى تطور أساليب اللغة بالكيفية التى آلت اليه فى أى من مراحل التطور التاريخى للغة ٠

وبالنسبة لفرع (الايتيمولوجيا) والذى يطلق عليه علم أصول الكلمات فهو يستند فى اجراء دراسته على المدخل التاريخى بصورة أساسية ، وذلك لأنه يبحث عن الأصول التى انحدرت منها كلمات لغة ما من اللغات ٠ وتتسع التحليلات التاريخية

فى هذا الفرع لتشمل أصول الاعلام ، سواء كانوا أشخاصاً أو قبائل أو عشائر أو جبال أو أنهار أو أمصار (١) ٠٠٠ الخ ٠ وتندرج تلك التحليلات التاريخية فى نطاق مايطلق عليه (الاونوماستيك) والذى يتفرع عنه البحث التاريخى من الأصول التاريخية لأسماء الأمكنة المختلفة ، والذى يسميه اللغويون بفرع (التوبونوماستيك) ٠ وتفيد التحليلات التاريخية لأصول الكلمات هنا فى بحوث علم الصوتيات (الفونيتيك) ، وعلم الدلالة (السيمنتيك) ، حيث انه يحدد الأصول التاريخية لكل كلمة من كلمات لغات ما ٠

وبالتالى يمكن لعلم الصوتيات أن يعين المظاهر الصوتية المتغيرة لكلمة ما فى لغة ما عن مظاهرها الصوتية المرتبطة بأصولها التى انحدرت منها ٠ كما أن الدراسة التاريخية لأصول الكلمات تساعد عالم الدلالة فى تعين اختلاف الدلالة الرمزية للكلمة ، واختلاف معناها عن معانى الأصول التى انحدرت منها ٠ وبالتالى يستطيع عالم الصوتيات أن يحدد العوامل والقوى التى تحكمت فى اختلاف أصوات الكلمات عن أصولها الأولى فى لغة ما من اللغات ، ومدى اختلاف الصور الصوتية لأحرف الكلمة باختلاف الفترات التاريخية للمجتمعات الناطقة بها ، ومايترتب على هذه الاختلافات الصوتية من نتائج لغوية ٠

ويتعرف عالم الدلالة من خلال التحليلات التاريخية للغة على أصول الكلمات والتغيرات التاريخية للمظاهر الصوتية لحروفها على مدى تغير دلالات الكلمات ومعانيها المرتبطة بتلك التغيرات التاريخية للغة ٠ وما صاحب ذلك من اختفاء بعض معانى الكلمات ، وظهور بعض المعانى الأخرى من فترة تاريخية لفترة أخرى ٠ وبالتالى تحديد العوامل التى تُرد اليها تلك التغيرات التاريخية ، وماترتب عليها من نتائج لغوية للغة ما من اللغات ٠

---

(١) دكتور على عبدالواحد وافى ، علم اللغة ، المرجع السابق ، ص ١٢ ٠

واذا كان علم اللغة التاريخى والذى يتخذ من المدخل التاريخى أساسه المنهجى فى دراسة اللغات من تلك الجوانب المشار اليها سلفاً ، فانه بذلك يستهدف اكتشاف دلالة العلاقات المنتظمة بين الاختلافات اللغوية عبر الزمن • حيث يمكن بذلك تفسير المسائل اللغوية العشوائية ، والغير مفسرة • وتحديد العلاقات الملاحظة بين العناصر اللغوية للغة وداخلها • والتى يمكن تحديد انتظاماتها التاريخية وما اذا كانت التغيرات أو المماثلات تتطلب تطبيق الطريقة المقارنة فى تحليل البيانات ، وحدود هذا التطبيق •

واذا كان المصطلح الانجليزى Diachronic Linguistics من المصطلحات التى تثير قدراً من التناقض الداخلى بالنسبة لعلم اللغة التاريخى His-torical Linguistics فان المعنى الحرفى لمصطلح Diachronic المقارنة الزمنية Across Time وعليه فان مصطلح Diachronic Linguistic بمثابة دراسة البيانات اللغوية كما تحدث فى فترات زمنية • وهو بذلك يشير للدراسات التاريخية الديناميكية ومن ثم فهو يشير لاتجاه محدد للدراسة التاريخية ، حيث أن تاريخ اللغة يمكن دراسته بمقارنة سلسلة من الوصف اللغوى فى فترات مختلفة لتقديم اللغة فى فترات مختلفة من تطورها •وقد كشفت تحليلات عالم اللغة « دوسوسور » عن تمايز الدراسات التى تستند على المقارنة الأفقية المتزامنة Synchronic، والدراسة التى تستند على المقارنة التاريخية Diachronicعلى اعتبار أن الأخيرة تتضمن الأولى •

وقد قدم « فرد ايجان » Fred Eggan عام ١٩٥٤م تصوراً منهجياً متطوراً للمقارنة وحد فيه بين المدخلين (سنكرونك ، دياكرونك) فى دراسة الظاهرة الثقافية ، مشيراً الى أن فكرة منظور الزمن مطلب للاختلافات الأفقية لفهم الثقافات المقارنة وجميعهم فى ذلك متأثرون بمفهومى الدينامك والاستاتيك عند « اوجست كونت » حيث يشير مصطلح Cynchronic للدراسة الاستاتيكية للغة ، فى حين يشير مفهوم Diachronic للدراسة الديناميكية للغة • وما أضافوه هو محاولة الربط بين

المدخلين فى دراسة اللغة تأثراًباتجاه علماء الاجتماع فى تلك الحقبة لاقامة التأليف بين المدخل البنائى والمدخل الدينامى فى دراسة الظاهرة الاجتماعية ، وهو الاتجاه الذى أكد عليه علماء الاجتماع خلال المؤتمر الذى عقد عام ١٩٥٥م بالولايات المتحدة وحضره أقطاب علم الاجتماع أمثال « ميرتون وشلز وزينانيكى وغيرهم » ٠

ويمكن أن نتلمس مجال علم اللغة التاريخى بشكله الكامل فى دراسة «ستير تفانت» E.M. Sturtevant بعنوان « التغير اللغوى » عام ١٩١٧م (١) ٠

وقد كشفت الدراسات التاريخية للغة عن حدوث التغيرات اللغوية عبر الزمن بصورة منتظمة ، كما أنها كشفت عن ارتباط اللغات بالمراحل التى تمر بها ، وذلك ماتكشفت أبعاده بعد عام ١٩٧٠ م من واقع الدراسات اللغوية المقارنة ، والتى كان محورها المقارنة التاريخية ٠

(٣) المدخل المقارن والدراسات اللغوية :

ساهم تطور الدراسات الوصفية للغة ، وماتضمنته من تحليلات بنائية ، فى كشف النقاب عن بعض صور العلاقات القائمة بين اللغات والانساق الثقافية فى فترة زمنية معينة ٠ كما أنها وفرت قدراً من المعلومات حول بنية اللغة ، ومفرداتها ، وأساليب تعبيرها ، وتنظيم عباراتها ، ومخارج المفردات ودلالاتها الرمزية ، بالاضافة الى كشف النقاب عن الأساليب اللغوية ودلالاتها الصوتية المرتبطة بثقافة معينة ٠ ورغم ذلك فان تلك الدراسات وماتضمنته من تحليلات وصفية للغة لم توفر لنا معرفة حول تاريخ اللغة ،أو التغيرات التى طرأت عليها من حيث مفرداتها وأساليبها وبنيتها وتركيب مفرداتها ، ومايرتبط بها من تغيرات فى المعنى والدلالة ٠ كما أنها أى التحليلات الوصفية لاتقدم لنا من المعلومات مايساعد على كشف صور ، التماثل والاختلاف بين اللغات أو تحديد مابين اللغات من علاقات ٠

---

(١) Sturtevant, E.H., Linguistic Change, University of Chicago Press, 1917.

ومن ثم انحصرت التعميمات اللغوية للتحليلات البنائية للغة فى مجرد التعميمات الداخلية ، التى تدور حول النسق اللغوى فى محيط ثقافة معينة ٠ وبالتالى لم تتوفر التعميمات الكافية حول تغير الانساق اللغوية ، والعلاقات التى تربط تلك الانساق اللغوية ببعضها ٠ وذلك لأن تلك التحليلات البنائية الوصفية للغة فى محيط ثقافة معينة انحصرت فى نطاق فترة زمنية بعينها ، دون أن تقدم لنا شيئاً يتعلق بتاريخ اللغة وتغيرها وما بينها وبين اللغات الأخرى من علاقات سواء فى صورة مماثلات أو اختلافات ٠

وبتوفر الوصف اللغوى لبعض اللغات ، وتأثر بعض علماء اللغة أمثال « فردناند دوسوسور » باتجاهات علماء الاجتماع فى تحليل الظاهرة اللغوية ، وظهور بعض التحليلات اللغوية المقارنة من قبل بعض علماء الانثروبولوجيا أمثال « فرانز بواس ، وسابير » ، اللذان عنيا بمقارنة اللغات الهندية الأمريكية فى شمال غرب أمريكا ، بتوفر هذا المناخ ، وتلك الدراسات ، بدأت اتجاهات علماء اللغة تركز على تحليل المماثلات فى الأصوات والمعنى ، وغيرها من الجوانب اللغوية لبعض اللغات ٠ الأمر الذى أرسى دعائم علم اللغة المقارن ، الذى استهدف ايضاح العلاقات القائمة بين تلك اللغات ، وساعد على تقديم التصنيفات اللغوية ، أى تصنيف اللغات الى فصائل وشعب ٠ وبنمو الدراسات الانثروبولوجية بعد تكشف أوجه قصور المقارنة الموجه بنظرية التطور (١) ، بدأت الدراسات المقارنة تأخذ اتجاهين أساسين تمثل أولهما فى: الدراسات الثقافية المقارنة التى ساعدت على تصنيف الثقافات والانساق اللغوية المرتبطة بكل منها ، وتمثل ثانيهما فى : المقارنات التاريخية للغة ، حيث تبلور علم اللغة التاريخى الذى يُعنى بدراسة تغير اللغة ٠

وعليه بدأت معالم الطريقة المقارنة تتكشف وتتحدد بسعيها لعقد التعميمات

(١) Eastman, Carol M., op. cit. p. 56 .

حول الانساق الثقافية الاجتماعية ، وذلك باجراء التحليلات الوصفية للبيانات اللغوية المتحصلة من دراسة اللغة فى ثقافات مختلفة ، بهدف تحديد ماهو عام بالنسبة للغة والثقافة ، وتكشف الأبعاد اللغوية والثقافية العامة • وعليه فان المقارنات التى استهدفت مقارنة لغة بلغة ، وثقافة بثقافة تسمى بالمقارنة المتزامنة Synchronic Comparison أو المقارنة الاستاتيكية ، والتى قد تساعد عالم اللغة على تكشف المماثلات والاختلافات بين لغتين فى علاقتيهما بثقافتين من الثقافات ، بالاضافة الى اكتشاف بعض الأمثلة للتغير فى النسق اللغوى • أما بالنسبة للمقارنة اللغوية التى ينحصر غرضها فى تحليل التغير اللغوى فانها تعرف بالمقارنة التاريخية Diachronic Comparison وعليه فان المقارنة المتزامنة أو ماتسمى بالمقارنة الاستاتيكية تعرف فى نطاق علم اللغة بعلم اللغة المقارن بينما تشير المقارنة التاريخية الى علم اللغة التاريخى •

وقد ساعدت جهود علماء الأنثروبولوجيا وعلماء اللغة فى القرن التاسع عشر على تطور الطريقة المقارنة ونموها فى نطاق الدراسات اللغوية ، وخاصة من خلال علم اللغة المقارن وعلم اللغة التاريخى (١) • فعندما تكون المقارنة بين لغات مختلفة لتحديد مابينها من مماثلات منتظمة من حيث الأصوات والمعنى يعرف هذا الاجراء على أنه علم اللغة المقارن • أما فى حالة استخدام المقارنة للنظر للمجالات الزمنية المختلفة لنفس اللغة نكون بصدد علم اللغة التاريخى • وحالة دراسة البيانات اللغوية كما تحدث على مر الزمن تعنى أننا بصدد مقارنة لغوية زمنية Dichronic Linguisstics تؤكد على بعد المقارنة الزمنية Across Time • وفى حالة الدراسة التاريخية للغة يمكن اجراء الدراسة بمقارنة سلسة من الوصف المقارن للغات معينة فى فترات زمنية مختلفة • ومن ثم توفر الدراسة المقارنة هنا البيانات التى تساعد على

---

(١) Eastman, Carol M., op. cit. p. 56 .

كشف العلاقة القائمة بين لغة ولغة أخرى فى فترة زمنية معينة من حيث الدلالة والأصوات ، والتنظيم والبينة ، اضافة الى كشف معالم نمو اللغة فى فترات زمنية مختلفة ٠

وان كان عالم اللغة « دوسوسور » قد ميّز بين المقارنة اللغوية المتزامنة (أى دراسة المماثلات اللغوية بين لغتين أو أكثر) أى فى فترة زمنية معينة ، والمقارنة اللغوية عبر الزمن أى دراسة تغير اللغة فى فترات زمنية مختلفة ، الا أنه أكد أن المقارنة اللغوية عبر الزمن تقتضى تحليل متزامن للغة فى الفترات الزمنية المختلفة أيضاً ٠ وعليه نجد أن « فرديناند دوسوسور » قد ميّز بين مفهومى المقارنة المتزامنة Syn-chronic للغة فى فترة تاريخية بعينها ، والمقارنة الزمنية Diachronic للغة فى فترات تاريخية مختلفة ، على أساس أن الدراسة الوصفية للغة عبر فترات تاريخية مختلفة تتطلب تحليلاً متزامناً (مقارنة اللغة بلغات أخرى فى فترة تاريخية معينة) وذلك بالنسبة لكل من الفترات أو الحالات المختلفة التى مرت بها اللغة فى تاريخ نموها وتطورها (١) ٠

الواقع أن « دوسوسور » فى ذلك قد تأثر الى حد كبير بصور المقارنة التى حددها «اميل دوركايم» عند استخدام الطريقة المقارنة فى دراسة الظواهر الاجتماعية ومنها الظاهرة اللغوية ، وهى الطرق التى حصرها فى :

أ - مقارنة الظواهر اللغوية فى مجتمع واحد ٠

ب - مقارنة النظم اللغوية السائدة فى مجموعة من المجتمعات المتجانسة من حيث الدرجة والنوع ٠

ج - مقارنة النظم اللغوية فى نماذج اجتماعية متمايزة وغير متشابهة ٠

---

(١) Lyons, John, Introduction to Theoretical Linguistics, Cambridge, Jniversity Press, 1969.p. 49.

حيث تخدم المقارنة من النوع الأول فى تحديد خصائص وسمات اللغة من حيث الصوت والمعنى والبنية اللغوية ، والتنظيم اللغوى ، والأسلوب اللغوى ومايرتبط به من معنى ودلالة صوتية • والى هذه الفئة تنتمى الدراسات اللغوية التى قام بها « فرانز بواس » فى شمال أمريكا حيث اهتم بتصنيف اللغة • ومن ثم طور طريقته المنهجية في جمع البيانات اللغوية حول اللغة الهندية الأمريكية بهدف تصنيف لغات العالم الجديد بمقارنة كل منها بالأخرى (١) •

فى حين أن المقارنة من النوع الثانى توصلنا الى تحديد المماثلات والاختلافات اللغوية بين لغتين أو أكثر فى فترة زمنية معينة وذلك بالنسبة لأصوات النطق ومعانى المفردات أو بالنسبة للتنظيم اللغوى والبنية اللغوية ومايرتبط بها من أساليب لغوية وقواعد للاشتقاق والصرف اللغوى • وبذلك تتطابق المقارنة من النوع الأول والثانى مع مفهوم الدراسة المتزامنة Synchronic للغة عند « دوسوسور » من حيث الأبعاد ، والأساس المنهجى ، والغرض منها ، حيث أنها مطلب أساسى للمقارنة التاريخية عبر الزمن Diachronic عند « دوسوسور » وهى المقارنة التى تتطابق فى أساسها المنهجى مع المقارنة من النوع الثالث عند « دوركايم» والتى تتناول المداخل التطورية أو انتظامات التغير اللغوى للغة ما فى مراحل تطورها • وهى تعتمد بدورها على العديد من الدراسات اللغوية من النوع الأول والثانى عند « دوركايم » بالاضافة للدراسات الاثنوجرافية للغة •

ومن ثم لم يقتصر تأثير التحليل المقارن للظواهر اللغوية كظواهر اجتماعية عند « اميل دوركايم » على التحليلات المقارنة عند « دوسوسور » بل شملت أيضاً غيره من علماء الأنثروبولوجيا ، ومنهم « فرد اجان » الذى سعى لتأكيد طريقة المقارنة المضبوطة Method of Controlled Comparison والتى ربط فيها بين

(١) Boas, Franz: Handbook of Ameican Indian Languages, op.cit & Classification of Ameican Indian Languages, Language,1929,5,pp.1-7.

الدراسات اللغوية على المستوى الأفقى المتزامن ، والذى يشير لدراسة الاختلافات والمماثلات بين لغتين فى فترة تاريخية معينة وبين دراسة اللغة عبر فترات تاريخية مختلفة ، والتى مرت بها لغة ما من اللغات فى مراحل تطورها ، بمعنى أنه يؤكد بهذه الطريقة على أن منظور الزمن يحتاج لدراسات مختلفة للثقافات المقارنة (١) .

وبذلك نجد أن المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع قد طبعت تأثيرات واضحة على اتجاهات التحليل المقارن للغة ، سواء من خلال دراسات علماء اللغة ، أو علماء الأنثروبولوجيا الذين سلكوا نفس مسلك « اميل دوركايم » فى تحليلاتهم المقارنة للظواهر الاجتماعية بما فيها الظواهر اللغوية .

(٤) المدخل التجريبى والدراسات اللغوية :

يشير التجريب لامكانية توفير الظروف ، والأحوال الملائمة لحدوث ظاهرة لغوية ، فى النطاق الذى يحدده الباحث بنفسه . وذلك بهدف الاجابة عن التساؤلات التى تدور حول لماذا حدثت الظاهرة اللغوية بهذه الكيفية ؟ ، أى تعين العوامل التى تتحكم فى نشأة اللغة ، وتطورها ، والنمو اللغوى ، وهجرة اللغات ، وثنائية اللغة ، وتعددها فى مجتمع ما من المجتمعات ، وما يرتبط بها من تداخل لغوى ، وتحول موقفى وتبادل الاستخدام اللغوى فى موقف ما من المواقف الاجتماعية .

اضافة الى دور التجريب الاجتماعى فى تعين العوامل التى تتحكم فى الأصوات اللغوية ، سواء من حيث اللفظ أو السمع ، واختلافات النطق بالحروف باختلاف المجتمعات والفئات الاجتماعية أو البيئات الجغرافية .

والواقع أن الاجابة عن تلك التساؤلات وتفسير الظواهر اللغوية يمكن أن يتحقق لعالم الاجتماع اللغوى من خلال التجارب الطبيعية تارة ، والتجارب الصناعية تارة أخرى .

---

(١) Eggan, Fred, Social Anthropology and The Method of Controlled Comparison, American Anthropologist, 1954, 56,pp. 743-763.

أما بالنسبة للتجارب الطبيعية فهى التى تشير الى كون التاريخ والأحداث المتعلقة بهجرة اللغات ، وتشعبها الى فصائل ولهجات لغوية معينة ، ومايرتبط بها من حالات تداخل لغوى ، وصراع لغوى بين اللغات الرسمية واللغات العامية • ومايصاحب ذلك من حالات تحول وتداخل لغوى فى نطاق المجتمع ثنائى اللغة والمجتمع متعدد اللغات ، بمثابة حقل لتلك التجارب الطبيعية ، ورغم أن تلك التجارب الطبيعية تمكن الباحث من تحديد العوامل والقوى التى تحكمت فى حدوث تلك الظواهر اللغوية بالكيفية التى آلت اليها • الا أن تلك التجارب الطبيعية لاتمكن الباحث من اعادة التجربة للتحقق من فاعلية العوامل المستخلصة من التحليل التفسيرى لتلك الظواهر اللغوية ، كما أنها لاتساعد الباحث على غربلة هذه العوامل وتفريدها بما يسمح له بتحديد مستويات ارتباطها بالظاهرة من ناحية ، ومستويات ارتباطها ببعضها من حيث التأثير فى تلك الظواهر اللغوية من ناحية أخرى • اضافة لذلك فان التجارب الطبيعية لاتمكن الباحث من تكميم الظواهر اللغوية وعواملها بالقدر الذى يمكنه من توفير دقة الأحكام العلمية التى يصل اليها من التحليل التفسيرى لتلك الظواهر •

ومع ذلك فان للتجارب الطبيعية معطياتها العلمية التى تساعد على تفسير الظواهر اللغوية ، والوصول الى بعض التعميمات العلمية حولها من حيث العوامل المتحكم فى حدوثها ، والكيفية التى حدثت بها فى المحيط الاجتماعى والثقافى •

ومن ثم تبرز أهمية التجربة الصناعية التى ترتبط بقدرة الباحث على توفير العوامل والظروف المناسبة لحدوث أى من تلك الظواهر اللغوية ، لتحديد العوامل الفعلية التى تتحكم فى حدوث تلك الظواهر ، وتحدد الكيفية التى يتم بها هذا الحدوث • بحيث يتوفر للباحث امكانية اعادة التجربة على نفس الظواهر للتحقق من صحة النتائج التى توصلت اليها التجربة الأولى • وبحيث يتمكن من تفريد العوامل وتحديد درجات انتمائها لبعضها من خلال تأثيراتها على حدوث الظواهر اللغوية •

وبالتالى يتمكن الباحث من تكميم الظواهر اللغوية الكيفية وتحديد درجات ارتباط العوامل ببعضها ، وبالظاهرة اللغوية عن طريق القيم الرياضية والاحصائية للمعادلات والأساليب الرياضية ، والتى توفر للباحث درجة عالية من دقة الحكم المتعلق بتلك الظواهر اللغوية ، واقامة البرهان العلمى على صحة هذا الحكم .

وبذلك يكون البرهان التفسيرى محوراً للمدخل التجريبى لمعالجة الظواهر اللغوية ذلك البرهان الذى حدد «جون استيوارث» ملء نماذجه الاستنباطية (١) ، التى ماتزال أساساً للاجراء التجريبى على النحو التالى :

- طريقة الاتفاق (التلازم فى الحضور) Method of Agreement

وهى تشير الى أن اتفاق حالتين أو أكثر للظاهرة المعطاه فى ظرف واحد فقط يعنى أن هذا الظرف هو السبب المؤثر على الظاهرة . بمعنى أننا اذا لاحظنا وجود علاقة بين أ ، ب فى جميع الحالات التى يتلازم فيها حضور (أ) مع حضور (ب) تكون (ب) سبباً للظاهرة (أ) .

فلو كانت ظاهرة التداخل اللغوى (أ) هى موضوع الدراسة ، وتناولناها من حيث علاقتها بمجموعة العوامل الثلاثة التالية :

المجموعة الأولى	ب ، س ، ص
المجموعة الثانية	ل ، ب ، م
المجموعة الثالثة	ب ، ع ، و

ووجدنا أن حالة التداخل اللغوى ذات حضور فى حالات مجموعات العوامل الثلاث . وطالما أن الظرف الوحيد المشترك فى مجموعات العوامل الثلاثة هو (ب) فانه يكون سبباً لظاهرة التداخل اللغوى (أ) .

---

(١) Mill, John Stuart, A system of Logic. N.Y. & London, Harper, & Bros., 1891, New York, Longmans, 8 th. ed., 1930.

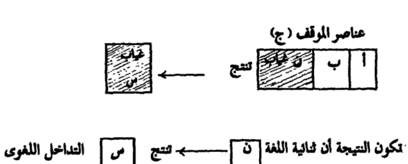
- طريقة الاختلاف (التلازم فى التخلف) Method of Difference

وهى تشير الى أن ظاهرة التداخل اللغوى (س) لاتوجد فى حالة غياب العامل (ن) من مجموعة العوامل فى حين أنها توجد فى حالة وجود (ن) معها ٠ لذا نستنتج هنا أن (ن) سبباً للظاهرة (س) وهى بذلك عكس الطريقة الأولى ٠

والشكل التالى يوضح ذلك (١)

عناصر الموقف (ص) حيث (أ)صراع اللغة مع اللهجات ، (ب) تعدد اللغات ، (ن) ثنائية اللغة

أ	ب	ن	تنتج ←	س	التداخل اللغوى



- طريقة البواقى Method of Residues

تشير طريقة البواقى تلك الى أنه فى حالة وجود ظاهرة لغوية تحتوى على عناصر متعددة ، وتم التعرف بالطرق السابقة على العلاقة السببية بين بعض عناصرها فان العلاقة بين العناصر الباقية هى علاقة علة بمعلول أى سبب بسبب مثال ذلك :

اذا افترضنا أن الظواهر (أ ، ب ، جـ)

أ - تعدد اللغات واللهجات فى المجتمع ٠

---

(١) Good, W.J. & Hatt, P.K., Methods in Social Research, London, McGraw-Hill Kongakusha Ltd., 1952. p. 77.

ب - ثنائية اللغة (لغة رسمية ولغة محلية)

ج - ثنائية اللغة (وجود لغتان مسيطرتان)

علة للظواهر اللغوية التالية (د ، هـ ، و)

د - تحول لغوى

هـ - تداخل الاستخدام اللغوى

و - الاختلاف فى استخدام نفس اللغة فى نفس الموقف ·

ثم أمكن اثبات أن أ علة ←———— د

وأن ب علة ←———— و

نستطيع هنا أن نستنتج أن ج علة هـ ·

وبمعنى آخرأنه اذا حضرت الظاهرة (ع) فى حالة تعرضها للظواهر ل م ن · ثم غابت فى حالةتعرضها للظواهر ل م نستنتج هنا أن الظاهرة المتبقية (ن) هى علة الظاهرة (ع) · وقد وافق « اميل دوركايم » على ماذهب اليه « جون استيوارت » بالنسبة للطرق الثلاثة الأولى بما فيها طريقة البواقى وعدم صلاحيتها للاستخدام فى دراسة الظواهر الاجتماعية ، الا أنه لم يوافق بصورة مطلقة على تأكيده بعدم امكانية تطبيق طرق البرهان كلية فى مجال علم الاجتماع · وذلك لأن « دوركايم » يذهب الى أن هناك قابلية لتطبيق طرق البرهان فى مجال علم الاجتماع ولكن هذه القابلية لاتتساوى من حيث صدقها وصلاحيتها بين الطرق المختلفة لاقامة البرهان العلمى · وأن طريقة البواقى تلك هى أقل الطرق فائدة وقابلية للتطبيق فى دراسة الظواهر الاجتماعية (١) ·

---

(١) Durkheim, Emile, The Rules of Sociological Method, N.Y. & London, (1938 by George E.G. Cathin) , The Free Press & Collier - Macmillan Limited, 1966,p. 129.

- طريقة التلازم فى التغير (التغير النسبى) Method of Concomitant Variation

وهى تشير الى أن تطور ظاهرتان لغويتان على نمط واحد يشير لوجود علاقة فيما بينها ، وأنه بمجرد ملاحظة وجود تغيرات مطردة بين ظاهرتى التداخل اللغوى فى المجتمع ، وتبادل الاستخدام اللغوى فى نفس الموقف يمكن القول بوجود علاقة بين الظاهرتين ، بمعنى أنه اذا حدث تغير فى أحد الظاهرتين صَحبه تغير مماثل فى الظاهرة الأخرى بنفس الدرجة والنسبة (١) .

وتشير طريقة التلازم فى التغير (التغير النسبى) هنا الى امكانية اقامة البرهان العلمى على علاقة ظاهرتين (متغيرين) بمستويين تفسيريين ، يتمثل أولهما فى التفسير السببى ، الذى يشير الى أن التغير فى ظاهرة التداخل اللغوى (أ) يصحبها تغير مماثل وبنفس الدرجة والنسبة فى ظاهرة تبادل الاستخدام للغتين فى نفس الموقف (ب) . بمعنى أن التغيرات التى تجد على المتغير (أ) علة أو سبب التغيرات التى تجد على المتغير (ب) . والواقع أن هذه الطريقة تستخدم فى العديد من البحوث باخضاع تحليل العلاقات بين المتغيرات لقيم معامل الارتباط Correlation والذى يوظف لقياس علاقة المتغيرات ببعضها ، تلك العلاقة التى تتراوح بين + ١ كعلاقة موجبة و - ١ كعلاقة سلبية . حيث تكون تغيرات (ب) فى نفس اتجاه التغيرات التى تطرأ على (أ) . فى حين أن العلاقة السلبية تشير الى التغيرات التى تطرأ على (ب) فى اتجاه عكسى للتغيرات التى تطرأ على المتغير (أ) (٢) .

وبذلك تكون طريقة التغير النسبى عند هذا المستوى محققة للبرهان العلمى بصورة تشمل طريقة الاتفاق ، وطريقة الاختلاف معاً فى نمط العلاقة الموجبة ،

---

(١) اميل دوركايم ، قواعد المنهج فى علم الاجتماع ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ ، ص ٢٠٦ .

(٢) Goode & Hatt, op. cit. pp. 86-87.

بالاضافة لشمولها لنمط العلاقة السلبية ٠ وقد شاع استخدام هذه الطريقة فى البحوث اللغوية ، خاصة عندما يستخدمون معامل الارتباط فى تحليل العلاقة بين الظواهر اللغوية ٠

أما بالنسبة للمستوى الثانى للبرهان التفسيرى الذى تحققه طريقة التغير النسب فيتمثل فى امكانية استخدامها فى تحليل العلاقة الوظيفية بين ظاهرتين لغويتين ، والتى تشير الى وجود تساند وظيفى متبادل (١) ٠ بين مثلاً المخالطة والاحتكاك اللغوى (س) وتبادل استخدام لغتين من قبل الشخص فى نفس الموقف (ص) وهو الاتجاه المعاصر لفهم العلاقات القائمة بين الظواهر من منظور وظيفى ، أو الذى يتمثل فى الميل لاستخدام معامل كا ٢ ($2 \times$) فى تحديد درجة التساند الوظيفى بين المتغيرات ، وتحديد مستويات هذا التساند والتبادل فى التأثير بين (س) ، (ص) (٢) على النحو التالى:

- تساند وظيفى قوى جداً قيمة كا ٢ دالة عند مستوى ٠٠١ر٠
- تساند وظيفى قوى قيمة كا ٢ دالة عند مستوى ٠١ر٠
- تساند وظيفى متوسط قيمة كا ٢ دالة عند مستوى ٠٢ر٠
- تساند وظيفى بسيط قيمة كا ٢ دالة عند مستوى ٠٥ر٠
- غياب التساند الوظيفى قيمة كا ٢ ليس لها دلالة احصائية ٠

وذلك مايمكن تحقيقه عندما نسعى لاقامة البرهان العلمى على العلاقة الوظيفية بين المخالطة والاحتكاك اللغوى (أ) ، وتبادل استخدام لغتين أو أكثر من قبل الشخص

---

(١) دكتور عبدالباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعى ، القاهرة ، مكتبة وهبه ١٩٧٧ ، ص ٢٨٩ ٠

(٢) دكتور السيد على شتا ، التنظيم الاجتماعى وظاهرة الاغتراب ، الدمام ، دار الاصلاح للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ ، ص ٣٠٤ ٠

فى نفس الموقف · بحيث يكون التغير فى أى من المتغيرين أ ، ب ، مصحوب بتغير مماثل من حيث الدرجة ومستوى الدلالة فى المتغير الآخر · وبذلك لاتفهم العلاقة هنا على أنها علاقة سببية (عليه) يكون فيها متغير مسبب وآخر نتيجة وانما تفهم تلك العلاقة على أساس أن كل من المتغيرين سبب ونتيجة للآخر فى نفس الوقت ·

وان كان « جون ستيوارث مل » قد أعلن أن استخدام التجربة حتى ولو كانت غير مباشرة ، غير ممكن فى نطاق علم الاجتماع عند دراسة الظواهر الاجتماعية ، فذلك لأن استخدامها قاصر فى نظره على بعض العلوم الأخرى التى لاتتسم ظواهرها بالتعقيد كما هو الحال فى علم الاجتماع · الا أن « اميل دوركايم » ينتقد هذا الاتجاه بالأدلة القاطعة مشيراً الى أن الظواهر الاجتماعية لاتختلف عن الظواهر البيولوجية والظواهر الكيميائية المعقدة (وهى علوم تجريبية) الا من حيث أنها (أى الظواهر الاجتماعية) أشد تركيباً منها · اضافة الى انطوائها على عنصر عقلى· وهو العنصر الذى يتفق العلماء على وجوده فى العلاقة السببية بالنسبة لمختلف العلوم التى تعطى للقياس دوراً هاماً فى التفكير التجريبى · وعليه يقرر « دوركايم » امكانية استخدام علم الاجتماع لطرق اقامة البرهان التجريبية فى مجال علم الاجتماع الا أنه لايساوى بين هذه الطرق من حيث أهميتها فى مجال دراسة الظواهر الاجتماعية · حيث نجده يخلع على طريقة التغير النسبى أهمية كبيرة دون غيرها من طرق البرهان الأخرى فى دراسة تلك الظواهر · وذلك لأن هذه الطريقة لاتوقفنا على العلاقة السببية من الخارج كما هو الحال بالنسبة لطرق البرهان الأخرى ، وانما تتجاوز ذلك بكشفها لهذه العلاقة من الداخل ، بمعنى أنها لاتوضح لنا فقط أن الظاهرتين توجدان معاً أو تختفى أحداهما عند وجود أخرى بحسب الظاهر ، ولكنها ترينا أن كلا من هاتين الظاهرتين تتأثر دائماً بالظاهرة الأخرى ، وبذلك فهى تتناول العلاقات الداخلية ولو من حيث الكم بأقل تقدير · ومن ثم خلع « دور كايم » على هذه الطريقة (طريقة التغير النسبى) أهمية كبيرة من حيث تطبيقها فى دراسة الظواهر الاجتماعية ، واقامة

البرهان التجريبى بالنسبة للعلاقات القائمة بينها وبين الظواهر الاجتماعية الأخرى والتى أسماها أيضاً بطريقة الارتباط Correlation (١) ، وهى التى شاع استخدامها فى الوقت الراهن من قبل المتخصصين فى علم الاجتماع اللغوى فى دراستهم للظاهرة اللغوية كظاهرة اجتماعية • وخاصة عند محاولة فهم التساند الوظيفى بين الظواهر اللغوية المختلفة • وبهذا يكون « دوركايم » قد أرسى دعائم التحليل الوظيفى للظواهر الاجتماعية بما فيها الظاهرة اللغوية •

* * *

(١) Durkheim, E., op. cit. pp. 130 .

الفصل الرابع
المنظـورات النظـرية للغـة

* المسار التاريخى للتفكير النظرى حول البناء اللغوى ٠
* تطور الحوار النظرى حول لغة الكلام ٠
* النظريات المفسرة لتطور لغة الانســـان ٠
* المنظورات النظرية للدلالة اللغويـــــة ٠

الفصل الرابع
المنظورات النظرية للغة

تمهيد :

شهد القرن التاسع عشر مولد الدراسة العلمية للغة فى العالم الغربى ، وذلك لأن بداية الاهتمام بالوقائع اللغوية ومعالجتها بصورة موضوعية ، وتفسيرها فى سياق المعطيات الاستقرائية ، قد ارتبطت بهذا القرن الذى خلع على مصطلح « علمى » Scientific معناه المعاصر • ذلك المعنى العلمى الذى توفرت له الاطر الفكرية الملائمة بعد أن خفت تأثيرات الاتجاه التطورى ، وتزايد النزوع للمعالجات الامبيريقية للغة والظواهر المرتبطة بها ، شأنها فى ذلك شأن مختلف النظم الاجتماعية التى سعى العلماء والباحثون لتجاوز تفسيرها فى ضوء المبادىء المجردة ، والاهتمام باخضاعها للملاحظة •

وقد عزز هذا الميل ، تلك التحديات المتزايدة للنظريات التقليدية التى تعالج تطور اللغة ، وظهور النظريات العلمية ، التى حلت محلها فى تفسير الظواهر اللغوية• واذا كان لابد من تعيين منطلقات التحول المعاصر فى التفكير النظرى حول اللغة ، فان اسهامات عالم اللغة النمساوى « فردناند دوسوسور » تشكل محور هذا التحول الذى تضمنته محاضراته التى ألقاها على طلابه والتى جمعت بعد وفاته فى مؤلف له بعنوان « دروس فى علم اللغة » أعد للنشر عام ١٩١٥م ، ونشر عام ١٩١٦م (١) •

ورغم وجود العديد من المدارس اللغوية المتميزة فى منظوراتها النظرية فى الوقت الراهن ، الا أنها تأثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، وبدرجات مختلفة

---

(١) De Saussure, Ferdinand, Course des Linguistique Ginirale, 5 Th edition Paris, Payot, 1955. (First edition 1916) . english Translation, By wade Boskin, Course in General Lingitics, N.X, Philosphieal Library, 1959.

بمؤلف « دوسوسور » وماتضمنه من منظورات نظرية للغة ٠

ولما كان « دوسوسور» قد تأثر بالمنظور النظرى لعالم الاجتماع الفرنسى « اميل دوركايم » ومدرسته فى فهم اللغة وتفسيرها كظاهرة اجتماعية فان ذلك يعكس الحاجة للكشف عن الملامح الفكرية للمنظورات النظرية التقليدية للغة ، والتى مهدت لاسهامات « دوسوسور » النظرية ، والحاجة للتعرف على ملامح المنظورات النظرية المعاصرة والتى تأثرت بتنظير « دوسوسور » حول اللغة ٠

فقد كان لفهم « دوسوسور » للغة كظاهرة انسانية ، وتقسيمها الى ظاهرتين فى الواقع المعاشى هما :

- ظاهرة اللغة Langue
- ظاهرة الكلام (التحدث) Parole

كان لهذا الفهم والتقسيم للغة أثره على معظم من جاءوا من بعده واتخذوا فى تحليلهم للغة هذه الثنائية حتى لو كانت بمصطلحات أخرى ولكن لها نفس الدلالة التى تضمنها تقسيم الظاهرة عند « دوسوسور » ٠

ومن هذه التقسيمات للغة تقسيم « ع ٠ غيلام » Gustave Guillaume للغة الى :اللغة Langue–والخطاب Discours ٠وتقسيم « لويس هيجلمسف » Laus Hjelmslev للغة الى النظام ،Syseme – والنص 'Texte ٠ وتقسيم « نوم شومسكى »| Noam Chomsky للغة الى المقدرة Campetence – والأداء Peformance وتقسيم « جاكبون » للغة الى : النمط Code – والرسالة Mes-sage (١) ٠

وعليه نعالج ملامح التفكير النظرى حول اللغة ومدى علاقته بالمنظورات السسيولوجية المعاصرة فى علم الاجتماع اللغوى من خلال الموضوعات التالية :

---

(١) دكتور عبدالسلام المسدى ، الأسلوبية والأسلوب ، تونس ، الدار العربية للنشر ، ١٩٨٢، ص ٣٨-٣٩ ٠

- المسار التاريخى للتفكير النظرى حول البناء اللغوى ٠
- تطور الحوار النظرى حول لغة الكلام ٠
- النظريات المفسرة لتطور لغة الانسان ٠
- المنظورات النظرية للدلالة اللغوية ٠

أولاً : المسار التاريخى للتفكير النظرى حول البناء اللغوى :

كان الاهتمام النظرى المبكر للمدارس الكلاسيكية للغة فى فترة القرن الثالث قبل الميلاد موجهاً بالرغبة فى الحفاظ على اللغة ووقايتها من الفساد نتيجة للجهل وعدم كتابتها ٠ ومن ثم كان للمدارس اللغوية آن ذاك فرضان أساسيان بالنسبة لتأسيس اللغة وتقديم الشروح لها ٠ وتمثل أولهما فى الاهتما بالعلاقة بين لغة الكلام ولغة الكتابة ٠ وتمثل ثانيهما فى تحديد الطريقة التى تطورت بها اللغات ومن ثم كانت الدراسات النحوية للغة فى هذه الفترة معنية باللغة المكتوبة التى استخدم الاغريق فى دراستها مصطلح النحو (القواعد) المشتق من لغة الكتابة ٠ وبذلك كان الاهتمام بدراسة الاختلاف بين لغة الكلام ولغة الكتابة متسماً بالميل الدائم لاعتبار لغة الكلام معتمدة على لغة الكتابة « ومتولدة عنها » ٠

وقد تولد هذا الاهتمام بتحليل لغة الكلام ولغة الكتابة وتحديد العلاقة القائمة فيما بينهما أو تحديد الطريقة التى تطورت بها اللغات من خلال جهود أفلاطون (٤٢٩ - ٣٤٧ ق٠م) الرامية لتحليل فئات اللغة وتصنيفها الى الأسماء Nams والأفعال Verbs حيث تعرف الأسماء بتلك المصطلحات التى يمكن توظيفها فى العبارات والجمل كأفعال مسندة فى حين تعرف الأفعال بأنها المصطلحات التى يمكن أن تعبر عن الفعل أو كيفية الاسناد الذى اعتبره جزءاً من العبارة أو الجملة ٠ وبذلك يمكن ملاحظة أمرين أساسيين من تحليل أفلاطون يتمثل أولهما فى أن تعريفه للفئات النحوية الأساسية : الأسماء والأفعال قد تم على أسس منطقية ٠ ويتمثل ثانيهما فى أن الأفعال والصفات قد وضعت معاً فى فئة واحدة وبذلك يتضمن النسق اللغوى عند

أفلاطون عناصر ثلاثة أساسية تتمثل فى الأسماء والأفعال والصفات • ثم جاءت اسهامات أرسطو اللغوية فى هذا الصدد لتؤكد على تمييز أفلاطون بين الفئات اللغوية المتمثلة فى الأسماء والأفعال ، مع اضافة فئة أدوات العطف Conjunctions وهو المصطلح الذى عنى به ارسطو جميع الكلمات التى لاتكون من بين وحدات فئتى الأسماء والأفعال ، ثم أضيف الى هذه الفئات فئة أخرى من قبل أنصار الاتجاه المعارض للقياس تمثلت فى أداة التعريف Article • وبذلك اشتمل تحليل لغة الكلام على عناصر أساسية تمثلت فى :

الأسماء ، الأفعال ، وحروف العطف ، أداة التعريف ، الا أن فحص هذه العناصر اللغوية لدى معارضى القياس Anomalicts من أنصار المدرسة الكلاسيكية كان موجهاً بتأكيدهم على نقص التطابق بين الكلمات والأشياء ، ولامنطقية اللغة التى لاتعكس الطبيعة مباشرة • فى حين أن أنصار مدرسة الاسكندرية التى تمثل الاتجاه النحوى التقليدى لليونانيين كانوا قياسيين Analogists لأنهم معينون ببحث الانتظامات فى اللغة ، الأمر الذى أدى بهم الى تحديد قواعد أو محكات للصرف Ionpflexion • وتصنيف المفردات اللغوية ،وتحديد انتظاماتها • وقد طبق الاستدلال القياسى فى دراسة اللغات بواسطة كل من أفلاطون ، وارسطو وأتباعهما (١) • ورغم أن معارضى القياس لاينكرون الانتظامات اللغوية الا أنهم يخرجون بشكل واضح على الأمثلة التى تبدو فيها صور عدم الانتظام اللغوى •

ثم تواكبت جهود الفلاسفة اليونانيين لتحديد عناصر الكلام فأضافوا عنصر الظرف Acluerle والضمير Pronoun وحرف الجر Prepostion والتأنيث والتذكير Gender • وقد اتبع النحويون الرومانيون النماذج اليونانية لتحليل اللغة وتحديد فئاتها • وعوامل تطورها ، وذلك لأنهم كانوا يرون أن الدور الوظيفى للنحو

---

(١) Lyons, John, Introduction to Theoretical Linguisties, Cambridge, At the University Press, 1971, pp. 6-7.

بالنسبة للغة يتمثل فى تصحيح الكلام وفهم الشعر • بالاضافة الى دراسة الحروف والمقاطع •

وبذلك نجد أن النظرية الكلاسيكية للغة قد اتخذت من المدخل البنائى أساساً للتحليل الوصفى للغة غير أنها تنطوى على مغالطة أساسية تمثلت فى قصور مدخلها الذى لم ينظر للغة كنسق تربط عناصره علاقات معينة سواء من حيث الكلام والكتابة أو من حيث الفئات المكونة للغة الكلام •

وقد حقق التحليل اللغوى تقدماً ملموساً بواسطة المدرسيين فى العصور الوسطى بحيث أصبح هذا التحليل اللغوى جزءاً من النظرية اللغوية التقليدية وخاصة فى مجال النحو • وقدكان هذا التقدم ملموساً فى القرن الثالث عشر الذى شهد ازدهار المدارس الفكرية بجميع فروعها ، وبرز خلاله فلاسفة اهتموا باللغة وعنوا بها باعتبارها أداة لتحليل بناء الحقائق الواقعية ، وأنها بذلك تكون بمثابة سؤال عن معنى ودلالة مايعتبر فى رأيهم ذات أهمية بالغة •الا أنهم أخضعوا الجوانب اللغوية وخاصة من الزاوية النحوية لقواعد المنطق الأرسطى• ومن ثم خضع التحليل اللغوى لمبادىء عامة منطقية ومعرفية صبغت جهود اللغويين بالطابع التأملى فى اكتشاف المبادىء التى توجه نظرتهم للكلمة كاشارة ترتبط فى جانب بالتفكير البشرى وفى الجانب الآخر ترتبط بالشىء الذى تمثله أو تدل عليه •

وطبقا لنظرة اللغويين التأملية تلك فان الكلمة لاتمثل مباشرة طبيعة الشىء الدالة عليه وانما تمثله فى صورة أو طراز معين ، وباعتباره فعلاً ذات نوعية معينة • وينطبق ذلك على جميع اللغات بحيث تخضع كلماتها لنفس المفهومين المتعلقين بالوجود الفعلى being ، والتفهم Understanding • ونحن بذلك نخضع فهم معنى الكلمة ودلالتها للرؤية الذاتية والتفهم الذى توجهه الخبرة الثقافية للشخص(١) • وقد كان للتفكير النظرى التأملى الذى تمخضت عنه العصور

(١) Lyons, Johm, Introduction to Theoretical Linguioties, Cambridge, at The University Press, 1971. pp. 15-16 .

الوسطى أثره الواضح على الاتجاهات النظرية للغويين خلال عصر التنوير ابتداء من القرن السابع عشر ، حيث راج هذا التفكير فى فرنسا على يد مدرسى بورت رويال Port Royal • الذين نشروا مؤلفهم بعنوان Grammaire Generale et Raisonne'eعام ١٩٦٠م وكان الهدف منه ايضاح أن بناء اللغة نتاج للعقل ، وأن اللغات المختلفة للانسان قد أدت لاختلافات أكثر للنظام العقلى والمنطقى العام •

ولما كان لهذه المدرسة تأثيرها البالغ على علماء الغة داخل فرنسا وخارجها خلال عصر التنوير فقد انحصرت الجهود النظرية فى دائرة التقليد الكلاسيكى دون أن تقدم لنا نظريات لغوية جديدة اللهم الا تلك الجهود التى ارتبطت بأعمال ريشليه Richelieu فى فرنسا عام ١٦٣٧ التى صورت النظرة للنحو وجعلته يعرف بأنه فن الكلام والكتابة الصحيحة ، بعد أن كانت المدرسة الرومانية تعرفه بأنه فن الكلام الصحيح ، وفهم الشعر ، ودراسة الحروف والمقاطع • ومن ثم أصبح موضوع الدراسة النحوية هو اكتشاف العلاقة القائمة بين عناصر اللغة • وما اذا كانت تلك العلاقة طبيعية فطرية أم اصطلاحية Conventional • وعليه فقد كانت جهود علماء اللغة موجه خلال عصر التنوير لوصف الاستخدام الجيد للغة ، وخاصة لغة الأشخاص المتعلمين والكتاب الذين يستخدمون الفرنسية ، وذلك لتخليصها من كل أسباب الفساد اللغوى •

من التحليل السابق يتضح أن الأفكار والآراء النظرية المتعلقة ببناء اللغة -والتى تمخضت عنها النظرية الكلاسيكية - رغم فائدتها الا أنها تحتاج لجهد نظرى لاعادة صياغتها فى مصطلحات تكون أكثر عمومية ، وفاعلية للتحقق الامبيرتيقى • ومع ذلك فان التحليل اللغوى والنظرية اللغوية التقليدية - واللذان نشأ فى اليونان ، وتطورا عند الرومانيين ، وفى العصور الوسطى • ثم اتسع نطاقهما لدراسة اللغات المحلية Vernacular فى فترة عصر التنوير ومابعدها - قد طبعا تأثيرهما على التحليل الوصفى للغات الغير أوربية وخاصة قبل عصر التنوير ، وعندما ترجمت بعض

الأعمال اللغوية فى أمريكا خلال القرن الخامس بعد الميلاد ، ثم بعدها فى سوريا حيث بدأت جهود النحويين العرب تتضح فى مجال التحليل اللغوى ، وخاصة بعد اتصالهم بالتراث اللغوى التقليدى الأغريقى - الرومانى فى أسبانيا • وقد اتضح مدى تأثر التحليل الوصفى للغات المحلية (فى كل من أمريكا وسوريا ، وعند العرب ، ومن تأثروا بهم) بالنظرية التقليدية المتعلقة بالتحليل البناء للغة ، والتى تأصلت عند اليونانيين ، والرومانيين ، وتطورت فى العصور الوسطى واتسع نطاق تطبيقها خلال فترة عصر التنوير ومابعدها •

وقد امتد تأثير النظرية اللغوية التقليدية للغويين الهنود من خلال اسهامات النحوى الهندى « بانينى » Panini (القرن الرابع قبل الميلاد) • والذى اعترف بأنه قد راجع التراث اللغوى التقليدى السابق له بقرون محدودة •

وقد تأثر بأعماله لفيف من العلماء الهنود وخاصة ، بتلك المبادىء الأساسية التى ساقها (والتى تحكم التحليل اللغوى حتى الأن) تلك المبادىء المتمثلة فى :-

- شمولية التحليل البنائى للكلمات •
- ومبدأ الاقتصاد المرتبط - بالاختصارات والرموز
- مبدأ الأتساق والتناغم •

اضافة لذلك فقد كان « بانينى » مهتماً بمختلف اللغات فى عصره ، ومن ثم جاء تحليل المدرسة الهندية ، وخاصة بالنسبة لتصنيف أصوات الكلام ، جاء أكثر تفصيلاً ، وتحديداً ، واعتماداً عل الملاحظة والتجربة ، وهى بذلك تجاوزت ماكان سائداً فى أوربا قبل نهاية القرن التاسع عشر •

ومن ثم تأثرت النظرية اللغوية الأوربية بدورها بالفكر اللغوى الهندى ، وخاصة بعد اكتشاف المعالجات الهندية للغة وترجمتها من قبل المدرسين المعنيين بالتحليل اللغوى فى أوربا •

ولهذا نجد أن النحو الهندى رغم أنه نمى مستقبلاً عن النحو اليونانى الرومانى

الا أنهما يتماثلا مع بعضهما فى نقاط عديدة من حيث أصولهما وتطورهما (١) .

واذا كان ذلك يؤكد مدي تأثر « بانينى » بالنظرية اللغوية التقليدية فان تأثر المدارس اللغوية المختلفة فى الهند بأعمال « بانينى » تشير الى مدى امتداد تأثير النظرية التقليديةوتوجيههاللتحليل اللغوى الذى شمل العديد من اللغات غير الأوربية ٠

وقد استمر تأثير النظرية البنائية التقليدية الغربية على الاتجاهات اللغوية الهندية بشكل واضح فى جانبين أساسيين يتعلق أولهما بالصوتيات ويتعلق ثانيهما بالبناء الداخلى للكلمات ٠

لقد كان لتأثير مبادىء التحليل اللغوى التى وضعها « بانينى » على علماء اللغة الهنود ، والذين تأثر بأعمالهم بعض اللغويين فى الغرب - كان لتأثيرها مردوداً واضحاً على اتساع دائرة التحليل اللغوى الذى تناول بالمقارنة بعض اللغات ، وخاصة بعد اكتشاف علماء الغرب للغة السنسكريتية Sanskritبالاضافة الى تناول مفردات اللغات المختلفة ، مثل اللاتينية والجرمانية وتحليها لبناء كلماتها ٠ وذلك ماتحقق فى بحث أجراه « فرانز بوب » Franz Boppعام ١٨١٦ حيث قارن فيه بين مجموعة من اللغات مثل السنسكريتية والألمانية واليونانية واللاتينية ٠٠٠ الخ ٠ ولاحظ من خلاله تشابه هذه اللغات وانتمائها الى عائلة لغوية واحدة (٢) ٠

ومن ثم نشطت جهود الباحثين لاكتشاف صور التماثل بين مفردات اللغات ، وبناء كلماتها ٠ وبالتالى أمكن التعرف على أصول اللغات ، وتحديد العلاقات القائمة فيما بينها ، وردها للغة الأم التى تفرعت عنها ٠ ومن ثم أمكن تعقب اللغات وتفرعها عن اللغة المفردة الأولى ٠ وعليه أكد العلماء على أن معظم اللغات الأوربية ، والعديد

---

(١) Lyons, John, op. cit. p. 19 .

(٢) ف.دى سوسير ، فصول فى علم اللغة العام ، ترجمة دكتور أحمد نعيم ، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ١٨ ٠

من اللغات الآسيوية تنتمى لما نسميه باللغة الهندية الأوربية Endo - European والتى تشعبت منها فروع لغوية مختلفة • ونفس الشىء حدث بالنسبة للغات الأم ، مثل اللغة السامية – الحامية ، وغيرها من فصائل اللغات الأخرى • وبذلك ساعد التحليل البنائى للغات على كشف العلاقات القائمة بين مفردات اللغات وبناء كلماتها . وايضاً تحديد فصائلها الأساسية وصور تطور اللغات وتشعبها وتفرعها عن فصائلها الأساسية •

ثانيا : تطور الحوار النظرى حول نشأة لغة الكلام :

لما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية ، فقد خضعت فى نشأتها وتطورها لنفس القوانين التى حكمت نشأة الظواهر الاجتماعية الأخرى ، وذلك يعنى فى المحل الأول أن الحياة الاجتماعية وظروف المجتمع ومقتضيات التفاعل والتفاهم بين أعضائه من الأفراد ، هى التى دعت بصورة تلقائية لوجود لغة يتبادلون عن طريقها الأفكار والرموز والمعانى التى خلعها المجتمع على الأشياء ، والتى تنقلها أصوات مركبة ذات مقاطع تتألف منها الكلمة التى تواضع عليها المجتمع ، واستخدمها الناس خلال تفاعلهم واتصالهم ببعضهم ، وذلك بعينه مايفسر لنا نسبية اللغة ، رغم عموميتها ووجودها بين مختلف الجماعات البشرية • تلك النسبية البادية علي المفردات اللغوية ، وتركيب الكلمات ، وصورها الصوتية ، ومقاطعها ، ومخارجها ، وأساليبها ، ودلالاتها الصوتية، ومايرتبط بها من معانى متفاوتة بتفاوت المجتمعات والثقافات •

ورغم اتفاق المحدثين والمعاصرين بهذه الصورة بالنسبة لنشأة لغة الكلام لدى الجنس البشرى الا أن هذا الموضوع قد نال من اهتمام المفكرين ، والفلاسفة ، وعلماء اللغة ماجعله يشكل موضوعاً خلافياً من حيث طبيعة المنظورات التى تناولت نشأة اللغة بالتفسير والتحليل ومن ثم نعرض لبعض تلك المنظورات بهدف الكشف عن مسار الفكر النظرى ، ونماذجه فى العصور المختلفة • وذلك لتلمس معالم الفكر النظرى حول نشأة اللغة ، ومظاهر تطوره بتطور المجتمعات وتقدم سبل المعرفة والبحث حول

الجذور التاريخية للظواهر الاجتماعية ، بما فيها الظواهر اللغوية ·

وبتتبع صور الحوار النظرى حول نشأة لغة الكلام لدى الجنس البشرى يتضح مدى تفاوت المنظورات النظرية من حيث تحديدها للعوامل المفسرة لنشأة اللغة ، فمنها ما ارجع نشأة اللغة لعامل معين باعتباره العامل الحتمى لتفسير نشأة اللغة ، والى هذا الاتجاه تنتمى المنظورات التى تؤكد على الالهام الالهى ، والموهبةالانسانية ، وغريزة التعبير الطبيعى ، والتقليد الصوتى للأصوات الطبيعية بالاضافة الى المنظور الحيوى الذى يرجع نشأة لغة الكلام لدى الانسان الى اشتمال مخه على مركز الكلام ومركز حفظ الأصوات ، ومركز الكلمات المرئية، والمنظور الذى يرجع ابتداع اللغة واستخدامها للتواضع والاتفاق وارتجال الألفاظ ارتجالاً · وذلك لأن أنصار كل من هذه المنظورات يؤكد على حتمية عامل بعينه فى تفسيره لنشأة اللغة · كما أن هناك من المنظورات النظرية مايتجاوز الحتمية العاملية فى تفسير نشأة اللغة بالتأكيد على تعدد العوامل مع تفوق بعض تلك العوامل فى تفسير نشأة اللغة ، والى هذا الاتجاه ينتمى المنظور الشمولى الذى يرفض حتمية التفسير بعامل معين ، والتى تؤكد عليها المنظورات النظرية المتقابلة ، لاعتبار يتعلق بكون كل منها لايتناول الا جانباً معيناً وجزئية خاصة لاتشكل دليلاً كافياً لتفسير نشأة اللغة ·

وقد انبرى للتأكيد على هذا الاتجاه « اوتو جبرزن » عندما اعترف بهذه المنظورات جميعها ، مع جعل احداها أو بعضها متفوقاً من حيث كونه مصدراً لنشأة لغة الانسان (١) ·

١- المنظورات المتقابلة وحتمية التفسير لنشأة اللغة :

يرجع المنظور النظرى الأول لنشأة لغة الانسان الى الالهام الإلهى ، الذى اعتبره أنصاره المصدر المباشر لنشأة اللغة · اذ أن الالهام والوحى الإلهى قد هبط على

(١) Jespersen, Otto, The Philosophy of Grammer, London, George Allen & Unwin, 1924.

الانسان وعلمه النطق وأسماء الأشياء · وقد نادى بهذا المنظور لفيف من الفلاسفة والمفكرين فى مختلف العصور · ففى العصور القديمة أكد عليه الفيلسوف اليونانى « هيراقليطس » Heraclite (٥٧٦ - ٤٨٠ ق.م)عند تفسيره لنشأة اللغة ، كما أكد على هذا الاتجاه فى العصور الوسطى الفقيه اللغوى « أبوالفتح عثمان بن جنى » (٣٢٠ - ٣٩٢ هـ - ١٠٠٢م) فى مؤلفه « الخصائص » (١) حيث استهله بفصل عن نشأة اللغة ، ذكر فيه ميل بعض الفقهاء واللغويين أمثال أبوعلى ، وأبوالحسن ، للتأكيد على أن اللغة الهام الهى ، وأن الله علم آدم أسماء المخلوقات بمختلف اللغات، سواء كانت عربية ، أو رومانية ، أو فارسية ، أو عبرية ، أو سريانية ··الخ·

وتكلم آدم وأبنائه بتلك اللغات ثم تفرعوا وتمسك كل منهم بلغة معينة وأهمل ماعداها من لغات الأمر الذى أدى الى اضمحلال تلك اللغات لديهم ·

ورغم أن « ابن جنى » قد ذكر أن تبريراتهم لاتتضمن دليلاً كافياً لرد نشأة اللغة للالهام الالهى الا أنه لم يعارض هذا الرأي صراحة ·

وقد ناصر هذا الرأى أيضاً فى بداية عصر التنوير من مفكرى الغرب فى فرنسا الأب « دوم ف. لامى » Dom F. Lami (١٦٣٦ - ١٧١١) فى مولفه بعنوان «فن الكلام » (٢) ·

ثم شايع هذا الرأى فى العصور الحديثة « أحمد بن فارس » (١٨٠٤ - ١٨٧٧ م) فى مؤلفه « الصحابى » (٣) ·

وقد رد نشأة اللغة للوحى والالهام الالهى بصورة قاطعة أيضاً الفيلسوف الفرنسى « دوبونالدViconte De Bonald » (١٧٥٤ - ١٨٤٠) فى مؤلفه

---

(١) أبوالفتح عثمان بن جنى ، الخصائص ، الفصل الأول ·

(٢) Lami, Dom F., L'art de Parler .

(٣) أحمد بن فارس ، الصحابى ، ص ٥ ، ٧ ·

التشريع القديم (١) ·

أما المنظور النظرى الثانى فيرجع نشأة اللغة للموهبة الانسانية التى نشأت مع الانسان ، والتى ينفرد بها دون سائر الكائنات الأخرى · وقد أورد هذا الرأي الفيلسوف الاغريقى « أفلاطون » (٤٢٩- ٣٤٧ ق.م) ·

ونظراً لاهتمام أفلاطون بتحليل البناء اللغوى وتحديد فئات اللغة وتوزيع مفرداتها بين الأسماء والأفعال ، وتعرديف كل فئة من تلك الفئات (٢) فقد ذهب الى ضرورة الاهتمام بنشأة الألفاظ الأولى بدلاً من الاهتمام بالعامل الذى تحكم فى نشأة اللغة · ومن ثم لفت الانتباه الى ضرورة البحث حول نشأة مفردات اللغة الأولى ، والاهتمام بدراسة لغات الشعوب الأخرى ، والمقارنة فيما بين مفرداتها وألفاظها · ومن ثم انصرف الاهتمام بتأثير أفلاطون الى أن اللغة حقائق تخضع لقوانين محدودة على نحو ماذهب بعض أنصار مدرسة الاسكندرية فى القرن الثانى والثالث قبل الميلاد · وأنها محكومة بقانون ومن ثم فيه تسير وفق قواعد محددة على عكس ماذهب «اللاقياسيون » Anomaliats الذين أصروا على نقص التطابق بين الكلمات والأشياء وأكدوا على الجوانب اللامنطقية للغة (٣) ، وعلى أن اللغة بذلك لاتعكس الطبيعة بصورة مباشرة ·

وقد أدى ذلك الموقف الى تفاوت اسهامات كل من الفريقين بالنسبة للتحليل اللغوى اذ أن القياسيون من أنصار المدرسة اليونانية قد نجحوا فى تحديد مجموعة القواعد والمحكمات التى تحكم التحليل اللغوى وخاصة بالنسبة لعملية الصرف ·

ويأتى المنظور النظرى الثالث ليرجع نشأة اللغة للعوامل الحيوية البيولوجية لكون

---

(١) Bonald, de , V., Ligislatian Primitive.

(٢) Lyons, John, Introduction To Theoretical Linguistics, op. cit. p. 10

(٣) Lyons, Johm, Glid. p. 12 .

مخ الانسان يشتمل على مراكز ثلاثة أساسية تمثلت فى مركز الكلام ، ومركز حفظ الأصوات ، ومركز الكلمات المرئية التى تشرف على المظاهر المختلفة للغة ، وسواء كانت هذه المراكز قد نشأت مع الانسان أو تطورت بارتقائية فهى فى نظر هذا الفريق تفسر لنا نشأة لغة الكلام عند الانسان ٠ وقد ناصر هذا الرأي كل من « رومان » فى مؤلفه « الارتقاء العقلى للانسان » ، و «ولكس ذولاكودا » فى مؤلفه اللغة والفكر (١) وغيرهم من علماء النفس والفزيولوجيا ٠

ويأتى المنظور النظرى الرابع ليرد نشأة لغة الكلام لدى الانسان الى غريزة التعبير الطبيعي عن الانفعالات ، والتى جعلت الانسان يستجيب للانفعالات بحركات وأصوات معينة مثل انقباض الأسارير ، والضحك والبكاء عندما تعتريه حالات انفعالية مثل الخوف أو الغضب أو السرور ٠ كما أن تلك الغريزة تدفع بالانسان للتعبير عن مدركاته بكلمات خاصة لكل منها ٠ وهذه الغريزة بحكم كونها عامة لدى جميع أفراد الجنس البشرى فقد أدت بدورها لتماثل تعبيراتها ومفرداتها اللغوية ، الأمر الذى ساعد على تحقيق التفاهم بين الجماعات البشرية والتى بعد أن نشأت لغاتها لم يعد لها حاجة لتلك الغريزة ومن ثم أهملتها فاضمحلت وتلاشت شأنها فى ذلك شأن غيرها من الغرائز البشرية (٢) ٠ وقد أكد على هذا المنظور فى تفسير نشأة اللغة فى العصور الحديثة الألمانى « ماكس مولر » (٣) (١٨٢٣ - ١٩٠٠) والفرنسى « ارنست رينان » (١٨٢٣ - ١٨٩٠) فى مؤلفه « نشأة اللغة » (٤) ٠

---

(١) De Lacroux, Le Langage et Le Pemsee.

(٢) على عبدالواحد وافى ، علم اللغة ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ ٠

(٣) Muller, Max, TheScienceat Language, 1861. & New Lectures on The Science of Language , 1864 .

(٤) Renan, Ernest. L'arigiue de Language.

ويشكل المنظور النظرى الخامس الذى يرجع نشأة اللغة الى التقليد الصوتى ومحاكاة الانسان للأصوات الطبيعية الواقعة فى محيط حياته ليضيف بعداً حتمياً آخراً فى تفسير نشأة اللغة على أساس العامل الواحد . وقد دافع عن هذا البعد التفسيرى لنشأة اللغة فى العصور الوسطى « أبوالفتح عثمان بن جنى » فى مؤلفه «الخصائص» حيث قال : « وذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها انما هو من الأصوات المسموعة كدوى الريح ، وطنين الرعد ، وخرير الماء ، وسحيج البغل ، ونهيق الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونذيب الظبى ، ثم تولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل » (١) . فمن النص يتضح قبوله لبعد التقليد والمحاكاه لأصوات الطبيعة فى تفسير نشأة اللغة وتأكيده عليه وذلك عكس موقفه من منظور الالهام الالهى ومنظور الارتقاء والاصطلاح فى نشأة اللغة والذى عرض فيه وجهتى النظر تلك دون التأكيد أو المعارضة لأى منهما . وقد دافع عن منظور تقليد للأصوات الطبيعية فى العصور الحديثة عالم الصوتيات الانجليزى « وتنى » Withney فى مؤلفيه « حياة اللغة » ١٨٧٥ ، « اللغة ودراستها » ١٨٦٧ (٢) وشاركه فى ذلك بعض المحدثين بالاضافة الى مناصرة بعض المعاصرين من علماء اللغة لهذا المنظور ومنهم عالم اللغة « اتوجسبرسن » عندما رد على رفض عالم اللغة الفرنسى « ارنست رينان » لهذا المنظور (٣) واعتراضه على جعل الانسان مقلداً لأصوات الحيوان ، وبالتالى وضعه فى مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان بالنسة لنشأة اللغة. وقد تكشف موقف « جسبرسن » المؤكد لهذا المنظور بتأكيده على أن تقليد الانسان لأصوات الحيوان لايضعه فى مرتبة أدنى منه لأن الأصوات التى تصدر عن الانسان لها دلالة ومعنى ترمى اليه حال صدورها عنه ، فى حين أن الأصوات التى

---

(١) ابن جنى ، الخصائص ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢) Whitney, Language and The Study of Language, 1867.

(٣) Renan, E.,L'arigine Du Langage.

تصدر عن الحيوان لا ترمى إلى مستوى ارتباطها بمعنى مقصود (١) وتأكيد «جسبرسن» ، على أهمية هذا العامل فى تفسير نشأة اللغة يضعه ضمن أنصار أحادية العامل فى تفسير اللغة ، وذلك لأنه يؤمن بتعدد العوامل مع تفوق أحدها أو بعضها فى التأثير على نشأة لغة الانسان .

يضاف لذلك منظور نظرى آخر يرجع نشأة اللغة للارتقان والمواضعة التى يترتب عليها ارتجال ألفاظ تدل على الأشياء وتغنى عن حضورها للتعرف عليها . وقد ناصر هذا المنظور فى العصور القديمة « ديموقريطس» فى القرن الخامس ق.م كما سلك مسلكه فى العصور الحديثة بعض فقهاء العربية . بالاضافة الى فلاسفة الانجليز « ادام سمث » ، « رويد » Reid ، و « ستيوارث » (٢) فهم الذين تحمسوا لهذا المنظور وأكدوا عليه فى تفسير نشأة اللغة لدى الانسان . والواقع أن أى من هذه المنظورات النظرية فى نشأة اللغة قد تعرض للنقد والتفنيد الذى كشف عن قصور أسانيده فى تقديم التبريرات المنطقية بصحة مايذهب اليه أنصار أى منهما فى تفسير نشأة اللغة ، بالاضافة الى ماتعرضت له فكرة الحتمية العاملية لنقد متتابع من العلماء والمفكرين ، جعلها تتهاوى وتنحصر من ميدان التفسير العلمى لنشأة اللغة كظاهرة اجتماعية ، وتخلى السبيل لمحاولات أخرى للتفسير .

٢ - منظور العامل المتفوق فى نشأة اللغة :

رغم أن أى من وجهات النظر السابقة لتفسير نشأة اللغة لم تقدم التبرير المنطقى المقبول لتأكيد صحة ماتذهب اليه بالنسبة لنشأة اللغة ، الا أنها قد أثارت الحوار ودفعت به فى طريق البحث عن التفسيرات المنطقية وخاصة بعد أن تكشفت

---

(١) Jespersen, Otto, Language : Its Rature, Develapment and origin, & The Philosophy of Grammar, Gearge Allen & Unuin, London, 1924.

(٢) على عبدالواحد وافى ، علم اللغة ، المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ابراهيم محمد نجا ، فقه اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٥ .

معالم الاتجاه العلمى والنزعة الموضوعية والامبيريقية فى دراسة الظواهر الاجتماعية والبحث عن نشأتها • وذلك ماجسده اتجاه « اتوجسبرسن» لنقد الاتجاهات النظرية الأحادية البعد ، فى تفسير نشأة اللغة ، مؤكداً أنها لاتقدم لنا الدليل العلمى الكافى لفهم نشأة اللغة لأن كل منها يفسر جزئية محدودة من النشاط اللغوى • ومن ثم دعى للاعتراف بها جميعاً فى تفسير نشأة اللغة • مع اعتبار بعضها ، أو جميعها مصدراً لنشأة لغة الانسان الأولى • و«جسبرسن» بذلك يؤكد على تعدد العوامل فى تفسير نشأة اللغة ، مع الأشارة الى امكانية جعل بعضها بمثابة العوامل المتفوقة فى التفسير ، الا أنه لايترك ذلك لمجرد التخمين الفكرى ، وانما يؤكد على ضرورة اتخاذ هذا القرار فى ضوء الدراسة الامبيريقية للغة الطفل ، والبحث المدقق فى لغات الجماعات البدائية المتكلمة ، وتحديد الأصول التاريخية للغة الانسان (١) •

ورغم القصور الذى ينطوى عليه منظور العامل المتفوق ، أو العوامل المتفوقة ، فى تفسير نشأة اللغة ، ورفض الاتجاه العلمى المعاصر له ، الا أنه يعضد الاتجاه الموضوعى فى دراسة نشأة اللغات ، ويؤكد التخلى عن التفسيرات التى ترجع نشأة اللغة لعوامل وقوى خارجة عن طبيعتها •

ثالثا : النظريات المفسرة لتطور لغة الانســـــان :

تناول المفكرون والعلماء تطور اللغة باهتمام ساوق اهتمامهم بنشأة اللغة ، وذلك لأنهم يرون أن لغة الانسان بدأت بصورة أولية بسيطة مبهمة من حيث المفردات ، والأصوات ، ودلالاتها • وناقصة من حيث القواعد التى تحكم تنظيمها واستخداماتها • ثم خضعت فى تطورها لعوامل متباينة تحكمت فى ارتقائها وبلوغها الصورة التى هى عليها الآن • وقد اختلف العلماء فى تحديد تلك العوامل باختلاف

---

(١) Otto, Jespersen, Language: Its Nature, Development and Origin. op. cit.

الزاوية التى نظروا منها لتطور اللغة • فبعضهم قد نظر لتطور اللغة من الزاوية الصوتية ومن ثم انحصر اهتمامهم فى الكشف عن الأصول الأولى التى ظهرت بها اللغة الانسانية ، والمراحل التى قطعتها تلك الأصوات خلال تطورها وارتقائها •

كما نظر البعض الآخر لتطور اللغة من زاوية المفردات اللغوية وما ارتبط بها من معان جزئية ومعان كلية • ثم اهتم بعضهم بتطور اللغة من ناحية البناء اللغوى المتعلق بالصفات والحروف والأفعال والألفاظ التى تعاقب ظهورها فى لغة الانسان • وقد نظر فريق آخر الى تطور اللغة من الزاوية المورفولوجية (البنائية) والتنظيمية • وبذلك نجد أن كل فريق من العلماء والمفكرين قد تناول تطور اللغة من زاوية معينة وحاول أن يكشف عن المراحل التى قطعتها اللغة فى تطورها من هذه الزاوية •

يضاف لذلك تلك الزاوية العامة التى نظر منها البعض ومنهم « دوسوسور » لتطور اللغة فى كليتها بما فيها الناحية الصوتية ومفرداتها ومعانيها وعناصرها من الأسماء والصفات والحروف والأفعال ، بالاضافة الى بنيتها وتنظيمها باعتبارها جوانب لغوية مترابطة تشكلت فى جملتها من خلال العلاقة التى تربطها ببعضها وبالنسق اللغوى العام • ومن ثم نتناول مظاهر التطور اللغوى من الزاوية الصوتية ، ثم على مستوى التطور الدلالى للغة •

١ - النظريات المفسرة للتطور الصوتى للغة :

بدأت النظرة للتطور الصوتى للغة الانسان موغلة فى التأكيد على أن الأصوات اللغوية الأولى كانت مبهمة ، بصورة تماثل أصوات التعبيرات الطبيعية عن الحالات الانفعالية للانسان (بما فيها من سرور وخوف ومايصاحب تلك الحالات من ضحك وصراخ وبكاء) والأصوات التى تعبر عن الحيوانات ، والرياح ••• الخ ثم تطورت بعد ذلك لمرحلة ظهرت فيها أصوات اللين (المد)* تلتها بعد ذلك مرحلة المقاطع

---

* من أمثلة أصوات اللين فى اللغة العربية (قصيرة) الفتحة ، والكسرة ، والضمة • (طويلة) الألف ، والياء ، والواو ومن أصوات اللين فى اللغات الأجنبية I,e,a .

حيث ظهرت الأصوات الساكنة مثل (الياء ، والتاء ، الثاء ٠٠٠ الخ) ٠ وفى ذلك يستند أنصار هذه النظرية على أدلة ترتبط بلغة الطفل والجماعات الأولية ٠ وذلك لأنهم يرون أن الطفل يقلد الأصوات الطبيعية فى المراحل الأولى لنموه اللغوى ، وهى المرحلة التى تسبق مرحلة الكلام ٠ وأن لغة الجماعات الأولية (البدائية) مبهمة ولاتظهر فيها الحروف الساكنة ، وأن استعانة هذه الجماعات بالاشارات أثناء الحديث يرجع لهذا الابهام اللغوى ، وعدم كفاية الأصوات اللغوية للدلالة على الأشياء ٠

وسواء كان التطور الصوتى يتجه باللغة نحو التهذيب والكمال (١) أو الى اظهار العناصر الأساسية للكلمة وتخليصها من الأصوات الغير ضرورية (٢) أو الى تسهيل النطق والاقتصاد فى المجهود (٣) فهم بذلك يذهبون الى أن تطور الأصوات اللغوية جاء نتيجة لجهود فردية ارادية تمت من خلال المحاكاة والتقليد اللغوى ٠ وبذلك يتفق تفسير تطور اللغة عند أنصار هذا الاتجاه مع تفسير نشأة اللغة بعامل المحاكاة والتقليد ٠

كما أن بعض العلماء أمثال « هرمان بول » و « روسلو » Rowsslot أكدوا على أثر التطور الطبيعى لأعضاء النطق على تطور اللغة ، فقد أكد « هرمان » على أثر التغيرات الجسمية الخاصة بأعضاء النطق فى تطور الناحية الصوتية للغة ، وتابعه فى ذلك « روسلو » الذى ناصر هذا الاتجاه مؤكداً على ارتباط تطور الأصوات اللغوية بتطور أعضاء النطق وتطور استعداداتها وما يؤدى اليه من تطور أصوات الكلمات عما

---

(١) ذهب لهذا الرأي من الدراسات الانجليزية « سايس » Syace و « سويت » Sweet ٠

(٢) ذهب الى هذا الرأي « بول باسى » Paul Passy فى مؤلفه « التطورات الصوتية فى اللغة » عام ١٨٩٠م ٠

(٣) وذهب لهذا الرأى « ماكس مولر » Max Muller و « وتنى » Whitney فى مؤلفه « فلسفة اللغة » ٠

كانت عليه لدى السابقين (١) • وهذا الفريق بذلك يرجع تطور الأصوات اللغوية أيضاً الى عوامل بيولوجية أكثر منها للعوامل الثقافية والاجتماعية •

وقد تطرق البعض فى التأكيد على أعضاء النطق بالنسبة لتطور اللغة الى الحد الذي اعتبروا فيه أن تنوع الخواص الطبيعية لكل شعب تنتقل اليه عن طريق الوراثة ، وأنها تخضع في بنيتها واستعدادها وتطورها لاختلاف خواصها الطبيعية تلك • ومن ثم فقد شددوا على أثر تطور أعضاء النطق بالنسبة لتطور اللغة • ثم يسوق لنا كل من « روسلو و مييه » Meillet (٢) نظريتهما لتفسير تطور اللغة من الناحية الصوتية بالتركيز على الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات الضعيفة نتيجة للذلل حساسية السمع لدى جيل الصغار فى ادراكاتها اللغوية للغة جيل الآباء • وذلك نتيجة لضعف بعض الأصوات وتضاءل جرسه تدريجياً ، الى الحد الذى يتبينه السمع • وبالتالى تكون مسألة السقوط لدى جيل الصغار دون أن يفطن جيل الكبار لهذا السقوط الصوتى فى لغة الأبناء بتأثير نفس العوامل التى أدت لعدم ادراك الأبناء له فى لغة الكبار • ونظراً لكون هذا الخطأ الصوتى عاماً بين فئات الأجيال فانه يمارس تأثيراً وفاعلية بالغة فى تطور اللغة •

٢ - المنظورات النظرية للدلالة اللغوية

تبلورت المنظورات النظرية للدلالة من خلال محاولات المفكرين والعلماء المتكررة لتحديد امكانية الاستدلال على طبيعة العالم الخارجى من طبيعة اللغة التى نتحدث بها عن ذلك العالم • وما اذا كانت الأسماء دالة على مسمياتها بطبيعتها ، أم أنها تكتسب قوتها الدلالية بحكم الاتفاق ؟ • وترجع بدايات هذا الحوار النظرى

---

(١) Rounelot, Les Modifications Phonetiques du Language .

(٢) تأثرا باتجاه فرديناند دوسوسور المناصر لمدرسة دوركايم لعلم الاجتماع والمعتنق مذهب هذه المدرسة الاجتماعى فى تفسيراته اللغوية ، وساهم مع دور كايم فى تأسيس مجلة علم الاجتماع ونشر بها العديد من الدراسات والبحوث •

حول المعنى لذلك الجدل الفلسفى دار بين الاسميين Nominalists والواقعيين Real-ists حيث ذهب الواقعيون الى أن الأشياء نعطيها نفس الاسم المطابق لبعض الخواص الأساسية المشتركة وهى التى تجعلنا نميزها بها ٠ فى حين ذهب الاسميين الى أنها - أى الأشياء التى نعطيها نفس الاسم لاترتبط بأية خاصية مشتركة فى الواقع عدا الاسم الذى تعلمنا أن تطلقه عليها بصورة عشوائية ٠ وهنا يدور الحوار حول ما اذا كانت الكلمات قد وضعت مطابقة للمعانى الخارجية ، أم أنها جاءت مطابقة للصور الذهنية التى تشكلت فى ذهن واضعها بغض النظر عن الماهية الخارجة لتلك المعانى ٠

ويرجع اهتمام العلماء بالتطور الدلالى للغة لكونه احدى المراحل الأساسية لفهم تطور اللغة والوقوف على أبعاد هذا التطور وعوامله ٠ ورغم أن الاهتمام بفهم الدلالة ودراستها ينصرف مباشرة لدراسة المعنى (١) الا أن الوقوف على التطور الدلالى يقتضى بالاضافة الى فهم المعنى معرفة العوامل التى تتحكم فى تطور المعنى ، وتحديد العوامل والقوى التى تتحكم فى تطور قواعد الاشتقاق والصرف والتنظيم اللغوى والأساليب اللغوية ، وذلك لأن تطور أى من هذه الأبعاد يصحبه بالضرورة تطور فى المعنى ٠ وفى ضوء ذلك يتسع تحليلنا للتطور الدلالى ليغطى الجوانب التالية :

(أ) تطور معانى المفردات اللغوية كمؤشر لتطور اللغة : يتعلق هذا التطور بمعنى الكلمات سواء من حيث التعميم أو التخصيص حيث يعمم معنى خاص للكلمة على مدلولها الأصلى العام والمعانى التى تشترك معه فى بعض الصفات ، أو أنه يضيق معناها العام وينحصر فى بعض المدلولات التى كانت تخلع على الكلمة من قبل ٠ وقد تتعرض معانى المفردات اللغوية للتطور نتيجة لهجر معناها القديم ، واستخدامها للدلالة على معنى آخر يرتبط بها بعلاقة معينة ، أو أن نستخدمها للدلالة على معنى منفصل عن معناها الأول ٠ وهنا تتعرض اللغة لحالة الاغتراب الجزئى أو

---

(١) Lyons, John, op. cit. p. 400 .

الكلى عن معناها الأصلى · واذا كانت حالات التعميم أو التخصيص لمعانى الكلمات تمثل صورة الاغتراب الجزئى - فان هجران المعنى القديم واستخدامها للدلالة على معنى فرعى كان يرتبط بها بعلاقة معينة يشكل حالة اغتراب شبه كلى للغة ثم يأتى هجران معانى الكلمة القديمة واستخدامها لمعانى قريبة منها ليشكل حالة الاغتراب الكلى للمفردات اللغوية · وهى أقصى حالات انفصال الكلمة من معناها الأصلى ·

والواقع أن الاختلافات الاجتماعية والثقافية بين طبقات المجتمع تنعكس بشكل واضح على اللغة التى تستخدمها تلك الطبقات من حيث المفردات والمعنى · فاختلاف الطبقات الاجتماعية يجعل الكلمات الى نستخدمها تخرج عن معانيها الأصلية وتنحو بها لما يرتبط بالفروق والخواص المتمايزة فيما بينها من حيث طريقة الحياة وأسلوبها وعاداتها وصور نشاطها الاجتماعى والثقافى والتربوى ، ومظاهر تقليدها وطبيعة الوظائف التى تنهض بها ، حيث تستخدم المفردات اللغوية فى غير ماوضعت له أو نعمم معناها أو نقصرها بما يلاءم ظروفها وأوضاعها وبما يعبر عن أحوالها واهتماماتها ·

واذا كانت وجهة النظر التقليدية التى تنظر للكلمة باعتبارها أصغر وحدة لغوية ذات معنى مؤيدة من قبل المعاصرين من علماء اللغة (١)· فان ذلك لايعنى أن معانى الكلمات ثابتة تماماً ، نتيجة لاتقان ناطقى اللغة على استعمال الكلمات من حيث مضمونها وماتشير اليه فى المواقف الحياتية · وذلك ماجعل علماء الدلالة يتعدون عن النزعة التقليدية فى تعريف المعنى بلغة الاستدلال والتأكيد على الاستعمالات التى ترد فيها الكلمة ، والتى تتعدد أنواعها فى اللغة بتعدد استعمالاتها فى المواقف المتعددة للحياة اليومية (٢) · ومن ثم فان فهمنا لمعانى الكلمات التى نتفوه بها فى المواقف المختلفة يعتمد على مدى فهم الجميع للكلمات ، وعلى مدى معرفتهم لنفس المفاهيم

---

(١) Lyons, John, op. cit. p. 412 .

(٢) Lyons, P.Pslid, p. 412 .

عندما يتحدثون مع بعضهم • ومثل هذا الأمر لايمكن تداركه الا بوضع الكلمات فى جمل وأساليب تعبيرية ، بمعنى أن وضع الكلمة فى جملة هو الذى يحدد المعنى المقصود منها • فقد يتغير معناها حسب الصياغة والموقف الذى تصاغ به الجملة •

واذا كانت المواقف الاجتماعية التى تستخدم فيها اللغة تتحدد من حيث طابعها ومضمونها بطبيعة السياق الثقافى والاجتماعى للمجتمع ، فان اللغة بذلك تخضع للأوضاع الاقتصادية والدينية والأخلاقية والاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمعات والجماعات البشرية واتجاهاتها نحو الحرب والسلم ، والفنون والآداب والعمارة • فجميع هذه الجوانب لها تأثيراتها على اللغة واستخداماتها وفنونها • كما أنها تصبغها بطابعها وتؤثر عليها من حيث الدلالة ، والمفردات ، والقواعد ، والأصوات ، والأساليب ، وذلك ما أكده « فانييه » فى المقالة التى نشرها فى مجلة التربية ، المجلد الثانى عام ١٩٠٧ بعنوان « روح الأمة وطابعها ممثلة فى لغتها » (١)

واذا كانت الجمل والأساليب تتطور بحكم التطور الثقافى والاجتماعى للمجتمعات فان ذلك يعنى أن استعمال الكلمات فى الجمل يخضع لهذا التطور وبالتالى تتطور معانيها بتطور الاستعمال اللغوى للكلمة وذلك ماجعل اللغويين يهتمون بتطور الأساليب باعتبارها احدى مظاهر التطور الدلالى للغة •

(ب) تطور الأساليب اللغوية كمؤشر للتطور الدلالى للغة :

شهدت اللغة تطوراً ملموساً فى أساليب الكلام والكتابة بمختلفة فنونها • وقد ارتبط هذا التطور من حيث الشكل والبنية والدلالة بالظروف الثقافية والاجتماعية للجماعات والمجتمعات البشرية المتمايزة ، والتى انعكست نسبيتها الحضارية على الأساليب اللغوية ودلالتها النسبية • ورغم أن الاتصال والاحتكاك الثقافى والفكرى لم

---

(١) Vannier, V., L'Esprit et les Moeurs d'une Nation dapres sa Langue, Revue. Pedagagiaue, 1904. V. 2. pp. 434 - 463 .

ينل من النسبية الثقافية والاجتماعية للمجتمعات ، الا أنه كان أكثر أثراً على النسبية الدلالية للأساليب اللغوية ، التى تأثرت بدورها بحركة الترجمة واتساع دائرة الحاجة الى دقة التعبير عن الحقائق الفلسفية والعلمية والاجتماعية والتى اقتضت بدورها تحقيق درجة من التماثل الدلالى للأساليب اللغوية • ذلك الالتقاء الدلالى الذى لم يقتصر على الحالات التى تجلت فيها ثنائية اللغة بالنسبة للأفراد والمجتمعات ، بل تعدتها الى حالات أحادية اللغة وخاصة تلك التي تتلمس دقة التعبير عن حقائق العلوم المختلفة•

واذا كان الاحتكاك والاتصال الثقافى والفكرى ، ورقى التفكير وظهور الحاجة لتحقيق الدقة فى التعبير عن الحقائق العلمية والاجتماعية قد أثر على تطور الأساليب اللغوية فان هذا التطور يمكن تلمسه بسهولة بالنسبة لأساليب الكتابة وأساليب الكلام اذا ماعقدنا مضاهاة بين الأساليب اللغوية الحديثة والأساليب اللغوية القديمة من حيث الشكل ، والعناصر البنائية ، والدلالة الوظيفية للأسلوب •

(أولاً) تطور الصياغة اللغوية :

تتجسد اللصياغة اللغوية فى أسلوب الكلام ، وأسلوب الكتابة ، وسواء كانت الصياغة فى شكل كتابة أو فى شكل كلام فهى عملية ترجمة للأفكار التى تدور فى ذهن الشخص ، وفهمنا لهذه الصياغة بمثابة كشف للأسلوب اللغوى المصاغ ، وتحديد للمعنى والدلالة الاجتماعية التى تشير اليها الرموز والمفردات اللغوية • وهذا الكشف يتأثر بظروف العصر والسياق الثقافى والاجتماعى للصياغة ولعملية الكشف تلك ، فاذا كانت عملية الكشف في نفس ظروف عملية الصياغة ، وفى عصرها فان تدارك المعنى والدلالة اللغوية للأسلوب ومايشتمل عليه من ردرد تأتى مباشرة ، بمعنى أنه فى حالة مايكون الموقف اللغوى والمشاركون فيه فى نفس السياق الثقافى والاجتماعى وفى نفس العصر فان الاتصال اللغوى ، أى تدارك المعانى والدلالات التى تحملها الرموز اللغوية للأسلوب يكون مباشرة •أما فى حالة تغاير ظروف عملية الكشف حيث يكون الموقف اللغوى وصياغة الأفكار التى تدور فى ذهن الشخص

تمت كتابته فى ظروف ثقافية واجتماعية مغايرة ، لظروف الشخص الذى يسعى لفهم معانى ودلالات الأسلوب ، هنا لايكون فهم المعنى مباشر ، لما يتضمنه الأسلوب من معانى ورمزية مغايرة لما هو شائع • وهنا يحتاج الأمر لترجمة الكلمات وكشف المضمون ومايكتنفه من غموض ، بمعنى قراءة الأسلوب بسياق عصره ، وترجمة معانى كلماته بسياق العصر ومحيطه الاجتماعى والثقافى الذى أفرز هذه الصياغة •

فالبدوى الذى يمدح الأمير بقوله :

أنت كالكلب فى حفاظك للعهد وكالتيس فى قراع الخطوب

قد عكست صياغته ظروف البادية ، وحياة الرعى ومن ثم يتطلب فهم المعانى والدلالات الرمزية لأسلوب ربط مفرداته ومعانيها وتركيب صياغته بالسياق الثقافى والاجتماعى لعملية الصياغة ، وألا ينظر اليها الآن على أنها صياغة غير ملائمة للموقف لأن الأسلوب والصياغة افراز عصرها ووليدة سياقها • وذلك مايؤكد اختلاف أسلوب البدوى وصياغته اللغوية من حيث المفردات والتراكيب بعد تشرب معطيات حضارة بغداد (١) حيث جاءت صياغته فى موقف مماثل متمثلة فى قوله :

عيون المهاين الرصافة والجسـد جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

فالسياق الثقافى والاجتماعى قد طبع تأثيره الواضح على الأسلوب من حيث المفردات والصياغة •

واذا كانت فنون اللغة المختلفة من شعر ونثر وقصة وخطابة ••• الخ قد أسهمت بصورة أو بأخرى فى تطور الأسلوب •

فان كل فن من فنون اللغة تلك يتأثر بسياق الواقع والمواقف التى تطرح فيه ، فالسياق الحضارى وسياق الموقف الاجتماعى يحدد الى درجة كبيرة انتقاء المفردات والجمل وماتتضمنه من محسنات لفظية ومعنوية (٢) وماتماثل الأساليب اللغوية بين

---

(١) دكتور على عبدالواحد وافى ، اللغة والمجتمع ، القاهرة ، دار الكتب العربية ، ١٩٥١، ص ١٠ •

(٢) دكتور على عبدالواحد وافى ، فقه اللغة ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ص ٢٣٤ •

العديد من اللغات الا دليل حى على ماعليه الواقع الثقافى والاجتماعى ، وتأثيره على الصياغة اللغوية ، كما أن تماثل الظروف والأحوال والمواقف تفرز صيغاً وأساليب متماثلة أيضاً • وكذلك النسبية الثقافية واختلاف الأحوال الاجتماعية بين بعض النماذج الاجتماعية قد حالت دون التماثل المطلق بين أساليب اللغات المختلفة • وبذلك يكون تماثل الأساليب وتقاربها على هذا النحو قرينة بينة على ارتباط الأحوال والظروف الحضارية بصياغة الأسلوب وقد أدى ذلك بدوره لارتباط تطور الأسلوب والدلالة اللغوية بالاحتكاك والاتصال الثقافى بين الحضارات المختلفة •

(ثانيا) تطور الدلالة اللغوية :

لاحظ دارسو اللغات أن اللغات عرضة للتغير المستمر على مدار الحقبات التاريخية المتعاقبة ، وان هذه التغيرات تشمل مدلول الألفاظ والأصوات ، والتراكيب اللغوية ، وصيغ الكلمات والأساليب اللغوية الدارجة الاستعمال ومعانيها ، وذلك ماجعل « دى سوسير » يهتم بالدراسة التاريخية للغة عندما تناول قضية المعنى ، وأكد على أهمية دراسة المعنى الذى تدل عليه الألفاظ والصيغ اللغوية من عصر لعصر ، وعما اذا كانت هذه الدلالة تستمر أم تنقطع ليحل محلها دالة أخرى لا تستخدم اللفظ والأسلوب فى المواقف المختلفة ، وبالنسبة لاحداث التعبير ، ومدلولات الصياغة اللغوية حولها على مستوى فنون اللغة المختلفة • .

واذا كان الأسلوب بمثابة وسيلة تعبيرية تبرز المقارنات العاطفية والارادية والجماعية والنفسية والاجتماعية على نحو ماذهب « شارل بالى » Charles Bally و « شارل » بذلك يؤكد على تأثير السياق الثقافى والاجتماعى على نحو ماذهب أستاذه « دى سوسير » بالنسبة لفاعلية المحيط الاجتماعى وتأثيره على اللغة • واذا كان الأسلوب يبرز المفارقات النفسية والاجتماعية الجمالية ••• الخ (١) فان ذلك يؤكد

---

(١) دكتور عبدالسلام المسدى ، الأسلوبية والأسلوب ، تونس ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٢ ، ص ٤١ •

بدوره فاعلية الواقع وأثره على التطور الدلالى للأسلوب وذلك لأن المعانى تتحدد من خلال علاقتها بالألفاظ والمعانى التى يخلعها المحيط الثقافى للمجتمع على الأسلوب والتراكيب اللغوية ٠

فلو أخذنا العبارات الشائعة الاستخدام فى التعامل اليومى مأخذاً لغوياً لاختلف معناها تماماً عن المعنى الذى تستخدم من أجله فى سياق الكلام والموقف ذاته ٠ وذلك مثل عبارة : ماذا تعمل ، كيف حالك ، وصباح الخير ، يلعب بالبيضة والحجر ، اضافة الى الأمثلة والأقوال المأثورة ومايرتبط بها من دلالة رمزية ترتبط بالمحيط الثقافى والاجتماعى وذلك مثل : العين ماتعلاش على الحاجب ، الميه ماتطلع العالى ، فهناك في كل ثقافة عبارات وتفوهات لغوية كثيرة لانفهم معناها الحقيقى الا اذا ربطناها بسياقها الثقافى الاجتماعى ، والمعنى الذى يخلعه عليها ٠ ومن ثم يتأكد أن التطور الدلالى للأسلوب يتأثر الى حد كبير بالتغير الاجتماعى والثقافى للمحيط الحضارى للغـــة ٠

وقد أكد « فيجوتسكى » فى مؤلفه « التفكير واللغة » أن معنى الكلمة لايتحدد بشىء واحد بعينه ، اذ أن هذا المعنى تبلوره الخبرة الاجتماعية ، والنشاط العملى والاجتماعى للانسانية ٠

كما أن مايسود المجتمع من تطورات ، وعلم ، ولغة يمثل نظاماً للمعانى ٠ واذا كان الانسان يعيش وينمو فى السياق الاجتماعى ، فانه يستوعب معانى جاهزة بلورها سياق المجتمع وثقافته ومن ثم يعتبر وعى الانسان الفردى بطبيعته وعياً اجتماعياً ٠ ورغم أن المعنى ينتمى الى مجموعة الظواهر الاجتماعية الموضوعية ويوجد كحقيقة اجتماعية ، الا أن وجود هذا المعنى يعكس حقيقة الوعى الفردى كحقيقة سيكولوجية(١) ٠ وذلك مايؤكد المصاهرة النفسية والاجتماعية فى السلوك اللغوى

---

(١) فيجو تسكى . ل . س،التفكير واللغة (ترجمة) ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦، ص ٥٧ ٠

للشخص ٠

وبذلك يتأكد بجلاء أن معنى الكلمة ، تحدده الخبرة الاجتماعية والثقافية والشخصية للفرد ٠ وأن هذا المعنى يتجسد فى موقف الكلام كحقيقة اجتماعية وثقافية ونفسية ، وبذلك يخضع نمو معانى الكلمات لنمو وعى الفرد فى الواقع الاجتماعى والثقافى المتغير ، ومايخلعه من تأثيرات على مفردات اللغة من حيث نموها ، وتغير معناها ، ودلالتها الاجتماعية والثقافيـــة ٠

* * *

الفصل الخامس
اللغـات وتفـرع فصائلها

* اللغة وتفرعها ٠
  - نشأة اللغة كظاهرة اجتماعية ٠
  - فصائل اللغات ٠
* عوامل تفرع الفصائل اللغوية ٠
  - هجرة اللغات وانتشارها ٠
  - ضعف اللغات الأم أمام اللهجات المتفرعة عنها ٠

الفصل الخامس
اللغات وتفرع فصائلها

تمهيد :

خضعت اللغة فى نشأتها وتطورها وتشعبها الى فصائل للعديد من العوامل والظروف الاجتماعية والثقافية والطبيعية ٠

واللغة فى ذلك شأنها شأن ظواهر المجتمع الأخرى الاقتصادية والسياسية والتربوية ، والعائلية ، والتى تتسم بخصائص عامة أساسية تتمثل فى :-

- ان اللغة لم تأتى لارادة فرد بعينه ، وانما خلقتها طبيعة الاجتماع والتفاعل البشرى ٠ وكون اللغة وليدة التفاعل الاجتماعى بين الأفراد فانها بذلك نتاج العقل الجمعى ٠

- ان اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية فهى ملزمة فى قواعدها وأصواتها ودلالة مفرداتها ٠ فلايجوز للفرد الخروج على قواعدها ، واستخدامه لكلماتها ، والعبارات والصيغ اللغوية المرتبطة بها ، والدلالات التى ترمى اليها مفرداتها ٠

- وأنها فى تطورها خضعت لتأثير عوامل كثيرة ثقافية واجتماعية وعرقية وفردية ٠٠٠ الخ وتراكمت عبر التاريخ بحيث لانحس بتلك التغيرات ، وانما نتمثلها بصورة تلقائية ٠

- تشكل اللغة فى المجتمع نظاماً عاماً يخضع الأفراد له وينصاعون لأحكامه، ويتبعونه فى تفاعلهم وتفاهمهم مع بعضهم ٠

- مع أن اللغة ترتبط بالظواهر الاجتماعية الأخرى وتتأثر بها وتؤثر فيها الا أنها تتأثر أيضاً بعوامل وظروف أخرى فسيولوجية ونفسية وجغرافية ٠٠٠ الخ ٠ مع ذلك يظل تأثير الظواهر الاجتماعية عليها وتأثرها بها فى المحل الأول ٠ وذلك لأنها اتسمت بعمليات الهجرة والاحتكاك ، والصراع اللغوى ، فضلاً عن تفاعل اللهجات

والتنوعات الاجتماعية والثقافية ، وعمليات الاتصال بين اللغات فهذه جميعها تمارس تأثيرها على اللغات ٠

هذا فضلاً عن عمليات تحديث المفردات ، والأساليب اللغوية ، ومايصاحبها من اثراء اللغة وتطورها ٠

وفى ضوء ذلك نعالج فى هذا الفصل الموضوعات التالية :

- اللغــة وتفرعها ٠
- عوامل تفرع الفصائل اللغوية ٠

أولا : اللغــة وتفرعها

١ - نشأة اللغة كظاهرة اجتماعية :

لاحظنا سلفاً كيف تعددت الاتجاهات فى تفسير نشأة اللغة وكيف اختلفت الآراء حول العوامل التى أدت لظهور اللغة ، ونشأتها لدى الجنس البشرى ٠

فمنهم من ردها الى الالهام الالهى الذى حط على الانسان وعلمه النطق وأسماء الأشياء ٠ ومنهم من أكد على الموهبة الانسانية وفاعليتها فى نشأة الألفاظ واللغة ٠ ومنهم من أرجع نشأة اللغة الى غريزة التعبير الطبيعى عن الانفعالات ٠ وذهب البعض الآخر الى جعل التقليد الصوتى للأصوات الطبيعية عاملاً أساسياً لنشأة اللغة ٠ فى حين أكد لفيف من العلماء على الأصوات الجماعية أثناء العمل المشترك والصيد المشترك باعتبارهما مصدراً لظهور اللغة ٠ ثم ذهب البعض الى أن مخ الانسان يشتمل على مركز للكلام ، ومركز لحفظ الأصوات ، ومركز للكلمات المرئية مما أدى الى نشأة اللغة عند الانسان فى حين أن البعض الآخر أرجع ابتداع اللغة واستحداثها للتواضع والاتفاق وارتجال الألفاظ ٠

ومع كل هذه التوجهات فقد ظهر الاتجاه الشمولى الذى يؤكد أن أى من هذه العوامل يؤدى الى نشأة اللغة ولكن بعضاً منها أو كلها تعمل معاً على نشأة اللغة ٠

ومع كل ذلك تظل اللغة ظاهرة اجتماعية شأنها شأن الظواهر الاجتماعية

الأخرى تخضع فى نشأتها وتطورها لعوامل وظروف اجتماعية ارتبطت بالمجتمع البشرى والتفاعل الاجتماعى بين الأفراد ٠

٢ - فصائل اللغة :

اهتم العلماء بدراسة فصائل اللغات وشعبها ٠ فمنهم من صنفها حسب تطورها ورقيها ٠ ومنهم من صنفها على أساس اتصالات القرابة اللغوية فى أصول الكلمات ، وقواعد البنية ، وتحليل الجمل والتنظيم ٠ واستند لفيف آخر من العلماء فى تقسيم اللغة على أساس صلة القرابة اللغوية بين المفردات ، والبنية والتنظيم ٠ ولكل من هذه الاتجاهات فى تصنيف فصائل اللغات وتحديد شعبها مزاياه والتى تتجسد فى الوقوف على شجرة اللغات ومعرفة اللغات الأم واللغات المتفرعة عنها ٠

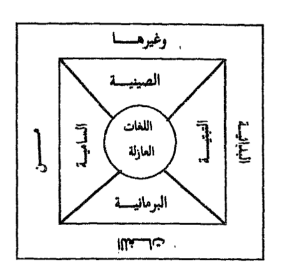
(أ) تصنيف اللغات حسب تطورها ورقيها :

تشكل نظرية العلامة الألمانى « سليجيل » Schlegel محور هذا الاتجاه الذى قسم اللغات الى ثلاثة فصائل رئيسية هى :

(أولاً) اللغات غير المتصرفة أو العازلة :

يتسم هذا التقسيم اللغوى من ناحية البنية بأن كلماته غير قابلة للصرف فلاتتغير البنية ، ولايلصق بالأصل حروف وذلك لأن كل كلمة تلازم صورة واحدة وتدل على معنى ثابت لايتغير ٠ كما أن هذا التقسيم اللغوى يتميز من حيث التنظيم بعدم وجود روابط بين أجزاء الجملة للدلالة على وظيفة كل منها وعلاقته بماعداه ٠ ومن أمثلة هذه اللغات اللغة الصينية ، والبرمانية ، والسامية ، والتبتية وغيرها من اللغات البدائية ٠

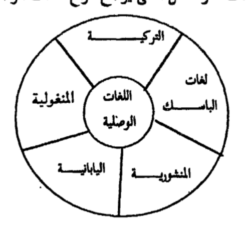
والشكل التالى يحدد اللغات التى يشتمل عليها هذا القسم ٠



وتعكس هذه اللغات ماكانت عليه اللغة فى أول أمرها ٠

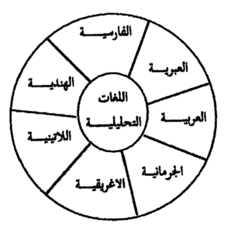
(ثانياً) اللغات اللصيقــة أو الوصليـــة :

ارتقت اللغات بحيث أصبحت لصقية أو وصلية من ناحية البنية والتنظيم ٠ حيث أن تغير معنى الأصل وعلاقته بماعداه من أجزاء الجملة يشار اليها بحروف تلصق به كسابقة أو لاصقة ومن أمثلة هذه اللغات اللغة التركية والمنغولية والمنشورية واليابانية ولغات الباسك ٠ والشكل التالى يوضح أنواع اللغات الوصلية ٠



(ثالثاً) اللغات المتصرفة أو التحليلية :

عند النظر لتلك اللغات من حيث البنية أو مورفولوجيتها نجد أن معانى كلماتها تتغير بتغير بنيتها • أما من ناحية التنظيم فتتصل أجزاء الجملة ببعضها بروابط مستقلة (أى زيادتها عن أجزاء الكلمة) • ومن أمثلة هذه اللغات (الفارسية ، الهندية ، اللاتينية ، الاغريقية ، الجرمانية ، العربية ، العبرية) • والشكل التالى يوضح اللغات التحليليــــة •



وهذه اللغات لم تصل الى مرحلة اللغات المتصرفة الا فى آخر مرحلة من مراحل الرقى اللغوى •

(ب) تصنيف اللغات على أساس صلة القرابة اللغوية :

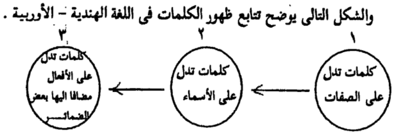
ثمة اتجاه واضح بين بعض علماء اللغة أمثال «ماكس مولر» (١) والعلامة الألمانى « بونسن » (٢) Bunesn لتصنيف اللغات على أساس صلة القرابة اللغوية فى المفردات ، والبنية والتنظيم • وهذا الاتجاه يؤكد على أن الكلمات التى تدل على

---

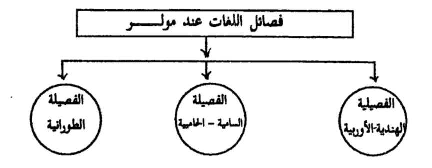
(١) ظهر تصنيف اللغات عند « ماكس مولر » فى بحثه بعنوان :- Letter on The Classific-ation of the Turanian Languages وفى مؤلف العلامة الألمانى « بونسن » Bunesn بعنـــــوان Outlines of the Philosphy of Universal History

الصفات قد ظهرت أولاً ، ثم ظهرت بعد الصفات الكلمات التى تدل على الأسماء، ثم ظهرت الأفعال بعد الصفات والأسماء مضافاً اليها بعض أصوات من ضمائر وذلك مالمسه أيضاً أنصار هذا الاتجاه فى اللغة الهندية الأوربية •

والشكل التالى يوضح تتابع ظهور الكلمات فى اللغة الهندية - الأوربية .



وعلى أساس صلة القرابة اللغوية بين المفردات والبنية والتنظيم - قسم « مولر » اللغات الى ثلاثة فصائل أساسية تمثلت فى الفصيلة الهندية - الأوربية ، الفصيلة السامية - الحامية ، والفصيلة الطورانية وذلك مايوضحه الشكل التالى :



وفيما يلى نعرض لكل فصيلة من فصائل اللغة تلك من حيث تشعبات كل منها الى فروع •

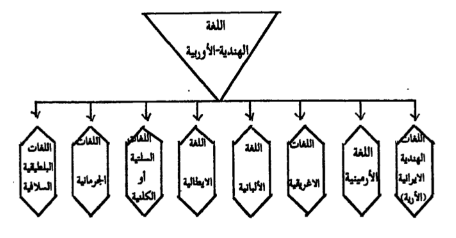
(أولاً) الفصيلة الهندية - الأوربية :

وتعتبر هذه الفصيلة من أقدم اللغات وأعلاها شأناً فى أوربا وقد تفرعت هذه الفصيلة الى مجموعات لغوية مختلفة منذ حوالى ٢٠٠٠سنة قبل الميلاد وهى ليست

مدونة ولكنها استخلصت من اللغات المتفرعة عنها حيث أن لها صلة وثيقة باللغات المتفرعة عنها ·

وتتشعب هذه الفصيلة اللغوية الى ثمانى لغات تخص كل منها مجموعة بشرية من الجماعات التى سكنت بعض مناطق آسيا وأوربا ·

والشكل التالى يوضح اللغات المتفرعة من الفصيلة الهندية – الأوربية ·

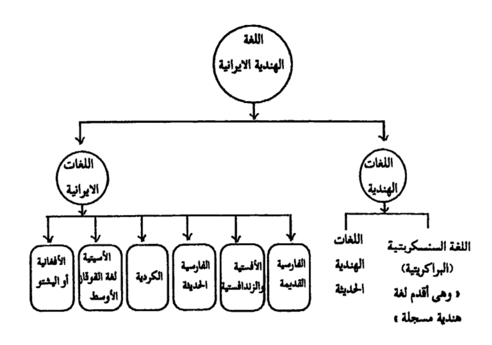


وكل من هذه اللغات تتشعب بدورها الى فروع لغوية تخص كل منها جماعة بشرية معينة وذلك على النحو التالى :

(أ) اللغة الهندية – الايرانية « اللغات الآرية » :

وتضم شعبتين هما : اللغات الهندية – اللغات الايرانية

وتضم كل شعبة مجموعة من اللغات يوضحها الشكل التالى :



وتعتبر اللغة السنسكريتية من أقدم لغات الهند المسجلة ٠ وقد درس هذه اللغة «سير وليم جونز» عام ١٧٨٦ ٠ وبالنسبة لشعبة اللغات الايرانية فقد كان يسميها بعض العلماء باللغة الآرية وكانوا يحصرونها فى هذه الشعبة رغم أن البعض الآخر كان يطلقها على جميع شعب اللغة الهندية - الأوربية ٠

(ب) اللغات الأرمينية :

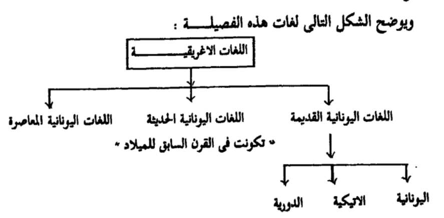
وينطق بهذه اللغة الجماعات السكانية التى يطلق عليهم الأرمن وهم الذين يقيمون فى أرمينيا وينتشر بعض هذه الجماعات الآن فى بعض المناطق من أسيا وأوربا وجاليات قليلة منهم فى بعض دول شمال أفريقيا ٠

(جـ) اللغات الاغريقية :

وتضم هذه الفصيلة مجموعة لغات تتمثل فى :

- اللغات اليونانية القديمة - اللغات اليونانية الحديثة - اللغات اليونانية المعاصرة.

ويوضح الشكل التالى لغات هذه الفصيلـــة :



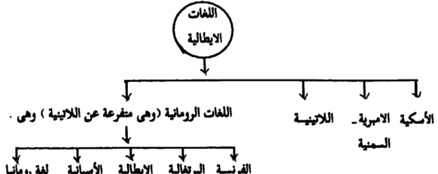
وبالنسبة للغات اليونانية الحديثة فقد تشكلت فى القرون السابقة للميلاد وتم تشكيلها على أنقاض اللغات اليونانية القديمة .

(د) اللغات الألبانيـة :

وينطق بهذه اللغات الجماعات البشرية التى تقيم فى المناطق الألبانية والتى يطلق عليها الآن دولة ألبانيا .

(هـ) اللغة الايطالية :

وتشتمل هذه اللغات على مجموعة من الفصائل اللغوية يوضحها الشكل التالى:

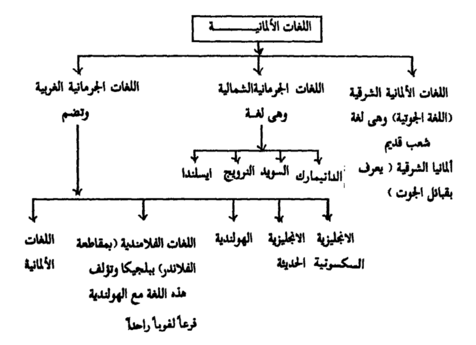


(و) اللغات السلتية (أو الكلتية) : وقد كانت لغات شعوب السلت والكلت.

وقد طغى على هذه الشعبة اللغوية الآن اللغات الفرنسية والانجليزية والأسبانية وبقى منها بعض الأشكال اللغوية تظهر فى كثير من اللهجات المسجلة فى كل من : أيرلندا وويلز ومنطقة البريتون غرب فرنسا .

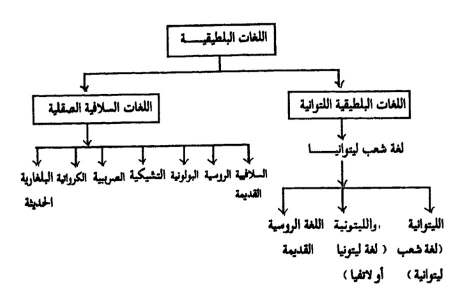
(ز) اللغات الألمانية :

وتضم هذه الشعبة ثلاثة فصائل يوضحها الشكل التالى :



(ح) اللغات البلطيقية السلافية :

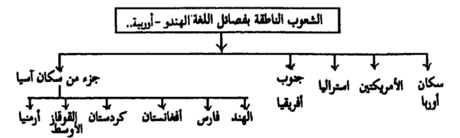
وتضم هذه اللغات شعبتين أساسيتين يوضحهما الشكل التالى :



وقد تضاربت الأقوال بالنسبة لنشأة اللغة الهندو - أوربية.فمنهم من يقول بأنها نشأت فى أوربا الشرقية (المناطق الروسية) ومنهم من يقول بأنها نشأت بمناطق بحر البلطيق .

وأى كانت مناطق نشأتها فانها تعتبر من أكثر اللغات انتشاراً حيث يتكلم بها العديد من شعوب الأرض فى كل من : أوربا وأمريكا واستراليا وجنوب أفريقيا وجزء كبير من سكان آسيا . ماعدا السكان الأصليين للأمريكيتين واستراليا وجنوب أفريقيا.

والشكل التالى يوضح الشعوب التى تتكلم بتلك اللغة .



(ثانيا) الفصيلة اللغوية الثانية (الحامية - السامية) :

تضم الفصيلة (الحامية - السامية) مجموعتين من اللغات هما : اللغات الحامية ، واللغات السامية ٠

ورغم أن المنطقة التى تشملها الفصيلة الحامية-السامية تنحصر فى بلاد العرب، وشمال أفريقيا وجزء من شرقها ٠ وهى بذلك محدودة بالقياس الى اللغة الهندية-الأربية والتى تشغل أوربا والأمريكتين واستراليا وجنوب أفريقيا وقسماً كبيراً من آسيا ٠ رغم ذلك فان مجموعة اللغات الحامية من هذه الفصيلة لاتحظى بوجود قرابة لغوية حيث تتمايز اللغة المصرية عن اللغة البربرية والكوشيتية ونفس الشىء يقال بالنسبة لكل من اللغة البربرية والكوشيتية ٠

من حيث أن مجموعة اللغات السامية والتى تتضمن اللغات السامية الشمالية واللغات السامية الجنوبية يجمع بينها كثير من الصفات المشتركة وخاصة مايتعلق منها بأصول الكلمات والأصوات ومخارج الحروف وقواعد الصرف والتنظيم وذلك ماجعل البعض ينظر اليها على أنها لهجات للغة واحدة ٠

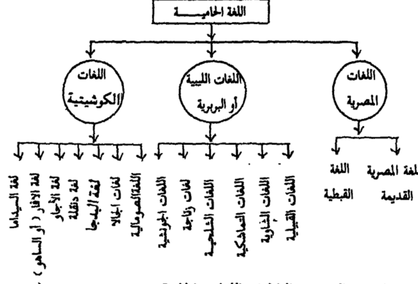
أ - مجموعة اللغات الحامية والشعوب الناطقة بها :

تضم هذه المجموعة الشعب اللغوية المتمثلة فى اللغات المصرية ، واللغات الليبية أو البربرية واللغات الكوشيتية ولكل منها جماعات بشرية تنطق بها .

(أولاً) مجموعات اللغات الحامية :

وتضم الللغات الحامية مجموعات اللغات المصرية ، اللغات الليبية واللغات الكوتشينية ٠

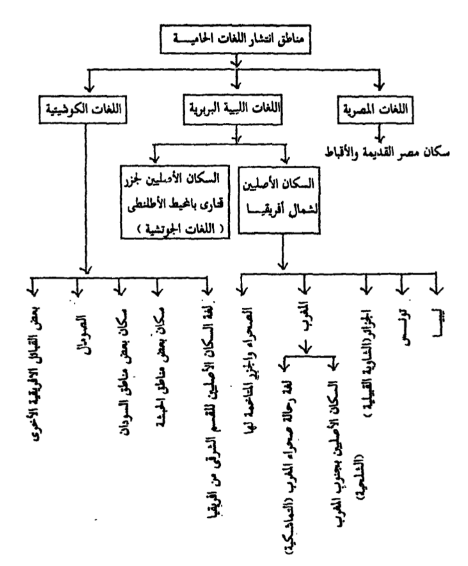
والشكل التالى يوضح مجموعة اللغات الحامية والشعب المتفرعة منها٠



(ثانيا) الشعوب الناطقة باللغات الحامية :

تنتشر اللغات الحامية لدى الشعوب المصرية والسكان الأصليين لشمال أفريقيا، والسكان الأصليين لجزر قناريا بالمحيط الأطلنطى وفى الشمال الغربى من الصحراء الكبرى اضافة الى سكان القسم الشرقى من أفريقيا وبعض مناطق السودان وبعض سكان الحبشة ٠

والشكل التالى يوضح الشعوب الناطقة باللغات الحامية ومناطق انتشارها ٠



ومما يميز مجموعة اللغات الحامية عدم وجود أوجه شبه بين شعبها الثلاث (المصرية ، البربرية ، الكوشيتية) ٠وكذلك عدم تلمس أية صلات أو قرابة لغوية من حيث أصول المفردات أو التنظيم والصرف ٠٠٠ الخ ٠

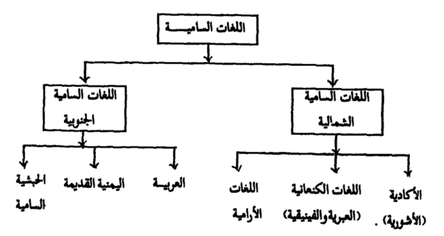
ب - مجموعة اللغات السامية :

تتميز اللغات السامية بتوفر كثير من السمات المشتركة فيما بينها من حيث أصول الكلمات والأصوات ومخارج الحروف وقواعد الصرف والتنظيم ٠

ورغم وضوح الاتجاه لتأكيد انحدار الأمم الناطقة باللغة السامية من أصل واحد الا أن هناك بعض الشواهد التى تؤكد أن معظم شعوب الحبشة الناطقة بلهجات السامية منحدرة من أصول غير سامية وأن اللغة انتقلت اليها عن طريق النازحين اليها من الساميين كما أن كثيراً ممن كانوا يتحدثون الأكادية والعبرية والأرامية منحدرون من أصول غير سامية ٠ وأن اللغة السامية انتقلت اليهم عن طريق مخالطة الساميين وسيطرتهم على مناطق تلك الجماعات ٠

وتتضمن مجموعة اللغات السامية شعبتين أساسيتين هما (اللغات السامية الشمالية ، واللغات السامية الجنوبية) ٠

والشكل التالى يوضح مجموعة اللغات السامية وتشعباتها ٠



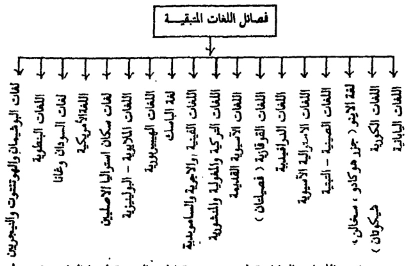
وتؤكد الشواهد التاريخية أن اللغات السامية قد تغلبت على مجموعات اللغات الأخرى المصرية والبربرية والكوشيتية وسادت فى كثير من مناطقها • كما أن اللغات السامية قد تداخلت مع بعضها فى صراعات دامت طويلاً • وقضى بعضها على البعض الآخر فكان صراع اللغة الآرامية مع اللغات الأكادية والكنعانية والعبرية ، وصرعتها فى فترات مختلفة وتغلبت أيضاً على اللغة الفينيقية فى آسيا • ثم دار نوع آخر من الصراع بين اللغة العربية واللغات اليمنية القديمة وصرعتها فيما عدا بعض المناطق المعزولة • ثم دخلت العربية فى صراع مع اللغة الأرامية فى الشرق والغرب وصرعتها فى القرن الثامن الميلادى تقريباً • ولم يفلت منها الا بعض المناطق المنعزلة•

وامتد نفوذ العربية الى اللغة الحامية فى بعض المناطق وصرعتها كما حدث فى معظم الدول التى نطق سكانها باللغة الحامية وامتد نفوذ العربية الى مناطق ولغات أخرى فى الهند وتركيا وأندونيسيا وتركت بعض بصماتها على تلك اللغات •

(ثالثا) فصيلة اللغات الطورانية :

تطلق هذه الفصيلة فى منظومة « ماكس مولر » والعلامة الألمانى « بونسن » على اللغات الآسيوية والأوربية والافريقية التى لاتندرج ضمن الفصيلتين السابقتين • وهى لغات لاتربطها أية صلات قرابة كما أنها لاترجع الى أصول مشتركة فيما بينها• وهى اللغات (التركية، والتركمانية ، المغولية ، والمنشورية ، والفينية •• الخ) •

ونظراً لعدم وجود أساس منطقى يستند اليه تصنيف هذه الفصيلة فقد عدله علماء اللغة من المحدثين من هذه التسمية وقسموا اللغات التى لاتندرج ضمن الفصيلتين السابقتين الى مجموعات وفصائل على أساس التشابه والصلات القائمة فيما بينهما اضافة الى الناطقين بها • وعليه جاء تقسيم جمعية علم اللغة بباريس لهذه اللغات التى تقع خارج نطاق الفصيلتين الهندو/- أوربية ، الحامية السامية • وقد جاء هذا التصنيف المستحدث لتلك اللغات متضمناً تسعة عشر فصيلة يوضحها الشكل التالى :



- وتتواجد اللغات اليابانية فى مجموعة الجزر التى يقطنها اليابنيون وينطق باللغات الكورية سكان شبه جزيرة كوريا الواقعة بين اليابان والبحر الأصفر • وينطق بلغة الأينو الآن سكان جزر هوكادو ، وساخالين وشيكوتان (هى جزر تابعة لليابان ، وتسيطر على الآخرتان منها الآن روسيا حيث تطالبها اليابان باستردادهما •

- أما بالنسبة للغة الصينية - التبتية فهى تضم اللغات الصينية ولهجاتها ، والتبتية والبرمانية والسيامية (أى لغة سيام) •

- وبالنسبة للغة الاسترالية الآسيوية فتطلق على : شعبة اللغات الأنامية (سكان أنام الهند الصينية) ، واللغات المونزية أو الكولارية من أقدم لغات الهند ، واللغات المونكهمرية ويتكلم بلهجاتها سكان منطقة اسام وغيرها •

- وبالنسبة للغات الدرافيدية كان ينطق بها سكان جنوب الهند قبل أن يهاجر اليها الأوربيون •

- اللغات القوقازية وتشمل فصيلتين (فصيلة اللغات القوقازية الشمالية وتتضمن لغات الساموربة والارتسية والاديغية• الخ) (وفصيلة اللغات القوقازية الوسطى وتضم الجيورجية واللازية •• الخ) •

– أما فصيلة اللغات الأسيوية القديمة فهى لغات غير سامية ولاهندو أوربية وكان يتكلم ببعضها سكان مملكة ميزوبوتاميا ، التى أسست قديما بين دجلة والفرات. ويتكلم بالبعض الآخر منها بعض السكان فى آسيا الصغرى ، وبعض مناطق البحر الأبيض المتوسط . وفى بعض أجزاء من ايطاليا ومن لغاتها (السومرية) .

– أما اللغات الفينية والأجرية والساමويدية يتكلم بها سكان الحوض الأوسط من نهر الفولجا .

ويدخل فى الفينية اللغات الفيلندية والاستونية والبلغارية القديمة . ويدخل فى اللغة الأجرية . .

– اللغات اللابونية (لها بقايا فى السويد والنرويج .. الخ) واللغات الهنغارية.

– وتتشعب السامويدية إلى الأستياكية والبوراكية والتافجوية .

– وينطق بلغة الباسك الباسكيون فى منطقة جبال البرانس الغربية في أسبانيا وفرنسا وبعض مناطق أسبانيا وفرنسا الآخرى . كما يتكلم بها بعض المهاجرين من الباسكيين الى أمريكا .

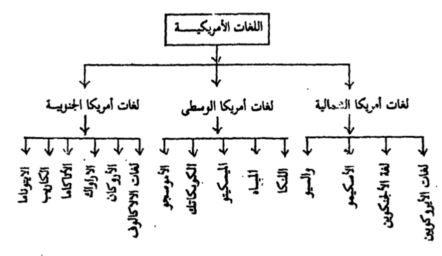
– اللغات الهيبربورية وهى تنتشر فى سيبيريا والمناطق المتجمدة الشمالية . وتضمن هذه المجموعة اللغوية اللغة اليوكاچيرية والتشوكتشية ، والكورياكية .

– أما اللغات الملايوية – البولينيزية فينطق بها طائفة فى كثير من سكان جزر المحيطين الهندى والهادى . وتضم هذه اللغات شعب اللغات التالية : (اللغات الأندونيسية ، واللغات الميلانيزية ، وشعبة اللغات الميكرونيزية وتنتشر فى جزر ميكروينزيا وهى جزر جلبر ، مرتال ، كارولين ، ماريان) واللغات البولينيزية التى ينطق بها سكان جزر بولينيزيا . وشعبة لغات البابو وينطق بها سكان غينيا الجديدة والجزر المجاورة لها .

– واللغات الأمريكية : وهى التى يتكلم بها سكان أمريكا الأصليون

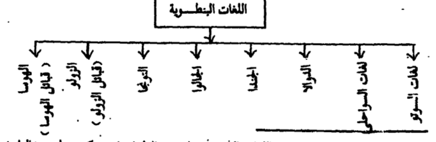
(الهنود الحمر) (۱) ٠

ويوضح الشكل التالى شعب اللغات الأمريكية :



- وعن لغات السودان وغانا فهى لغات غير سامية ولاحامية وهى تبلغ ما يقرب من ٤٣٥ لغة قسمها بعض العلماء الى ست عشرة شعبة

- أما اللغات البنطوية فيتكلم بها سكان القسم الجنوبى من أفريقيا وتقع على الساحل الشرقى لأفريقيا وتمتد حتى الصومال وتقع أيضاً على الساحل الغربى وتمتد حتى (الكاميرون) وتضم هذه الفصيلة مجموعة لغات يوضحها الشكل التالى :



(۱) لمزيد من التفصيل حول شعب اللغات التى عرضها بعض العلماء راجع دكتور على عبدالواحد والى ، علم اللغة ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ٠

أما لغات البوشيمان والهوتنتوت والنيجريين وهى من القبائل الأفريقية الجنوبية ٠

والواقع أن مجموعة هذه اللغات التسع عشرة تشكل اللغات البدائية للانسان رغم ماطرأ على بعضها من نمو ٠ وينطق بالبعض من تلك اللغات ملايين عديدة مثل اللغات اليابانية والصينية والكورية ٠٠ الخ والتى راج تداولها آخر الأمر فى ظروف التقدم التكنولوجى للشعوب الناطقة ببعض تلك اللغات ٠

ثانياً : عوامل تفرع الفصائل اللغوية :

خضعت اللغات فى تفرعها وتشعب فصائلها الى عوامل وظروف متنوعة منها ماهو مباشر مثل عوامل الانتشار اللغوى والاحتكاك اللغوى ، وصراع اللغات ٠ ومنها ماهو غير مباشر وهى العوامل التى عززت العوامل المباشرة لتفرع الفصائل اللغوية مثل العوامل الطبيعية ، والعوامل الاجتماعية ، والعوامل الثقافية ٠ ونظراً لأهمية العوامل التى أفضت الى العوامل المباشرة لتفرع الفصائل اللغوية فسوف نتناولها فى علاقتها بالصراع والاحتكاك والانتشار اللغوى باعتبارها عوامل مباشرة لتفرع الفصائل اللغوية وتشعبها ٠

١ - أثر هجرة اللغات وانتشارها على تفرع الفصائل اللغوية منذ أن تكونت الجماعات البشرية وهى تعمل على ايجاد وسيلة للتفاهم والتفاعل بين أعضائها ومنهم من استخدم بعض الأصوات للتفاهم ومنهم من استخدم الاشارات ، ومنهم من ساعدت عوامل ارتقائه على استخدام لغة الكلام ثم تطور الحال ببعض تلك الجماعات البشرية فاستخدمت اللغة كلاما وكتابة ٠

وقد كان لتنوع الجماعات البشرية وانتشارها فى مناطق واسعة ومختلفة من حيث التضاريس والطقس ، والثروات ،كان لذلك أثره الواضح فى تنوع تلك اللغات وتباينها ٠

كما أن تزايد حجم الجماعات البشرية وتفاوت ثقافتها واختلاف نشاطها قد أدى بدوره الى تفاوت لهجات تلك الجماعات بالنسبة لكل لغة من لغات تلك

الشعوب ٠

وقد كان لهجرة بعض تلك الجماعات ونزوحها لبعض المناطق التى تتوفر فيها فرص العيش قديماً أثره الواضح على احتكاك لهجات بعض تلك الجماعات ببعض اللغات الأخرى ، وتعرضها الى التأثير والتأثر ، وبالتالى ابتعادها عن اللغة الأم التى تفرعت عنها كلهجة محلية مشكلة بذلك شعبة لغوية قائمة بذاتها ٠

وذلك ماحدث للعديد من اللغات القديمة مثل اللغة الهندو - أوربية ، واللغة السامية - الحامية وغيرها من اللغات البدائية التى لاتندرج ضمن هاتين الفصيلتين على نحو ما أوضحنا فى البند أولاً من هذا الفصل ٠

وقد حظيت بعض اللغات بالانتشار لظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية جعلتها تغزو بعض اللغات فى معقلها أو تجذبها اليها بحكم الاحتكاك بين الجماعات البشرية وذلك ماحدث للغات اللاتينية والعربية فى العصور القديمة ، والعصور الوسطى ٠ ونفس الشىء حدث لكل من اللغة الانجليزية والفرنسية والأسبانية والبرتغالية والألمانية فى العصور الحديثة بحكم الكشوف الجغرافية واستعمار بعض الدول وهجرة بعض الجماعات ونزوحها الى الدول الجديدة ٠

وهناك من اللغات مالم يتاح لها فرصة الانتشار وقد ظلت حبيسة فى محيط مجتمعها كما هو الحال بالنسبة للغة الحبشة واللغة الفارسية٠

ومازال ظاهرة نزوح اللغات وهجرتها تلعب دورها فى الوقت الراهن من خلال هجرة بعض الجماعات البشرية واستقرارها فى بعض المجتمعات مثل امريكا وكندا واستراليا وغيرها من المجتمعات التى تستقبل وفوداً من المهاجرين اليها والذين يشكلون جاليات بهذه المجتمعات لهم ثقافتهم ، ولهم لغتهم المحلية رغم انصهارهم فى ثقافة المجتمع كشرائح سكانية من سكان تلك المجتمعات حيث تؤثر اللغات السائدة فى تلك المجتمعات على لهجاتهم المحلية فتجعلها تتباعد بصورة أو بأخرى عن لغتهم الأم وبالتالى ، ومع نمو تلك اللهجات فى مجتمعاتهم الجديدة فانها تدخل فى صراع

مع اللغات السائدة وتتأثر بها أو تؤثر فيها من خلال تلك الجاليات • ومع التقدم التكنولوجى الذى حققته بعض المجتمعات وتزايد الاحتكاك بينها وبين المجتمعات الأخرى بدأت لغاتها تنشط وتنال قدراً من الانتشار حتى تشمل تبادل الخبرات الثقافية دون أن تأخذ الشكل التقليدى لانتشار اللغات وهذا مايحدث اليوم بالنسبة للغات اليابانية والصينية •• الخ •

ويخضع الانتشار اللغوى للعديد من العوامل تتمثل فى سيطرة شعب من الشعوب علي شعب أو شعوب أخرى واحتلال لغته للمناطق المهزومة وقهر لغاتها • وانتشار أفراد شعب من الشعوب نتيجة لهجرة أو استعمار مناطق جديدة وتكوين أمم فى تلك الدول وذلك ماحدث بالنسبة للغة الانجليزية التى انتشرت فى أمريكا الشمالية واستراليا وجنوب أفريقيا ••• الخ بعد استعمار البريطانيين لتلك المناطق • يضاف لذلك النمو الطبيعى للجماعات البشرية فى أوطانها وتزايد عدد الأفراد وبالتالى تنشط حركة العمران وتكثر الأقاليم وتتسع المدن ومن ثم تتسع رقعة انتشار اللغة وذلك ماحدث للغة اليابانية والايطالية والفرنسية •

ومع انتشار اللغة بين الجماعات البشرية المختلفة والتى يتزايد عدد أفرادها تأخذ اللغة فى التشعيب نتيجة لتنوع لهجات تلك الجماعات واختلاف فرص احتكاكها باللغات الأخرى الأمر الذى يترتب عليه مع الزمن تشكيل شعب وفصائل لغوية جديدة تظهر فيما بينها صلة القرابة فى بداية الأمر ثم لاتلبث أن تخفت تلك الصلات بعد أن يكتمل نمو تلك الفصائل اللغوية •

وهذا ماحدث فى العصور القديمة للغات الهندو - أوربية أو السامية - الحامية وماتفرع منها من فصائل لغوية • وقد شهدت العصور القديمة الشيء نفسه بالنسبة للغة اللاتينية والتى تفرعت عنها اللغات الفرنسية والايطالية والأسبانية والبرتغالية ••• الخ • كما يشهد عصرنا الحالى تشعب اللغات وتنوعها بالنسبة للغات الأسبانية والبرتغالية والانجليزية والعربية • فقد أصبحت لهجات تلك اللغات غريبة عن بعضها

بشكل ملموس بين الشعوب الناطقة بها ٠

٢ - ضعف اللغات الأم أمام اللهجات المتفرعة عنها ٠

يترتب على انتشار لغة ما فى مناطق متباعدة وبين جماعات بشرية متنوعة النشاط المهنى ومختلفة من حيث المستوى الثقافى والاجتماعى ومتنوعة سلالياً ٠ يترتب على ذلك تولد لهجات محلية مرتبطة بكل منطقة وذلك مانلمسه بالنسبة للغة العربية واللهجات المحلية فى دول الخليج والجزيرة العربية والشام ومصر ودول المغرب حيث يصعب على الناطقين باللغة العربية من مواطنى المناطق المحلية تتبع الحديث بلهجة أى من تلك المحليات ٠

كما قد يترتب على انتشار اللغة بين جماعات اجتماعية وعرقية وثقافية متمايزة ٠ وبين طبقات اجتماعية متفاوتة ظهور لهجات يتم بمجرد سماعها التعرف على الناطقين بها ٠ فمن حيث النشاط المهنى نجد لهجة مجتمع الصيادين على السواحل المصرية يختلف فى لهجته عن الريفيين فى صعيد مصر أو فى شمال مصر وتختلف لهجة الريفيين والصيادين عن لهجة المشتغلين بأنشطة أخرى ٠ وقد يكون اختلاف اللهجة مرتبط بالنشاط المهنى والبيئة المحلية معاً مثل لهجة السوحلية والمشتغلين فى الزراعة والريف ٠

كما تتيح المستويات الاجتماعية والثقافية والوضع الطبقى الفرصة لظهور لهجات اجتماعية متمايزة كما هو حادث فى اللغة العربية بالنسبة للهجة بين الطبقات الراقية فى المجتمع المصرى وطبقة العمال أو الطبقة المتوسطة من سكان المجتمع ٠ وقد يكون ذلك واضحاً فى نطاق مدينة بعينها مثل مدينة القاهرة ٠ ومن الثوابت المشاهدة أن اللهجات المحلية قد تنطوى أيضاً على لهجات اجتماعية ويزداد هذا الأمر وضوحاً عندما تكون مناطق انتشار اللغة متباعدة ومترامية الأطراف ومتنوعة الجماعات التى تقطن تلك المناطق وذلك ماهو حادث بالنسبة للغة العربية حيث تتميز اللهجة المصرية عن اللهجة فى دول المغرب العربى عن اللهجة فى سوريا والعراق

ودول الخليج العربى كما أن اللهجة المصرية تضم أيضاً لهجات مرتبطة بالبيئات المحلية مثل لهجات سكان الريف وسكان سواحل البحر ٠٠ الخ ٠

وقد يؤدى هذا التنوع فى اللهجات المتفرعة عن لغة ما أن تصرع تلك اللهجات اللغة الأم وذلك عندما تبدأ اللهجات فى الانفصال تدريجياً عن اللغة الأم سواء فى المفردات أو الدلالة ٠ وعندما يقوى ساعدها تأخذ فى تطوير قواعدها وبذلك تأخذ فى الاستقلال عن اللغة الأم ، وتعمل للحفاظ على شخصيتها وتبدأ فى العمل على مقاومة التغيير والابتداع فى داخل منطقتها وتأخذ فنونها مثل الشعر والنثر والأدب فى النمو والتطور وذلك بدوره يعمل على تعزيز انفصالها واستقلالها عن اللغة الأم ٠ وذلك ماحدث بالنسبة للغة اللاتينية واللغات التى تفرعت عنها واستقلت وأصبح لكل منها منطقتها الخاصة بها ٠

ورغم تعدد اللهجات فى اللغة العربية فمازالت اللغة الأم محتفظة بنفوذها وحضورها فى مناطق تلك اللهجات ومازالت القواعد تمارس حضورها من حيث البنية والتنظيم ولم تتعرض لتغيرات كثيرة ٠ ومع ذلك فقد أصابها التغير الى حدما من الناحيتين الصوتية والدلالية حيث تختلف الحروف بالنسبة لبعض الكلمات كما أن هناك اختلاف واضح فى دلالة معانى بعض الكلمات ٠ ورغم احتفاظ اللغة الأم بسيطرتها على اللهجات المختلفة نتيجة جعلها لغة الدولة ولغة الكتابة فضلاً عن تقدم وسائل الاعلام واتساع منطقة نفوذها فى المناطق الشاسعة ٠ الا أن الاتجاهات التى تعمل على تدعيم اللهجات المحلية تشكل منافساً لبسط نفوذ اللهجات المحلية وتعزيز عوامل اختلافها وانفصالها عن اللغة الأم والتى تبدأ فى التخلى عن نفوذها تدريجياً الى أن تنفصل تماماً عن اللهجات المحلية وذلك ماحدث بالنسبة للغة اللاتينية وهى احدى اللغات المتشعبة عن اللغة الهندية - الأوربية حيث بدأت تتشعب الى عدد كبير من اللهجات المحلية فى العصور القديمة والوسيطة وظهرت اللهجات الفرنسية والايطالية ٠٠٠ الخ ٠ وقد سلكت كل لهجة من تلك اللهجات سبل التطور والنمو

مع اختلاف منحى كل منها فى هذا الاتجاه حتى انفصلت عن اللغة اللاتينية وتباعدت عن اللهجات الأخرى فأصبحت مستقلة عن اللغة الأم وعن اللهجات الأخرى المتشعبة عنها ·

ورغم أن اللاتينية قد بقيت لغة الأدب والكتابة للشعوب الناطقة باللغات المتشعبة عنها الا أنها تخلت فى نهاية المطاف عن هذا الدور لتلك اللهجات ، وأصبح لكل لغة من اللغات المتفرعة عنها طابعها الخاص والمميز عن اللاتينية واللهجات الأخرى المتفرعة عنها سواء من حيث المفردات أو الدلالة والبنية والتنظيم (القواعد) ·

ورغم تعدد العوامل التى تمارس دورها فى تشعب اللغات وتنوعها · فقد تناولنا هجرة اللغات وانتشارها وضعف اللغة الأم أمام اللهجات المتفرعة عنها باعتبارها من أكثر العوامل التى تنطوى على تفاعل العديد من العوامل الأخرى معها فى التأثير على تشعب اللغات وتنوع الفصائل اللغوى المتفرعة من اللغات الأم · أما بقية العوامل فسوف نعالجها فى فصل لاحق عندما نتناول التنوعات اللغوية واللهجات المحلية والاجتماعية بشىء من التفصيل ·

* * *

الفصل السادس
اللهجات والتنوع اللغوى فى المجتمع

* اللغة والمجتمع ·
* وظائف اللغة ·
* اللغة والطبقة الاجتماعية ·
* اللغة والجماعات العرقية ·
* الاختلافات اللغوية بين النساء والرجال·
* اللغة والسياق الثقافى والاجتماعى ·
* اللغة والأمة ·

الفصل السادس
اللهجات والتنوع اللغوى في المجتمع

تمهيد :

يهتم علم الاجتماع اللغوى بدراسة التنظيم الاجتماعى للسلوك اللغوى فى المواقف الاجتماعية وفى سبيل ذلك يُعنى علم الاجتماع اللغوى بدراسة الكيفية التى تعمل به مجموعة العوامل المتعلقة بالعمر والنوع والطبقة الاجتماعية والسلالة ... وغيرها من العوامل فى تشكيل الكلام الذى يتم فى المواقف الاجتماعية بين الناس .

وقد أكد علماء اللهجات على أساس الارتباط بين لهجات المتحدثين فى المجتمعات المحلية ، وبين معالم البيئة الجغرافية ، وتباعد المسافات بين تلك المجتمعات المحلية ، والطبقة الاجتماعية ، والعمر ، والسلالة والنوع وغيرها من العوامل الأخرى التى تعكسها اللهجات المختلفة داخل المجتمع الواحد (P.Trudgill p 35)

وعليه سوف نتناول بالتحليل الموضوعات التالية :

- اللغة والمجتمع .
- وظائف اللغة .
- اللغة والطبقة الاجتماعية .
- اللغة والجماعات العرقية .
- الاختلافات اللغوية بين الرجال والنساء
- اللغة والسياق الثقافى والاجتماعى .
- اللغة والأمـة .

أولاً : اللغـة والمجتمـع

نعرف جميعاً ماذا يحدث عندما يتقابل شخصان من بلد ما فى مجتمع آخر كأن يلتقى شخصان من المجتمع العربى أو فرنسيان أو بريطانيان أو ألمانيان فى الولايات المتحدة الأمريكية . ورغم أنهما لم يلتقيا من قبل الا أنهما يبدآن الكلام بالحديث عن الأمور التى تعنيهما والتى تكون محل الاهتمام فى بلدهم الأصلى . فالبريطانيان يتحدثان عن الطقس والعربيان يتحدثان عن دفء العلاقة والتواصل فى

بلادهما ٠٠٠ الخ ٠

وهما فى ذلك يحاولان أن يجدا الموضوع محل الاهتمام فيما بينهما كما أنهما لو كان ممن يتحدثان اللغة الانجليزية فان تحولا لغوياً مباشراً يحدث فى هذا الوقت حيث يدور الحديث فيما بينهما بلغة بلدهم الأصلى ٠ فالعرب يتحدثون بالعربية والفرنسيان يتحدثان بالفرنسية والألمانيان يتحدثان بالألمانية وهنا يكون لموقف الكلام أهمية فى اقامة العلاقة والتواصل فيما بين الناس ٠

وثمة تفسير آخر يمكن طرحه فى حالة العربيين اللذين تقابلا فى الولايات المتحدة الأمريكية ٠٠ فمن المحتمل أن يتصرف أى منهما تجاه الآخر رغبة منه فى معرفة أمور معينة عن الآخر مثل نوع العمل الذى يزاوله والمركز الاجتماعى الذى يحتله وقد يكون من الذكاء بحيث يخمن من واقع مظهره وملابسه ولغته من أى فئة هو ٠ ولكن من الصعب أن يسأله مباشرة عن خلفيته الاجتماعية ، وعلى الأقل فى تلك المرحلة المبكرة من علاقتهما فعندما نتحدث يكون من الصعب علينا أن نحبس عن الآخرين أو عمن يصغون الينا ما يسترلون به عن أصولنا ٠ ومن أى نوع تكون ٠٠ فمن لهجة الكلام يتكشف لهم من أى قطر نحن ٠ ونوعية الخلفية التى لدينا ٠ وقد يتلمسون من كلامنا على بعض المؤشرات المتعلقة بالأفكار والمعتقدات والاتجاهات التى نحملها ٠ وجميع هذه المعلومات يمكن أن تساعد من نتكلم معهم لتكوين فكرة ٠

ومن ثم يؤكد « بيتر تريدجل » Peter Trudgill بالنسبة لهذا الموقف جانبين للسلوك اللغوى ويعتبرهما على درجة كبيرة من الأهمية :

يتمثل أولهما فى وظيفة اللغة المتعلقة باقامة علاقة اجتماعية ٠ ويتمثل ثانيهما فى الدور الذى يلعب بواسطة اللغة فى توفير المعلومات حول المتحدث ٠

وكلا جانبى السلوك اللغوى فى نظر « تريدجل » يعكسا الحقيقة المتعلقة بوجود علاقة محكمة بين اللغة والمجتمع (Peter Trudgill p. 14) .

ومن المعضلات الأساسية التى يعنى بدراستها عند تناول موضوع اللغة والمجتمع :، استخدام المعيار اللغوى الخالص لتقسيم التنوعات اللغوية الى لهجات أو لغات متمايزة • فاذا مارجعنا الى الحقائق اللغوية الخالصة لتحديد التنوع فى اللهجات أو اللغات اقتضى ذلك عمل التمييز التالى •

أن يشير مصطلح اللهجة (Dialect) الى الاختلاف فى أنواع اللهجات التى تختلف فى المفردات والقواعد وكذلك النطق Pronunciatian •

ويشير مصطلح نبرة الصوت Accent فى الجانب الآخر الى الاختلاف فى النطق • وهو أمر هام فى غالب الأمر للتمييز بوضوح بين الشخصين •

ونظرا لأن اللغة ظاهرة اجتماعية فهى وثيقة الصلة بالبناء الاجتماعى وقيم المجتمع • ومن ثم فان اللهجات والنبرات المختلفة يتم تميزها بطرق مختلفة منها المركز والهيئة التى تعكسها اللهجة • وذلك يعنى أن ثمة أوضاع اجتماعية واقتصادية تدخل ضمن معايير التميز بين اللهجات واللغات المتنوعة • كما أن للإتجاه نحو اللغة أهمية كبيرة أيضاً • اذ يساعدنا على فهم لماذا تتغير لغة ؟ ويفسر لنا لماذا تتغير لهجة؟ ومتى وكيف يتم ذلك ؟ ومن ثم تكون اللغة بمثابة عامل هام فى تعيين الجماعة وتماسكها • وذلك لأن اللغة تؤدى الى الاختلاف فى ادراك العالم وتفسير حوادثه ، فرؤية الانسان لبيئته مشروطة بلغته وهنا تبدو العلاقة متبادلة حيث يؤثر المجتمع على اللغة كما أن المجتمع والبيئة ينعكسان من خلال اللغة ، وذلك مانوضحه على النحو التالى :

(١) أن الأمثلة عديدة عن البيئات الطبيعية التى يعيش فيها المجتمع والتى تنعكس من لغته مصطلحاتها ومفرداتها • فاذا كان لدى الانجليز كلمة واحدة عن الثلج Snow أواثنين إذا ما أدرجنامصطلح Sleet فان لدى الاسكيمو كلمات عديدة يميزون بها بين حالات الثلوج •

(٢) يمكن أن تنعكس البيئة الاجتماعية بواسطة اللغة • حيث تستخدم فى

العديد من المفردات اللغوية لتوضح علاقة القرابة مثل الابنة الكبرى ، الأخ ، الأخت، الأب ، الأب، الأم ، الزوجة ، الجد ، الجدة ، الخال ، الخالة ·

ويمكننا أيضاً أن نتحدث عن نوع آخر من العلاقة مثل : الابن الأكبر ، الخال الأكبر ··· الخ · كما أن الحديث عن العلاقة فى الأسرة الأمومية والأسرة الأبوية (وهذه جميعها من الأمور التى اهتم بها الأنثروبولوجيون في دراساتهم) حيث يمكن استخدام هذه المصطلحات والمفردات المرتبطة بالعلاقة للتمييز بين المجتمعات المختلفة·

ومما يؤكد العلاقة الوثيقة بين المجتمع واللغة أن التغيرات فى المجتمع قد تجر معها تغيرات لغوية أيضاً ·

(٣) اضافة الى البيئة والبناء الاجتماعى فى علاقتيهما باللغة يمكن أن يكون لقيم المجتمع تأثيرها أيضاً على اللغة · فظاهرة المحرمات Taboo ترتبط فى اللغة بالأشياء التى لاتقال وبصورة خاصة بالكلمات والتعبيرات التى لاتستخدم ·

والواقع أن كلمة محرمات فى كثير من اللغات تعكس جانباً من نظام القيم والمعتقدات فى المجتمع · وفى بعض المجتمعات المحلية تشكل كلمة « السحر » Migic جانباً هاماً من الدين · وهناك فى كل لغة كلمات تعكس جانباً معيناً من محرمات المجتمع التى تؤكدها ثقافته ·

ثانيا : وظائف اللغة

إن الحديث عن وظائف اللغة من القضايا الجوهرية فى الدراسات اللغوية وذلك لأنها من المقولات المطروحة عند تعريف اللغة ، وعند مناقشة التطورات اللغوية ، والدلالة اللغوية والتنظيم اللغوى ، وفنون اللغة والمفردات اللغوية وذلك ماخلع على موضوع الوظائف اللغوية أهمية عند طرح قضية اللهجات والتنوع اللغوى فى المجتمع·

وذلك لأن موضوع التنوع اللغوى يقتضى التطرق لمعظم تلك الموضوعات التى تتخذ من وظائف اللغة موضوعاً لمعالجة بعض جوانبها · فعندما تطرق العلامة

الألمانى « وليم فون هومبول » Williom Von Hombọldt الى تعريف اللغة بأنها « العضو الذى يصوغ الفكر » وهو بذلك يؤكد أن الفعل الذهنى يحدس بواسطة الكلام (التهامى ص ٤٦) • وفى ذلك تأكيد للاتجاه الرامى الى تناول وظائف اللغة بالنسبة للفرد حيث يؤكد على أن الانسان يتميز عن الحيوان لأنه يستطيع بواسطة الكلام أن يفكر وأن يعبر عن نفسه وأفكاره • وعندما تناول « أنتونى ميليه » Antaine Meillet التعريف وهو متأثر بفكر «اميل دوركايم » عن التصورات الجمعية والوعى الجمعي أكد أن اللغة واقعة اجتماعية أى ظاهرة اجتماعية• وهو بذلك يشير الى أن للغة وجود اجتماعى مستقل عن وجود الأفراد وسابق عليه• ولذا فان اللغة تفرض وجودها على الفرد حيث يكتسب من خلالها تصورات الجماعة الجمعية ، وعن طريقها يتحقق له الوعى الجمعى •

وبذلك يؤكد التعريف الذى صاغه « ميليه » على وظائف اللغة الاجتماعية والثقافية :

– حيث يتم بواسطة اللغة اكتساب الفرد للتصورات الجمعية واللغة هنا بمثابة وسيلة لتوصيل المعلومات (١) المتعلقة بتصورات الجماعة الجمعية الى الفرد •

– وبتحقيق الوظيفة الثقافية للغة تبرز أهمية وظيفتها الاجتماعية باعتباراللغة وسيلة لاقامة العلاقات والتواصل الاجتماعى بين الناس والتى تجسد الوعى الجمعى لدى الأفراد •

وبهذه الوظائف الثلاثة المتمثلة فى كون اللغة وسيلة للتفكير لدى الفرد ولازمة لاغنى له عنها على نحو ماذهب « ادورد سابير » E. Sapir(جون ليونز ص٢٣٦) بأنها ذات فاعلية فى نقل المعلومات والمعارف الى الأفراد • وأنها أساس قيام العلاقات لاجتماعية • بهذه الوظائف تتجسد أهمية اللغة والسلوك اللغوى وتحليله

---

١) ادوارد سابير E . Sapir – جون ليونز ص ٢١٦ .

(Trudgill p. 14) · ورغم الاهتمام المبكر لدى علماء النفس بالسلوك اللغوى الا أن ظهور هذا الاهتمام لدى « بلومفيلد » الذى كان يعتبر نفسه سلوكياً ، وتأكيده مع تلاميذه على أهمية تفسير اللغة بمصطلحات نفسية مثل المثير والاستجابة لتحقيق الموضوعية العلمية فى دراسة اللغة باعتبارها أداة للتفكير قد قوى الاهتمام بفهم السلوك اللغوى · ومن ثم جاء مؤلف « ب·ف سكينر » B.F. Skinner بعنوان «السلوك اللغوى » ليشكل دفعة قوية نحو فهم السلوك اللغوى وكسب اللغة فى سياق نظرية التعلم · ورغم تحفظات عالم اللغة « تشومسكى » بالنسبة لاستخدام مصطلحات السلوكية المتمثلة فى المثير ، والاستجابة ، والربط الشرطى والتعزيز والعادة فى دراسة اللغة الا أن تلك المفاهيم قد دفعت الاتجاه لفهم السلوك اللغوى لدى الانسان وتحليله فى موقف الكلام ، وتناول السلوك اللغوى واكتساب اللغة لدى الطفل ، والمراحل التى تمر بهاعمليةاكتساب اللغة (مثل مرحلةالبأبأة[المناغاه]) ومرحلة الكلمة الجملة ، ثم مرحلة الكلمتين ·· الخ (جون ليونز ص ٢٢٩) وفهم العوامل الاجتماعية والثقافية والبيئية والاقتصادية والسلوكية ··· الخ التى تؤثر على النمو اللغوى للطفل خلال تلك المراحل المختلفة لنمو اللغة لدى الطفل · وتقوم الوظيفة النفسية للغة لدى الطفل على مانؤديه اللغة من عمليات تتمثل فى التحليل ، والتركيب ، والتصور · وهى العمليات التى تنمو من خلال التواصل اللغوى بين الطفل ومجتمعه ·

ثالثا : اللغة والطبقة الاجتماعية

اذا كنت مصرياً واستمعت لحديث يدور بين مصريين من طبقات اجتماعية مختلفة سوف تدرك للتو أيهما ينتمى الى الطبقة العليا وأيهما ينتمى الى مستوى طبقى آخر · ونفس الشيء يدرك المتحدث الانجليزى عندما يستمع لحديث بين شخصين من طبقتين مختلفتين · وهنا يطرح السؤال التالى نفسه عليك كيف استطعت أن تقوم بهذا العمل وتحدد المستوى الطبقى للشخص من خلال كلامه ؟وهنا تأتيك الاجابة بأن

الاختلافات اللغوية الموجودة بين الشخصين هى التى نسميها لهجات الطبقة الاجتماعية Social Classdialects ·

وتتوزع هذه التنوعات اللغوية بين الطبقات فى :

١ - الاختلافات النحوية بين كلام المتحدثين عن طبقات مختلفة وهذه الاختلافات النحوية تكشف عن الخلفية الاجتماعية لكل منهما ·

٢ - وغالباً مايكون الاختلاف بين اللهجات مصحوباً باختلافات صوتية فينومينولوجية بحيث يمكن للمستمع هنا أن يقول بوجود بعض اختلافات الطبقة الاجتماعية بين المتحدثين · والواقع أن الاختلافات الاجتماعية داخل المجتمع تعكسها الاختلافات اللغوية بشكل واضح · فالجماعات الاجتماعية المختلفة تستخدم لهجات لغوية متباينة · ومن ثم يمكن تصنيف أعضاء المجتمع المحلى الى متحدثين وفقاً لكلامهم · كما أن التمايزات الاجتماعية لها تأثيرها على لهجات الناس داخل المجتمع · وفى هذا البند الخاص باللغة والطبقة الاجتماعية نركز على نمط معين من التمايزات الاجتماعية هو التدرج الاجتماعى Social Stratification لنوضح به تنوع اللهجات فى المجتمع ·

يشير مصطلح التدرج الاجتماعى لأي نظام تدرجى للجماعات داخل المجتمع (مثل طبقة عليا ، وسطى ، ودنيا ·· الخ) · ومن الواضح أن المجتمعات الصناعية الغربية تتسم بطابع التدرج الاجتماعى فى طبقات اجتماعية ، ومن ثم تظهر اللهجات اللغوية لتلك الطبقات الاجتماعية · وتضم الطبقات الاجتماعية عدداً من الأفراد المتماثلين فى خصائصهم الاجتماعية والاقتصادية · ومن ثم يمكن دراسة لهجات تلك الطبقات على أساس التماثل القائم بين أعضاء كل طبقة فى الخصائص الاجتماعية والاقتصادية · واذا ما استطعنا أن نكون صورة واضحة عن العلاقة بين التدرج الاجتماعى فى المجتمع واللغة أمكننا بالتالى أن نقيس الارتباط بين اللغة والظاهرة الاجتماعية · ورغم أن قياس اللغة مسألة صعبة الا أن هناك لفيف من

العلماء سعى لتطوير أدوات لقياس اللغة من حيث ارتباطها بظاهرة التدرج الاجتماعى • وقد أفادت بعض تلك الدراسات فى :

- ايضاح نوع المعلومات التى نتعامل معها عندما نتناول المركز الاجتماعى للمتكلم كأساس للايضاح اللغوى • فمن خلال الخبرة اللغوية يتكون لدينا الوعى والحس والارتباط القائم بين نمط الطبقة الاجتماعية وأشكال اللغة المحلية •

- وانها تمدنا ببعض الشىء المفيد عن البناء الاجتماعى للمجتمعات المحلية لتقسيم المجتمع بين طبقتين أساسيتين : الطبقة العاملة والطبقة الوسطى وان التقسيم هنا ليس على أساس مهنى وانما على أساس اجتماعى واقتصادى وعندما تكون الملامح الاجتماعية للطبقة واضحة فانها تنعكس فى اللغة •

كما أن تلك الدراسات تخبرنا عن لهجات الطبقات الاجتماعية بأنها ليست متمايزة بصورة كلية ولكنها تأخذ طابعاً ما على المتصل اللغوى للطبقات الاجتماعية •(Trudgill , p. 45)

وقد أكدت تلك الدراسات على جوانب مختلفة للعلاقة بين اللغة والطبقة الاجتماعية وعلى أساس تلك العلاقة تناولت تلك الدراسات اختلاف اللهجات بين أبناء الطبقات الاجتماعية المختلفة ، وأثر اللغة المستخدمة على المستوى الرسمى وخاصة فى مجال التعليم على الصعوبات التى تواجه المعلم فى المدرسة وعلى نجاح طلاب بعض الطبقات (الطبقة المتوسطة ، وطبقة العمال) أو فشلهم الدراسى • (Trudgill. pp 55 - 56).

وبذلك يتضح أن لغة الأمة فى مجتمع واحد قد تتشعب الى لهجات متباينة وذلك لتباين الطبقات والفئات الاجتماعية فى المجتمع • وقد تلمس فى بلد ما وجود لهجة متمايزة للطبقة الأرستقراطية ، ولهجة لطبقة العمال ، والتجار ، والصيادين ، والسواحلية ، والريفيين •• الخ • وبذلك يساعد على تولد تلك اللهجات الخصائص المتماثلة لكل فئة والتى تشكل فروقاً فى الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، والثقافية

وظروف التربية ، ومستوى المعيشة والأنشطة المهنية التى يزاولها الأفراد ٠٠ الخ ٠

وتلعب كل لهجة دور طبيعى للناطقين بها فى سرعة توصيل المعانى والدلالات، والتعبير المناسب فى أمور حياتهم ومثل هذه الوظائف التى تمارسها اللهجات لكل طبقة تساعد على تعزيز وضع لهجة كل فئة بين اللهجات الأخرى فى المجتمع ٠

رابعاً : اللغة والجماعات العرقيـة

تلعب العوامل السلالية دورها فى اختلاف اللهجات وتفرع اللغة فى المجتمع الواحد ٠ ومن الأمثلة الواضحة على ذلك اختلاف اللهجات فى الولايات المتحدة الأمريكية بين السود والبيض وأيضاً بين الجماعات المهاجرة المختلفة وان كانت جميعها تتحدث الانجليزية الا أن لكل منها لهجتها الخاصة ٠ ونفس الشيء يمكن أن تلمسه فى جمهوريات يوغسلافيا سابقاً ومابينها من اختلافات لغوية بين الصرب والكروات والمسلمين والتى جاءت نتيجة للاختلافات العرقية ٠ ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة للجماعات العرقية فى بريطانيا والجماعا العرقية فى العالم العربى ٠ ومبلغ اختلاف اللهجات فيما بينها نتيجة للاختلافات العرقية لتلك الجماعات .

فاللغات الأصلية للجماعات العرقية تظل معها فى مهجرها وتظل نشطة وفى صراع مستمر مع لغة مجتمع المهجر ٠ ومن أمثلة ذلك وجود اللغة الألمانية مع الجماعات الناطقة بها فى كل من : الدانمارك وفرنسا وايطاليا ويوغسلافيا ٠ ووجود للغة التركية لدي كل من الجماعات الناطقة بها فى اليونانا ويوغسلافيا وبلغاريا ورومانيا ٠ ووجود اللغة الفرنسية مع الجماعات الناطقة به فى ايطاليا ولكسمبرج ٠ ووجود اللغة الألمانية مع الجماعة الناطقة بها فى فرنسا ، واللغة الروسية مع الجماعة لناطقة بها فى رومانيا ٠ والاغريقية مع الجماعات الناطقة بها فى ايطاليا ويوغسلافيا ألبانيا ورومانيا ٠ ووجود اللغة الهنغارية مع الجماعات الناطقة بها فى كل من استراليا يوغسلافيا وايطاليا ٠

خامسا : الاختلافات اللغوية بين النساء والرجال

نتناول فى هذا المجال الاختلافات اللغوية بين الرجال والنساء • ونؤكد منذ البداية أن تلك الاختلافات رغم أنها محدودة ولايمكن ملاحظتها بوضوح كبير الا أن تلك الاختلافات قائمة وتؤثر على نطق الكلمات • واذا كنا لانستطيع أن نعزى الاختلافات اللغوية فى النطق بين الرجال والنساء للاختلافات الاجتماعية حيث أن الرجل والمرأة يرتبطان ببعضهما بمحض ارادتهما • فان ذلك يؤكد بدوره على دلالة الفروق النوعية بينهما على لهجة كل منهما • فكثير من التعبيرات التى يستخدمها الرجال لاتميل النساء لاستخدامها • كما أن الكثير من التعبيرات التى تستخدمها النساء لايستخدمها الرجال ، وذلك لأن معظم تلك التعبيرات المستخدمة من أى منهما تلائم طبيعة كل منهما والتوقعات الثقافية من السلوك اللغوى لأى منهما • كما أن النساء يفضلن استخدام مفردات لغوية معينة قد لايميل لاستخدامها الرجال ، ويحدث العكس بالنسبة للرجال • ولذلك منطقه وعوامله فللنساء زيهم وللرجال ملابسهم ، كما أن للنساء اهتمامامهن بأدوات وأمور تتعلق بالزينة وتتناسب مع طبيعتهن فى حين أن الرجال لهم اهتمامات معينة • ولتلك الفروق فى ظروف النساء والرجال مايناسبها من توقعات ثقافية من كل من الفئتين كما أن لها أثرها فى ابراز الفروق اللغوية بين الرجال والنساء •

وتتجسد مظاهر الاختلاف بين لهجات الرجال والنساء فيما يظهر من تفاوت بين الأصوات والمفردات المستخدمة لتركيبات الجمل والتعبيرات والأساليب • وتزداد هذه الاختلافات كلما زادت المسافة بين الفئتين وقلت المخالطة بينهما وهذه الاختلافات فى اللهجات اللغوية بمثابة نوع من أنواع اللهجات الاجتماعية • وبذلك فهى تخضع فى نموها و تقلصها الى عوامل اجتماعية وثقافية وشخصية تؤثر على اتجاهات الفئتين نحو اللغة ، واستخدامها لمفرداتها وتعبيراتها • وقد يضحك الرجال اذا ما استخدم أحدهما مفردات لغوية أو تعبير لغوى تنفرد باستخدامها النساء •

ونفس الشيء يحدث اذا ما استخدمت احدى النسوة مفردات لغوية أو تعبير لغوى ينفرد فى استخدامه الرجال • وبذلك تلعب ثقافة المجتمع نفسها دوراً واضحاً فى تعزيز تلك الفروق اللغوية واختلاف اللهجات بين النساء والرجال فى المجتمع الواحد•

سادسا : اللغة والسياق الذى يعيش فيه الشخص

ثمة واقع آخر يفرض نفسه على الاختلافات اللغوية بين الأفراد غير الطبقة الاجتماعية والجماعات العرقية والعمر والنوع • ويتمثل هذا الواقع فى طبيعة السياق الاجتماعى الذى يجد الفرد نفسه فيه حيث يستخدم نفس المتكلم لهجات لغوية مختلفة فى مواقف مختلفة ولأغراض مختلفة • فاذا ماتحدث الشخص مع الناس الذين يعمل معهم فان لهجته سوف تختلف عن اللهجة التى يستخدمها وينطق بها فى البيت مع أفراد أسرته • وبذلك يمكن القول بأن الموقف المهنى تمخض عن اختلافات وتمايزات لغوية •

ولاشك فى كون هذه التنوعات اللغوية تجر معها اختلافات فى المفردات والقواعد والتعبيرات/ونبرات الصوت عند نطق المفردات والأسلوب •

وتعتبر التنوعات اللغوية الموقفية بمثابة تنوعات فرعية على مستوى اللهجة الاجتماعية أو الاقليمية • وقد تحدث التحولات اللغوية الموقفية بين لهجات مختلفة وفى هذه الحالات قد تستخدم لهجة معينة فى موقف رسمى ، ثم تستخدم لهجة أخرى فى موقف غير رسمى •

سابعاً : اللغـــة والأمـــة

لكل أمة من الأمم لغتها الخاصة بها على المستوى الرسمي،وسواء كانت هذه اللغة بمثابة لهجة لغوية ثم تطورت وفرضت نفسها على غيرها من اللهجات التى صارعتها فى المجتمع وتقهقرت أمامها فتركت لها المجال لتصبح لغة رسمية على نحو ماحدث لمعظم اللغات أو كونها لهجة تفرعت من اللغة الرسمية ثم صرعتها ،وفرضت نفسها بعد أن تقهقرت الأخرى أمامها مثلما حدث للغة اللاتينية،والتي انهزمت أمام

اللغات المتفرعة عنها (مثل الفرنسية والايطالية والأسبانية والبرتغالية ·· الخ) · ونفس الشيء يتكرر الآن بالنسبة للانجليزية والألمانية حيث اختلفت انجليزية الولايات المتحدة عن انجليزية انجلترا فى المفردات والأصوات والقواعد · ونفس الشيء حدث بالنسبة للغة الألمانية التى أخذت تختلف فى الدول الأوربية الناطقة بالألمانية عن الألمانية الأم اختلافاً بيناً ·

ونفس الشيء يحدث الآن للغة العربية التى باتت لهجاتها المتفرعة عنها تختلف بشكل ملموس عن بعضها البعض وعن اللغة الأم بحيث لم تعد اللهجات مفهومة بشكل واضح لغير الناطقين بها · ومع ذلك مازال اللغة العربية متماسكة ومسيطرة لأنها لغة الدين والأدب والكتابة ويعتبر القرآن الكريم من أهم وأقوى العوامل التى تحفظ للعربية سلطانها على اللهجات المتفرعة منها فى مختلف البلدان الناطقة بالعربية ·

كما أن القرآن من أقوى الدعائم التى ترتكز اليها العربية فى التغلغل الى اللغات الأخرى وخاصة لغات البلدان التى تدين بالاسلام ويقرأ أناسها القرآن فتبدأ مفرداتها فى التسرب الى لغات شعوب تلك البلدان ·

وتعانى الدول التى ليست أحادية اللغة من صراع بين اللغات حيث تسعى كل لغة الى فرض وجودها واحتلال موقع لغة الأمة · كما أن التعدد اللغوى بالمجتمعات ثنائية اللغة أو متعددة اللغات رغم وجود لغة رسمية ، الا أن الصراع اللغوى فيها يكون على أشده وذلك ماهو حادث فى الهند وفى كندا · وفى معظم الدول التى احتلت من قبل دول أخرى وحاولت فرض لغتها على سكان تلك الدول كما حدث فى معظم الدول العربية التى خضعت للاستعمار ، وكما حدث فى دول أمريكا التى استعمرت ، وأيضاً فى دول أفريقيا وآسيا ·

وقد أدت محاولات الاستعمار لفرض لغته على شعوب تلك الدول الى أن ضعفت لغة بعض تلك الأمم أمام لغة المستعمر ، والتى مازال مسيطرة فيها حتى بعد

اعلان انتهاء الاستعمار فيها • فهناك دول أفريقية ماتزال تنطق الفرنسية بعد رحيل الاستعمار عنها ولم تقوى لغتها الأصلية على استرداد نفوذها أمام اللغة التى فرضت عليها • ونفس الحال فى دول أمريكا وآسيا واستراليا •

وماتزال بعض الدول العربية تعانى من الصراع اللغوى بين لغة الأمة الأصلية وهى العربية ولغة المستعمر كما هو الحال فى الجزائر وتونس والمغرب ورغم محاولة تعزيز نفوذ العربية ماتزال اللغة الفرنسية تمارس نفوذها بين سكان تلك الدول بعد أن استعادت العربية مكانتها الرسمية للدولة •

ونظراً لأن الأمم أحادية اللغة تتمتع لغتها بقوة نفوذها باعتبارها اللغة الرسمية ولغة الكتابة والأدب فان صراعاتها محدودة ومحصورة فى صراع اللغات المجاورة لها واللغات التى تحتك بها فضلاً عن صراعها مع اللهجات المتفرعة عنها • ولكن صراعاتها هنا تكون محدودة لأنها فى وضع القوة ومدعومة على مستوى الدولة ومن خلال فنونها مثل الأدب والشعر والنثر • ورغم الشواهد التاريخية الكثيرة على انهيار بعض اللغات الأم مثل اللاتينية أمام اللغات المتفرعة عنها مثل الايطالية والأسبانية والفرنسية والبرتغالية الا أن ذلك يحدث على المدى الطويل •

أما بالنسبة للمجتمعات ثنائية اللغة ومتعددة اللغات فان الصراع اللغوى يظل دائراً بداخلها الى أن تستطيع أحد تلك اللغات من هزيمة اللغات الأخرى واحتلال موقع اللغة الرسمية أو لغة الأمة أو الدولة • ومع ذلك فلن تسلم من الصراع مع اللغات الأخرى الموجودة داخل المجتمع ثنائى اللغة مثل كندا ومتعدد اللغات مثل الهند•

ويشكل تعدد اللغات فى المجتمع محور عملية الصراع اللغوى،وليس بالضرور أن تكون تعددية اللغات على المستوى الرسمى بحيث تعمل بأكثر من لغة كما ه الحال فى كندا حيث تستخدم الانجليزية والفرنسية على المستوى الرسمى وكما ف الولايات التى ينطق أغلبية سكانها بأى من اللغتين •

اذ أن تعدد الجماعات الصغيرة ذات اللغات المتباينة فى المجتمع على نحو ماهو حادث في معظم الدول الأوربية وفى أمريكا واستراليا وكندا يؤدى الى التعددية اللغوية لتلك الجماعات داخل المجتمع وذلك يشكل بعداً آخر للصراعات اللغوية داخل المجتمع سواء كانت تلك الصراعات بين لغات الجماعات الأقلية المتعددة تلك ، أو بينها وبين اللغة الرسمية فى المجتمع P. Trudgill . p. 130) ·

والجدول التالى يوضح بعض اللغات والجماعات الأقلية الناطقة بها فى بعض الدول الأوربية والتى تعكس التعددية اللغوية غير الرسمية داخل المجتمع ·

اللغـــة	الجماعات الناطقة بها فى الدول التاليـــة
١- الألمانية	الدانمارك ، فرنسا ، ايطاليا ، يوغسلافيا ، بعض دول الاتحاد السوفيتى سابقاً·
٢- التركية	اليونان ، دول يوغسلافيا سابقاً ، بلغاريا ، رومانيا ، بعض دول الاتحاد السوفيتى سابقاً ·
٣- الاغريقية	ايطاليا ، دول يوغسلافيا سابقاً ، ألبانيا ، رومانيا ، بعض دول الاتحاد السوفيتى سابقاً ·
٤- الألبانية	اليونان ، دول يوغسلافيا سابقاً ، ايطاليا ·
٥- الهنغارية	استراليا ، دول يوغسلافيا سابقا ، ايطاليا ·
٦- الفرنسية	ايطاليا ، لكسمبرج ·
٧- السويدية	فنلندا ، بعض دول الاتحاد السوفيتى سابقاً ·
٨- البلغارية	رومانيا ، بعض دول الاتحاد السوفيتى سابقاً ·
٩- الألمانية	فرنســا ·
١٠- الروسية	رومانيــا ·

ولاشك أن معظم هذه الدول تعيش لغتها الرسمية فى صراعات متفاوتة فى شدتها مع لغات الجماعات الأقلية المقيمة بها وفقاً لماتتمتع به هذه الجماعات من نفوذ

فى المجتمع • كما أن الثنائية اللغوية قائمة بالنسبة لتلك الجماعات الأقلية حيث أنها تتعامل على المستوى الرسمى فى التعليم والدوائر المختلفة باللغة الرسمية وفى نفس الوقت تحتفظ بلغتها الأصلية فى التعامل بين أفرادها • وكلما قوى نفوذ تلك الجماعات فى المجتمع ، زادت الثنائية اللغوية عمقاً وزاد التفاعل بين اللغتين وبالتالى يزيد الصراع اللغوى داخل المجتمع ويقوى عوده ويشتد تأثيره على أى من اللغتين المتصارعتيــن •

* * *

1 - Beardsley , R. Brock & Carol M. Markers, Pauses and Code Switching in Bilingual Tnazanin Speech General linguistics, 1971.

2- Bloomfield, leonard, language, Holt, New York, 1933.

3- Blom, Jan - Peter & J.C. Umperz, Social meening in linguistic Structure, Code switching in Norway , in G umperz, `j.& Dell Hymes, directions in Sociolinuistics, Holt, Rinchart and winston , 1972.

4- Blumer, H., Symbolic Interacationtsm Perspective and Method , N.Y.,Prentic Hall, Englewood chiffs, 1969.

5- Boas , Franz, Handbook of American Indian linguages, Bulletin 4o, Bureau of American Elnnology, U.S. Government Printing office 1911.

6- Boas, F., Classification of American Indian languages, language 5 (1929).

7- Chomsky, Noam, Syntactic Structures, Mouton, Hague, 1957. Humamities Press, 1957.

8- Eastman, Carol, M., Aspects of language and culture, San Francisco, Chandler & Charp Publishers, INC.

9- De Camps, David, Isa Sociolinguistic theory Possible ? Washington, D.C.Georgetown university Press, 197o.

10- De Saussure, Ferdinand, course in General linguistics (Translated by wade Baskin) Philosphical libury, N.Y., 1959.

11- Fergugon, Charles A., Foreuord (In) Fishman, J, A. ,

Sociolinguiotics Rowley, Massachusetts, Neubwy House Publishers, 1972 .

12 - Fillmare, Charles, A. Gramarieen Looks to Sosolinguigtics, in Pride, J.B., (ed.) op. cit.

13 - Fitzgerald, Jack D. & Cox, Steven M., Unraveling Social Science, Chicago, Rand Mc Nally College Publishing Company, 1975.

14 - Fishman, Jashua, Sociolinguistic perspective in the Study of Bilingualism, linguistics XXX1X, 1968, 21-50.

15 - Fishman, Jashua A., Sociolinguisgics, Rouley Massa Chusetts, Newbury House Publishers, 1972.

16 - Fishman, Jashua A., (ed.) Readings in The Sociolagy of Language , Mauton, The Hague, 1968, Humanities Press 1968 .

17 - Fishman, Jashua , Language Maintenance and Language Shift, Sociologus , XV1, 1965. 19-38 .

18 - Fishman, Jashua, A., Donanins Between Micro- and Macro Sociolinguistics , in John, J.Gumpery and Dell Hymes (eds.) 1972 .

19 - Gleasan, H.A. An Intraduction to Descriptive Linguistics, Rev (ed.) Holt, Rinehart and Winston 1961 .

20 - Gumperz, John J., Dialect Differences and Social Stratification in a North India Village, American Anthropolagist LX, 1958, 668-682 .

21 - Hymes , Dell, Models of The Interaction of Language and Social Life in John J. G umperz and Dell Hymes, (eds.) Directions in Sociolinguistics: 1972.

2 - Hymes , Dell, The Ethnography of Speaking in T. Gladwin. and W.C Sturtevant eds, 1962.

3 - Hault, Thomas Ford, Dictionary of Modern Sociology Totowa New Jerrsey, Littlefield, Adams & Co. 1969 .

24- Hareis, Zelig. Structural Linguistics, University of chicago Press, 1951.

25- Klon, Heinz, Types of Multilingual Communities, Sociological Inquiry XXXVI, 1966, 36, 135- 145.

26- Keesing, Rager & Felix, Keesing, New Perspectives in Cultural Anthropology, Holt, Rinehart & winstion, 1971.

27- Lyons, Johm, Introduction to theoreticall linguistics, Cambridge, at eh university Press, 1971.

28- Labov, William, The effect of Social mobility on Linguistic Behaviot, Sociolgical Inauiry, CCCB'i, 1966. 186-2o3.

29- MC Namara, John, Problems of bilingualism, Journd of Social issues, 1967, 23, 8-28.

3o- Mc Cormack, Willian C., & wurm, Stephen A., language. and Society, New York, Mouton Publishers, 1979.

31- Macky, William, F., The Description of Blingualism, Canadian Journal of linguistics, 7. 1962.

32- Ohamessian, Sirarpi, Forgusan, Charles A & Palon , Edgar C., Language Surveys in Developing Nations, Center for Applied linguisties 1975.

33- Pride, J. B., Sociolinguistic, Aspects of language learning and Teaching, Oxford, Oxford University Press,1979.

34- Peng, Fred C.C., (ed.) language in Japanest Society, Tokyo, University of Tokyo Press, 1976.

35- Sorensen, Arthur P., Multilingualism in the Northwest Amazon , American Anthropologist , LXIX,1967, 67o-684.

36- Sapir, Edward, language An introduction to the study of speech , Harcourt, Brace and world 1921.

37- Sturlenant, E.H., linguistic change, university of chicago Press, 1917.

38- Sankoff, G., language use in Multilingual societies, in sociolinguistics, Ed., by Pride, J: B.Penguin, Harmondsworth, 1972.

39- Sherzer, Joel and Regne Darnell, outline Guide for the Ethnographic study of speech use in Gumperz, John J. and Dell Hymer, Directions in Sociolinguestic, Halt Rinehart and Winston, 1972.

4o- Trudgill, Peter, Sociolinguistics, N.Y. & England, Penguin Books LtD, 1977.



صاحبها ومديرها : محمد بسيوني
خلف ١٦١ ش فرنسا ت : ٨٠٩٠٠٥ اسكندرية

الناشر
مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة
ت: ٤٨٣٩٤٧٢ ـ إسكندرية